الإمبراطورية الأخيرة

أفكار حول الهيمنة الأمريكية



تأليف

الأستاذ الدكتور وائل محمد إسماعيل





الإمبراطورية الأخيرة

أفكار حول الهيمنة الأمريكية



شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – مقابل البوابة الرئيسية للجامعة الأردنية

تلفاكس : 0096265330508

جــوال : 00962795699711

E-mail: academpub@yahoo.com

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2015/4/1797)

رقم التصنيف:

320.973

المؤلف ومن في حكمه:

وائل محمد إسماعيل

الناشر

شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

عنوان الكتاب:

الإمبراطورية الأخيرة أفكار حول الهيمنة الأمريكية

الواصفات:

/الأحوال السياسية //الولايات المتحدة الأمريكية/

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونيـة عـن محتـوى مـصنفه ولا يعـبر هـذا المـصنف عـن رأي دائـرة المكتبـة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .

- يتحمل المؤلف كامـل المـسؤولية القانونيـة عـن محتـوى مصنفه ولا يعبر هذا المـصنف عـن رأي شركـة الأكـاديميون للنشر والتوزيع .

ISBN :978-9957-590-46-8

الإمبراطورية الأخيرة

أفكار حول الهيمنة الأمريكية

تأليف

الأستاذ الدكتور وائل محمد إسماعيل

الطبعة الأولى

1436هـ - 2016 م



شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

(وَلاَ تَحْـسَبَنَّ الـلـــهَ غَـافِلاً عَـمَّا يَعْمَـلُ الظَّـالِمُونَ إِنَّمَـا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ) إبراهيم: 42

الإهـداء

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره

أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه

فأظهر بسماحته تواضع العلماء

وبرحابته سماحة العارفين

المقدمة

تؤمن الولايات المتحدة بالقول "إن الفعل بدون فكر أعمى..والفكر بدون فعل فراغ.

لذلك أولت الولايات المتحدة سياستها الخارجية والاستراتيجيات المتبعة لتحقيق أهدافها الثابتة والمتغيرة مختلف الأدوات من أجل تنفيذها على أرض الواقع,بعبارة أخرى انفردت الولايات المتحدة ومن بين دول كبرى أو عظمى تنافست معها على زعامة العالم بأنها دولة لا تؤمن بسياسة الأمر الواقع إلا لضرورات إستراتيجية تضعها هي لا يضعها الآخرون عليها.

فضلاً عن ذلك لا يخفى على المتتبع للسياسة الخارجية الأمريكية سمة الإطلاق والتوسع في مفهومها للأمن القومي الأمريكي, إذ يشمل حسب المنهج الأمريكي البراغماتي الذي سارت عليه الإدارات الأمريكية المتعاقبة المعمورة كلها أو الكون بأشمله فالكونية والعالمية من أبرز معالم الأمن القومي الأمريكي لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 , إذ شكلت تلك الحادثة أو الحدث الإنتقالة النوعية والاستثنائية فتغيرت أو عدلت الكثير من العقائد والمفاهيم الأمنية التي احتكمت إليها السياسة والإستراتيجية والفكر في الولايات المتحدة الأمريكية .

بيد أن المتخصص في الدراسات والشؤون الأمريكية يرى أن السلوك الأمريكي في المرحلة الراهنة مع إنه لم يؤشر إلا استمرارا لنهج التوسع الإمبراطوري الذي سارت عليه الولايات المتحدة منذ نشأتها إلا إن عزوفا راود المهتمين مفاده إن الهيمنة قد باتت على شفى هاوية أو ثمة توقعات واقعية تؤكد إن القوة الأمريكية باتت مرتبكة خصوصاً إبان إدارة الرئيس أوباما الحالية التي فقدت البوصلة أو المؤشر لتحديد أولوياتها الإستراتيجية.

والسؤال الذي نـسمعه دائمـا: مـاذا سـتفعل الولايـات المتحـدة؟ العـالم ينتظـر قرارات الإدارة الأميركية وكأنها قدر فرض علينا أي القـدر المـتجلّي للولايـات المتحـدة أصبح قدرا بسبب قناعات النخب الحاكمة في الوطن العربي بأن الولايات المتحدة هي الفيصل في كافة الخيارات المتاحة في مواجهة مختلف الأزمات التي تعصف بالعالم.

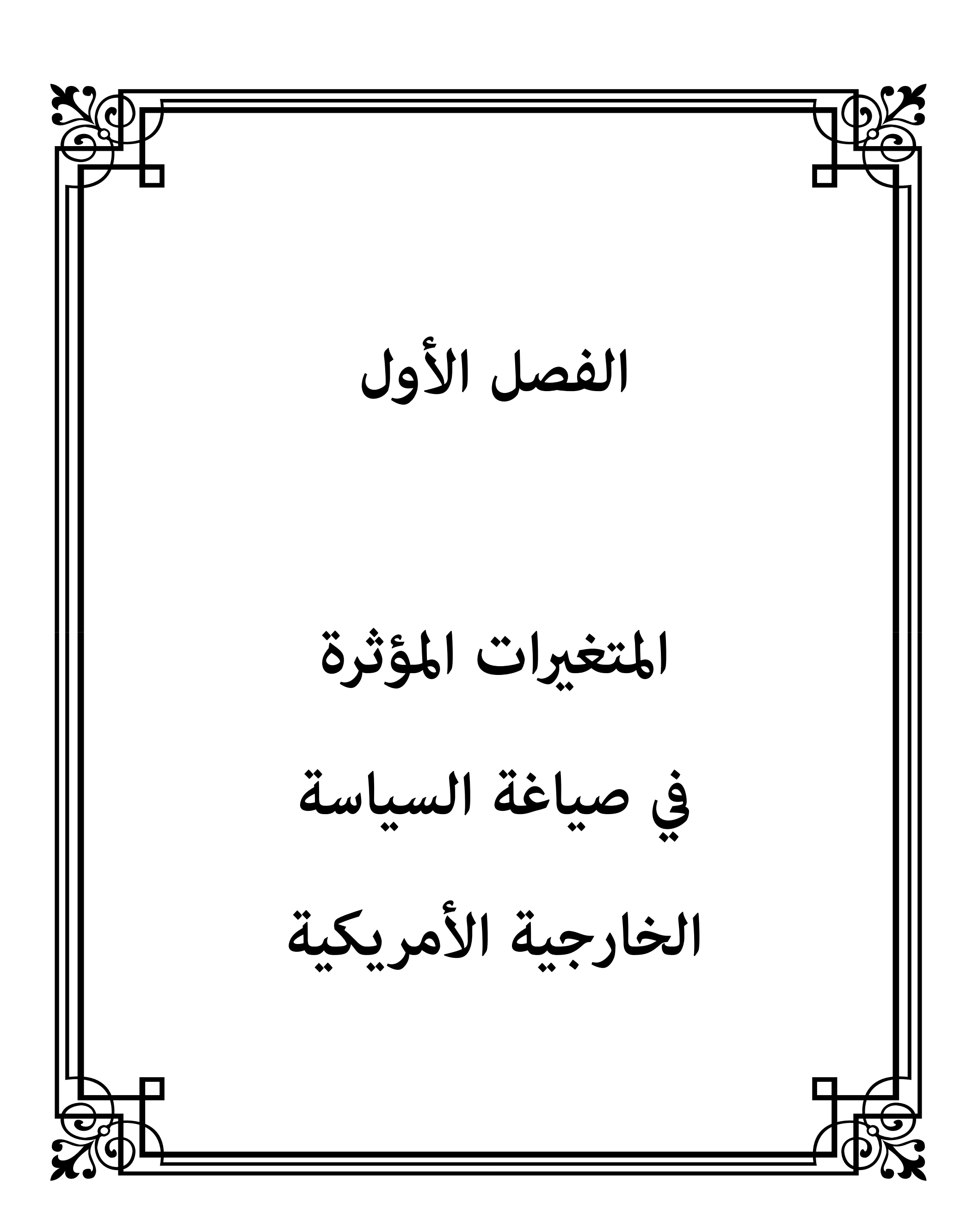
بيد أنه قبل التكلّم عن التراجع الأميركي علينا أن نوضح أن الولايات المتحدة ما زالت قوة لا يُستهان بها وإن فقدت الكثير كما سنرى من هيبتها وقوّتهـا. ولكـن علينا أن نقرّ بأنها ما زالت تمتلك عناصر القوة التي مكّنتها من الهيمنة على العـالم. لقـد اسـتطاعت الولايـات المتحـدة الوصـول إلى موقـع الـسيطرة بفـضل قوّتهـا العسكرية المتفوّقة ساندها اقتصاد متين المبني على التفوّق العلمـي والتكنولـوجي مُوجـدا علاقـة عـضوية دائريـة بـين المـسببات والنتـائج إذ عامـل الوقـت يجعـل المسببات نتائجا والعكس بالعكس. أضف إلى ذلـك تمكّنـت الولايـات المتحـدة مـن ممارسة هيمنتها الثقافية في العالم بـسبب جاذبيـة إنتاجهـا الـسينمائي والتلفزيـوني وموسيقاها التي تـستهوي الـشباب وسـياراتها وأخبارهـا الرياضـية وأزيائهـا ووجبـات الطعام السريع وكل ما يمكن أن يدّل عـلى إشـباع الرغبـات والـشهوات التـي تروجّهـا الثقافة الاستهلاكية التي تمتلكها الولايات المتحدة والتي يجب أن نقـرّ بجاذبيتهـا لـدى شرائح واسعة في مجتمعات العالم. وأخيرا لا بـد مـن الاعـتراف بـأن الولايـات المتحـدة تستفيد من الهجرة إليها فهي التـي تـشجّع اسـتقطاب أصـحاب الأدمغـة والكفـاءات والمهارات وتغذّي وتنمّي القدرات البشرية المبدعة أكثر من أي بلد آخر في العالم . فما عدى القوّة العسكرية فكل ما سردناه يشكّل عناصر القوّة الناعمة التـي هـي في رأينـا أقوى من القوّة العسكرية والتي سـاهمت ومـا زالـت إلى حـد كبـير في احـتلال عقـل

مُعظم النخب العربية وحتى شرائح واسعة من الشعب العربي الذي ما زال يتطلّع إلى الولايات المتحدة كنموذج يُحتذى به

يهدف الكتاب إلى الإجابة عن سؤال مركزي مفاده : هل النزعة الإمبراطورية الأمريكية للتوسع العالمي مردها آني أم أنها سلوك موغل في القدم يعبر عن مصالح وأهداف إستراتيجية بعيدة المدى ونزوع نحو الهيمنة والتفرد في إدارة شؤون العالم؟ ,وهل ستقاوم الولايات المتحدة التحديات المعاصرة لقوتها ونفوذها العالميين؟.

أنطوى الكتاب على فصول عشرة تم فيها مناقشة حقيقة الهيمنة الأمريكية والأفكار والجدل الذي راود مختصين من إنها باتت على مفترق طرق ستجلى ملامحه أكثر بعد عقدين ونصف بشكل واضح.

والأمريكان ليسوا بجاهلي ذلك فأحدث التقارير الإستخبارية لهم أكدت ذلك مما يدعوا آخرين لتفسير أسباب إقدامهم على غزو دول أو تغيير خرائط إستراتيجية في الشرق الأوسط أو أفريقيا أو أوربا وآسيا وأمريكا اللاتينية لمشاغلة القوى المتحدية لها أو المنافسة لتعطيل ظهورها وبقاء القوة الأمريكية القاهرة لأمد أطول.



الفصل الأول

المتغيرات المؤثرة
في صياغة السياسة
الخارجية الأمريكية

كثر الحديث عن المتغيرات المتحركة والعوامل الثابتة المؤثرة في صنع وتنفيذ السياسة الأمريكية عامة سواء أكانت الداخلية أم الخارجية.إذ لم تعد دراسة و فهم السياسة الخارجية للولايات المتحدة مجرد معرفة أو إطلاع إنما باتت ضرورة تفرضها مقومات القوة التي تمتلكها وهيمنة الولايات المتحدة على العالم و ثقل تأثيرها على مجريات الأحداث فيه و هذا الفهم يستلزم تحليل عملية صنع السياسة الخارجية بصورة مبسطة دون تعقيد وموجزة من خلال متغيرات ثلاثة مهمة وهي:

أولاً:المتغيرات الداخلية

ثانياً:المتغيرات الخارجية

ثالثاً:المتغيرات السيكولوجية

أولاً: المتغيرات الداخلية

من الناحية الرسمية والهيكلية الإدارية هناك عدة جهات تشترك في صناعة السياسة الخارجية، أولهما الرئيس والوزارات التابعة له -كمستشارين كما هو مقرر له بالدستور- وهما وزارتا الخارجية ووزارة الدفاع، وهناك أيضا لجنة الخارجية والأمن وهي لجنة تابعة للكونغرس، لكن الأهم من بين كل هذه الهيئات هو مجلس الأمن القومي، وهو تابع مباشرة إلى الرئيس الأمريكي وعادة ما يشغل هذا المنصب اقرب المقربين من الرئيس مباشرة .

لا تنفصم السياسة الخارجية لأي بلد عن مصالح النخبة الحاكمة، وعن أيديولوجيتها ,فالطبقة الرأسمالية التي تهيمن على آليات صنع القرار تسعى لتوطيد مصالحها وتعزيز قدراتها داخل الولايات المتحدة وخارجها. ومهمة البنى السياسية هو خلق المناخ الثقافي والاقتصادي والسياسي والقانوني الذي يسهل بقاء عجلة الربح دائرة. بيد أن شكل ممارستها لسياستها الخارجية يختلف

جـذريا في مـسألة واحـدة، وهـي أن اسـتخدام القـوة وإن كـان نـادرا في متابعـة مصالحها داخل الولايات المتحدة، لكنه أمر عادي ومتواصل في سياسـتها الخارجيـة. كان ذلك قبل الحرب الباردة وخلالها وبعدها، بل لا يوجد، تقريبا، رئيس أمريكي لم يقد بلاده إلى حرب عدوانية أو مؤامرات انقلابية على بلـدان العـالم الثالـث. وكـان الغرض الأساسي من كل هذه الحروب والمؤامرات، سواء في أمريكا اللاتينية أو آسـيا أو أفريقيا، خلق المناخ الاقتصادي والسياسي والقانوني الملائم لعمل شركاتها الكبرى. حتى أن بعض هذه الحروب والمؤامرات كانت من أجل شركات محددة كما حـصل في بعض بلدان أمريكا اللاتينية،كتشيلي وفنزويلا وإيران إبان حكـم رئـيس الـوزراء محمد مصدق أثناء الحرب الباردة.[1]

أما خارج الدوائر الرسمية فهناك العديد من الجامعات والمعاهد التي تعنى بقضايا الدفاع والخارجية وتضع بصماتها على فكـرة صـانع القـرار، ومـن بـين أهـم المؤسسات الفاعلة غير الرسمية نذكر معهـد أمريكـان انتربرايـز الـذي تأسـس عـام 1943، ومنتدى الشرق الأوسط، مؤسسة بـرادلي التـي تأسـست عـام 1903 ومركـز سياسات الأمن الذي تأسس عام 1988، إضافة إلى مجلس سياسات الدفاع ومكتـب المهمات الخاصة، هذا إلى جانب المجمع الصناعي العسكري، والمؤسسات الإعلاميـة وجماعات المصالح.على الرغم من ذلك هنـاك مـن يحـدد المتغـيرات الداخليـة بمـا يلي:[2]

(1) Noam Chomsky, Power& Prospects, South End Press, 1996, pp 100-103

(2) قارن مع: عبد الـلـه محمد الناصر, أمريكا العقلية المسلحة, بيروت, رياض الريس للكتب والنشر, ط1, 2007, ص22-108.

1-وكالة الاستخبارات الأمريكية: تعد المحور الأساسي للاستخبارات الأمريكية و المصدر الأساسي للمعلومات للسلطة التنفيذية , و قد استعملت إدارة ترومان و أيزنهاور هذا الجهاز لمعالجة قضايا السياسة الخارجية , كما و تعد حاليا من الأجهزة الهامة و الفاعلة في السياسة الخارجية.

2-الكونغرس: يعد الكونغرس جهازا تشريعيا مكون من مجلسين: مجلس الشيوخ و مجلس النواب , و يهتم الكونغرس بالقضايا الخارجية و المرتبطة بالسياسة الخارجية فضلا عن الأمور الداخلية للولايات الفيدرالية.

3-مجلس الأمن القومي: تأسس مجلس الأمن القومي بموجب قانون صادر عام 1947 -بيد أن منصب مستشار الأمن القومي لم يحدد إلا في عام 1953- والقانون يخوّل هذا المجلس معالجة شؤون الأمن الخارجي بالمعنى الواسع للعبارة إضافة إلى النظر في شؤون الأمن الداخلي. وهو لا يضم سوى أربعة أعضاء بقوة القانون هم: الرئيس ونائبه ووزير الخارجية ووزير الدفاع إضافة إلى اثنين من المستشارين الدائمين هما رئيس لجنة رؤساء الأركان ومدير وكالة المخابرات المركزية. لكن المؤسسة توسعت عبر السنين حيث تضم اليوم ما يقرب من 150 شخصاً. وتصدر التوجيهات الرئاسية المتعلقة بالأمن القومي برعاية مجلس توجيهات الأمن القومي الرئاسية Presidential Security National Directives (NSPD)، وهي توجيهات يتم تصنيفها بشكل عام إضافة إلى تقرير إستراتيجية الأمن القومي National Security Strategy الذي يعد أهم وثيقة عامة متعلقة بالسياسة الخارجية و الأمن الخارجي[1].

---

(1) ترتريه برينو, أربعة أعوام لتغيير العالم إستراتيجية بوش 2005-2008, ترجمة: قاسم المقداد ,مجلة الفكر السياسي, عدد 24, ص257.
في الموقع:www.awu-dam.org

4-اللوبي الصهيوني :تؤدي جماعات المصالح في الولايات المتحدة دورا مهـما و كبـيرا في صنع السياسة الخارجية و بالرغم من التـأثير الـسياسي لجماعـات الـضغط فـان صناع السياسة الخارجية يدركون فاعلية هذه الجماعـات و مـن ثـم فهـم يتبعـون السياسات التي تحظى برضاها أو على الأقل بسكوتها و يعد اللوبي الـصهيوني ابـرز مثال على ذلك و يكمن التفسير في قوة اللوبي "الإسرائـيلي" الـذي لـيس لـه مثيـل، فلولا مقدرة هذا اللوبي على معالجة النظام السياسي الأمريكي، لكانت العلاقـة بـين "إسرائيل" والولايات المتحدة أقل حميمية مما هي عليه اليوم[1].

5-و سـائل الإعـلام: تعـد و سـائل الإعـلام جـزء لا يتجـزأ مـن العمليـة الـسياسية الأمريكية و شريكة مـساهمة بطريقـة غـير مبـاشرة في صـنع الـسياسة الخارجيـة, البعض يراها بمثابة الذراع الـداعم للنخبـة الـسياسية المـسيطرة ؛ و يلعـب الإعـلام دورا ذو حدين مـن حيـث تقليـل الآراء المعارضـة أو التـأثير عـلى صـناع الـسياسة الخارجية الشيء الذي يؤدي إلى تعقيد مهمتهم.

6- مراكز الأبحاث و دورها في صنع الـسياسة الخارجيـة:إن دور مؤسـسات الفكـر والرأي، تعد من المؤثرات العديدة في صياغة سياسـة الولايـات المتحـدة الخارجيـة، هو أحد أكثر تلك الأدوار أهمية وأقلها فهماً وتقديراً. فقد قامت هـذه المؤسـسات التي هي بمثابة مراكـز أبحـاث سياسـية مـستقلة، والتـي تـشكل ظـاهرة أمريكيـة مميزة، بصياغة التعاطي الأمريكي مع العالم لفترة تقارب مئة عام.

و يطلق عليها Tank tanks و تقوم هذه المراكز البحثيـة بإمـداد صـانعي السياسة الأمريكية ووسائل الإعلام بتحليلات و دراسات تتعلق بكل القضايا الهامـة مما يجعلها لاعبا هاما في تحديـد أولويـات الـسياسة الخارجيـة و مـساراتها فقـد

---

(1)John Mearsheimer, Stephen M.Walt,The Israel Lobby and U S foeign policy,the London review of book,Vol.28.No1,March 2006. P15.

أصبحت هناك أكثر من 1200 مؤسسة للفكر والرأي موزعة على كامل الساحة السياسية الأمريكية. وهي تشكل مجموعة غير متجانسة من حيث اتساع نطاق المواضيع والتمويل والتفويض والموقع. فبعض هذه المؤسسات، مثل معهد الاقتصاد الدولي، ومؤسسة الحوار بين الدول الأمريكية، أو معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى يركزّ على مجالات وظيفية محددة أو مناطق معينة. في حين تغطي مؤسسات أخرى، مثل مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، السياسة الخارجية بصورة عامة. ولدى القليل من مؤسسات الفكر والرأي، مثل بروكنغز، منح وقفية ضخمة فلا تقبل بالتالي إلا القليل من التمويل الرسمي . في حين تحصل مؤسسات أخرى مثل راند RANDعلى معظم إيراداتها من عقود للقيام بأعمال لزبائن في الحكومة وفي القطاع الخاص؛ بينما تعتمد قلة منها مثل معهد السلام الأمريكي بصورة شبه كاملة على التمويل الحكومي. وتقوم مؤسسات الفكر والرأي، في بعض الحالات، بدور إضافي كمنظمات غير حكومية ناشطة في قضية معينة[1]. ومن هذه المراكز:

مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية ,مؤسسة راند ,مجلس العلاقات الخارجية, مؤسسة بروكينز, مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية..الخ.

(1) ستيف فرايز وغاري غرستل, الطبقة الحاكمة في أمريكا:تأثير الأثرياء والنافذين في دولة ديمقراطية, ترجمة:حسان البستاني,بيروت, الدار العربية للعلوم, ط1, 2006, ص33-82.

7-**دور الدين:** يعد الدين من الأطر الضرورية و الهامة في البيئة الداخلية إذ أصبح من الواضح أن صانعي القرار في السياسة الخارجية الأمريكية يتمحورون في مجموعتين أساسيتين هما[1]:

المجموعة الأولى: تتمثل في مجموعة من المبشرين من اليمين الديني المحافظ المعروفين بالإنجيليين الجدد, وهؤلاء يقومون بأدلجة العداء والحرب ضد العالم، وبالترويج والتسويق لصدام الحضارات وتحديداً ضد العالم الإسلامي الذي أصبح يمثل في منطقهم "محور الشر", إذ يتم وفق أطروحاتهم تعميم الصور النمطية عن العربي الإرهابي الكاره والحاقد على نمط الحياة الغربية. يستخدم هؤلاء منطق أسامة بن لادن بصورة مقلوبة، فيعيدون إنتاج العلاقة بالإنجيل والتوراة إذ يعمدون إلى إسقاط هذه النصوص والمفاهيم على الواقع المعاصر.

المجموعة الثانية: يتمثل في تيار المحافظين الجدد الذي نجح في استيعاب الإدارة الحالية، والذي يقوم بمهمة البرمجة ووضع السياسات والاستراتيجيات العامة.

يقول جيري فالويل عام 1980 عن علاقة الدين بالسياسة: "إذا لم يتعلم المرء كلام الرب,ولم يعرف ما جاء بالإنجيل,فأني أشك في قدرته على أن يصبح قائداً فعالاً وقيادي لكل شيء سواء أسرته أو كنيسته أو أمته لن تكون ناجحة دون هذه الأولوية.[2]

ويردف الرئيس السابق بيل كلينتون على إن" البعض فهموا الدين غير ما ينبغي أن يفهم في العالم المعاصر الآن,فمثلاً في البلقان تحدث سلوبودان

(1) والتر راسيل ميد, بلد الله :الدين في السياسة الخارجية الأمريكية,ترجمة:حمدي عباس, القاهرة, مكتبة الشروق الدولية,ط1, 2007, ص23.

(2) مايكل كوربت وجوليا ميتشل كوربت, الدين والسياسة في الولايات المتحدة, ترجمة: د.عصام فايز و د.ناهد وصفي,ج1, القاهرة, مكتبة الشروق, ط1, 2001, ص19.

ميلوسوفيتش كثيراً عن الدفاع عن أوربا المسيحية بينما كان أكبر مضطهد في التاريخ المعاصر للمسلمين,وليبرر ذلك الفعل تحدث بهذا الاتجاه الديني ,وأسامة بن لادن طرح نفسه كمدافع عن الإسلام,لكن قتله للأبرياء ومنهم المسلمون لا يشكل تفسيراً صحيحاً ويناقض تعاليم ذلك الدين".[1]

لقد أعتمد الرؤساء الأميركيون بدءاً من الرئيس جورج واشنطن فصاعداً على الحس الديني,ليس للتأثير على عقول أبناء الشعب فحسب,بل على أفئدتهم أيضاً لتأييد الأهداف الرئاسية.[2]

لقد مثلت سياسات الرئيس بوش الابن وخطبه في استخدام وتوظيف الدين بأنها أكثر من استباقية أو إنها متطاولة دينياً كما وصفها البعض ليست أحادية فحسب وإنما مسيحانية خطرة وليست متعجرفة فحسب وإنما تقف عند حدود الوثنية والكفر.[3]

وكتب جون آدمز إلى توماس جيفرسون وهما من ألآباء المؤسسين للدستور الأمريكي وفيما بعد رؤساء بعد أول رئيس أمريكي وهو جورج واشنطن ومن ثم نائبه جيفرسون ومن ثم آدمز كرئيس ثالث للولايات المتحدة آنذاك, قائلاً:" سيكون هذا العالم أفضل العوالم الممكنة إذا لم يكن فيه أي دين!, منطلقاً من الفرضيات الآتية:

أ. إن الناس يلحقون التعاسة والشقاء بعضهم ببعض باسم الله.

---

(1) المصدر نفسه ,المقدمة منه,ص12.

(2) مايكل كوربت, الدين والسياسة, مصدر سبق ذكره, ص9.

(3)مادلين أولبرايت, الجبروت والجبار: تأملات في السلطة والدين والشؤون الدولية, ترجمة :عمر الأيوبي,ط1, 2007, ص18.

ب. تـشير الدراسـات إلى أن الحـروب ذات الكـون الـديني تـدوم مـدة أطـول ويخاض فيها القتال بشراسة أكبر مما يخاض في النزاعات الأخرى.

ج. تقطع كثير من الرقاب باسم الإله على مر العصور.[1]

ثانياً: المتغيرات الخارجية

تشمل البيئة الخارجية العناصر و المتغيرات الواقعة خارج الحدود القطرية للدولة و تتـضمن سـلوك الوحـدات الدوليـة الأخـرى والمـنظمات الدوليـة و الـشركات الاقتصادية و التجارية عابرة للقارات.

ومن منطلق أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل المرتبـة الثالثـة مـن حيـث عدد السكان و الرابعة من حيث المـساحة ؛ أي مـا يغطـي نـصف مـساحة القـارة الأمريكية , بمـساحة تعـادل 9809430 كـم² و بتعـداد سـكاني يفـوق 315 مليـون نسمة كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تعد من الدول الجديدة التي تملك ثروات ومواد أولية هائلة كاحتيـاطي ؛ و منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة خرجـت الولايـات المتحدة منها كمستفيد إذ تعدت حجم المكاسب الـ 11 مليار دولار كعائـدات مـن تجارة الأسلحة لدول أوروبا المتناحرة ومـن ذاك الحـين أصـبحت عـلى رأس الـدول الاقتصادية و التي تمثل الاقتصاد الأول في العالم . نجـد أن هـذه المقومـات جعلتهـا من أقوى الدول في العالم .

إلى جانب ذلك فهي ذات مقعد دائم في هيئـة الأمـم المتحـدة و ذات تـأثير قوي عـلى هـذه الهيئـة إلى جانـب عـضويتها البـارزة في العديـد مـن المـنظمات و المؤسسات الدولية الأخـرى كـصندوق النقـد لـدولي و البنـك الـدولي ناهيـك عـن المنظمات الغير حكومية الأخرى و الشركات المتعددة الجنسيات ...الخ.

(1) نقلاً عن: المصدر نفسه, ص69

و بما أن المنظمات الدولية أصبحت تمثل أحد الفواعل في النظام الدولي الذي تلعب فيه دورا هاما ؛ فان عملية صنع السياسة الخارجية تبقى تتأثر بهذه الأخيرة [1] , فعلى سبيل المثال كانت الولايات المتحدة بحاجة إلى قرار دولي بشأن التدخل في العراق لكن هيئة الأمم المتحدة أحجمت على ذلك ما جعل التدخل الأمريكي في العراق يفتقر إلى الشرعية الدولية و غير مبرر.

ثالثاً: المتغيرات السيكولوجية

على اعتبار أن الفهم الدقيق للبيئة السيكولوجية لصناع القرار يؤدي إلى فهم دقيق لعملية صنع السياسة الخارجية, إذ تمثل البيئة السيكولوجية المنفذ الأهم لمعرفة الخلفيات و الدوافع الكامنة حول القرار المتخذ .ومنها على سبيل المثال:

1- **مبادئ الرؤساء الأميركيين:** بدأت تحدد و ترسم مع نهاية الحرب العالمية الثانية،مطامع كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وتبرز بشكل معلن في التوسع والسيطرة على العالم. وإذ بدأت بذلك الأيام الأولى من تاريخ بدء الصراع السياسي بين القوتين العظميين. حينئذ بدأت الولايات المتحدة في ترسيخ مبادئها في الصراع والتي تعكس مبادئ الرؤساء على مسرح الأحداث التي شهدتها الساحة الدولية، ولكن مع اختلاف الجانب المتغير في هذه المبادئ على طول خط الصراع مع تبدل الرؤساء الأميركيين إلا أن الجانب الثابت من هذه المبادئ احتفظ بالقاعدة التي تسير عليها رسم هذه المبادئ، إلا وهي قاعدة الحفاظ على المصالح وتوسيعها، والمصالح أو المطامع بعكس المبادئ تفرق و تبعد أطراف اللعبة قبل أن

(1)Eduate Rhodes, The imperial logic of Bush's Liberal Agenda,survival, Vol. 45.No.1, Spring 2003.p 17.

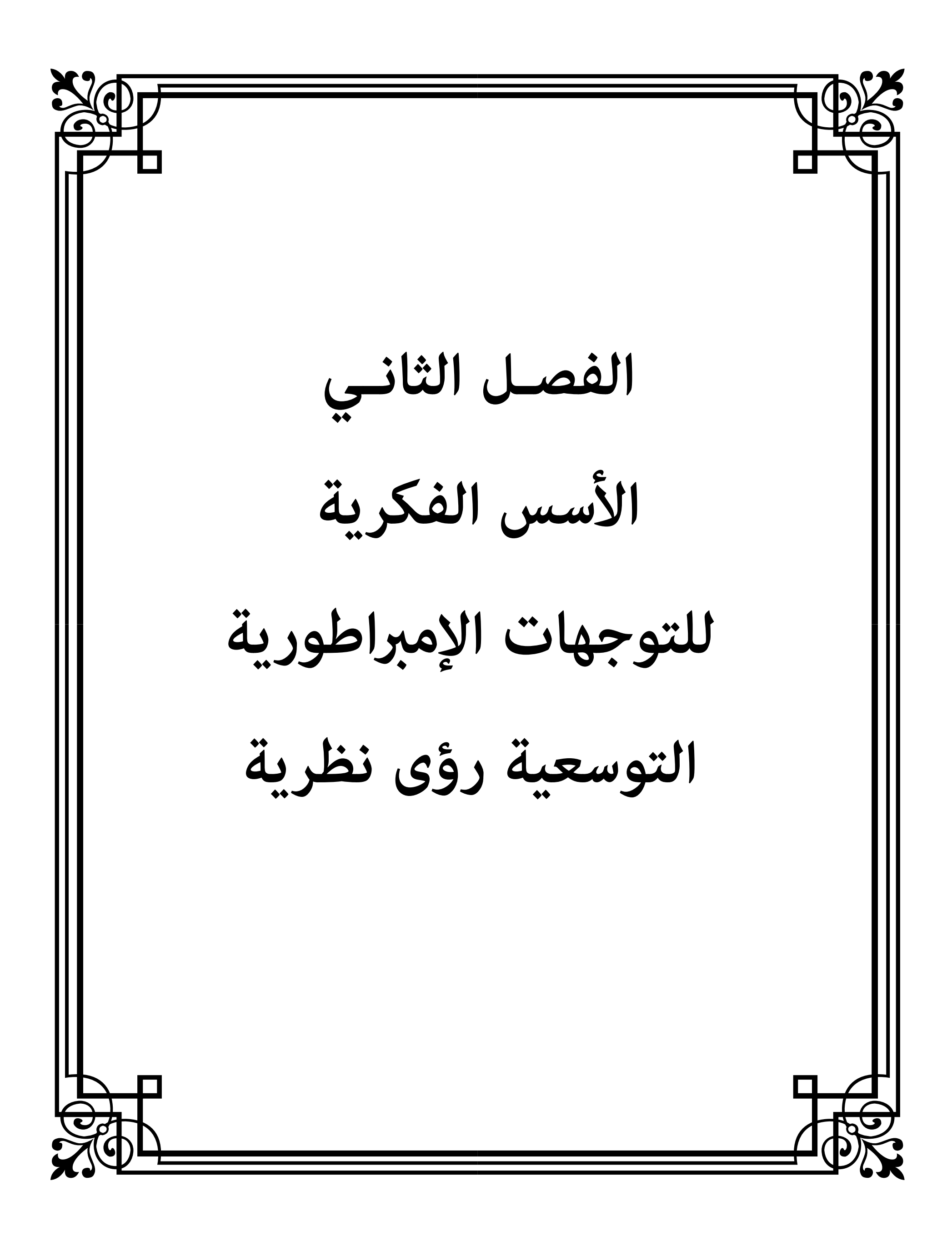
تقربها، ومن الطبيعي في مثل هـذه الحالـة أن نـستنتج إن روح العـداء هـي خميرة العجينة التي تجسم في صورها وأشكالها المختلفة مع اختلاف الرؤسـاء مبادئ الرؤسـاء أو مبـادئ الـسياسة الأميركيـة، وعـلى هـذا الأسـاس يمكـن أن تسجل تسمية مصالح الرؤساء حضورا في ذهن القـارئ قبـل تـسمية مبـادئ الرؤساء.

إن استقراء هذه المبادئ -المصالح- يظهر بشكل واضح الفـشل الـذي زامـن هذه المبادئ من البداية في تحقق القسم الكبير مـن أغراضـها، وكـما يمكـن تعـداد عدد مرات الفشل مـع تعـداد عـدد الرؤسـاء الأميركيـين، كـذلك يمكـن تبيـان نـوع الفشل مع نوع الركائز السياسية التي استند عليها كل رئيس ضمن الظـروف التـي عاشرته.

2- عن فلسفة الرئيس السياسية: وتؤدي فلسفة الرئيس السياسية دورا كبيرا في الكاريزما التي سيؤثر بها فمثلاً الرئيس بوش الابن اختلف مـن حيـث فلـسفته السياسية ونسقه الفكري أو ألعقيدي عن الرئيس باراك أوبامـا فـالأول أعتمـد فلسفة القوة المفرطة تماشيا مع نسقه الفكري المتنـاغم مـع توجهـات داعميـه وأنصاره من المحافظين الجدد,بينما كان أوبامـا ميـالاً نحـو القـوة الناعمـة ثـم الذكية تماشيا مع فلسفة التغيير[1] مما يعني اختلافا جذريا في النسق الفكـري لكليهما.

---

(1) رشاد شعبان, أوباما: قناص الديمقراطية وإعادة الثقة, بيروت, الوكالة العربيـة للنـشر,ط1, 2009, ص67.



الفصــل الثانــي

الأسس الفكرية

للتوجهات الإمبراطورية

التوسعية رؤى نظرية

سبغت الهيمنة الأمريكية بأسس ومرتكزات عديدة فكرية ومادية,ومما إن الأسس والمرتكزات المادية واسعة وتحتاج صفحات للتعريف بها ولكونها باتت ملموسة للناظر والمتابع سنعمد إلى التركيز علة الفكرية فقط ومن خلال زوايا نظرية وعملية راهنة.وفي صدد الحديث عن الفكرية يمكن تحديد الرؤى والأسس الآتية:

أولاً: التفكير العلمي والاهتمام بالعلم

ثانياً: التخطيط العلمي السليم

ثالثاً: التفكير الإستراتيجي

رابعاً: التخطيط الوطني الشامل

خامساً: التفكير المستقبلي بعيد المدى

أولاً: التفكير العلمي والاهتمام بالعلم

إذ أولت الولايات العلم أهمية كبيرة من أجل التوسع وتأمين مصالحها الكبرى والدفاع عنها.التفكير العلمي ليس الغرض منه حل مشكلات محددة، وإنما هو مجموعة من الشروط الواجب توفرها لحياة كل دولة ولا سيما المحدودة الموارد، والمحاطة بأخطار خارجية. وحينما نطلق على مجتمع ما انه مجتمع يسوده الفكر العلمي، نقصد به توجيه الفرد والمؤسسات وفق معادلة تبدأ بالإدراك ثم التذكر ثم التفكير. أي إدراك حدود الحاضر وإمكاناته، وتذكر شروط فاعليته؟ وما هي ضمانات استمراره عبر التفكير في ذلك؟[1] .

(1) بوب جارات وآخرون . كيف تفكر إستراتيجياً، ترجمة: عبد الرحمن توفيق. القاهرة، مركز الخبرات المهنية الإدارة، 1998, ص23.

وفيما يتعلق بإجراءات ضمان المـصالح الوطنيـة, عملـت الولايـات المتحـدة على تحقيق إجراءين هما:

1- **تحديد الغاية الوطنية:** تسعى الدولة لتحقيق الغاية الوطنية بصورة عامة وشـاملة إذ تقـع عـلى قمـة الأهـداف الـسياسية، والمـستقبلية الـشاملة, وتتضمن مجموعة من الأهداف الوطنية التي تسعى الدولة لتحقيقها من خلال مناهج وطنية, وقد أتفق المفهومان الشرقي والغربي على أنهـا تمثـل ثلاثة قـيم رئيـسية هـي,البقـاء والمحافظـة عـلى الـذات، الحريـة للـوطن والمواطن، الرفاهية والازدهار والرخاء.

2- **تحديد الهدف الوطني:** ينبع من الغاية الوطنية العليا للدولة، ويعّبر عـن الآمال والطموحات التي تسعى الدولة لتحقيقها في فترة زمنيـة محـددة .. قد ينفذ في مرحلة واحدة، أو يقسم لعدة مراحل تحـدد لكـل منهـا فـترة زمنية لتحقيقها، ويحدد له منهج وطني شامل يبنـى عـلى إعـداد وحـشد قوى الدولة الشاملة في الاتجاهات التـي تحقـق الهـدف الـوطني للدولـة الذي قد يكون هذا هدفاً مرحلياً أو نهائياً[1].

فالغاية الوطنية بمثابة السياسة العليا للدولة أو الإسـتراتيجية الـشاملة لهـا. والهدف الوطني هو بمثابة الإستراتيجية الوطنية أو القوميـة لتحقيـق الإسـتراتيجية العليـا للدولـة أو الأهـداف الـسياسية العليـا للدولـة، أو الإسـتراتيجية الـشاملة. وهنالك مجلس الدفاع الـوطني أو القـومي وهيئـة التخطـيط الـوطني أو القـومي تـضع وتـصوغ الإسـتراتيجية الوطنيـة أو القوميـة- وهــي في الولايـات المتحـدة:

---

(1) ألفن توفلر، تحول السلطة، تعريب فتحـي بـن أشـتون ونبيـل عـثمان . طـرابلس، مكتبـة طـرابلس العلمية العالمية، ط1، دون تأريخ، ص98.

مؤسسات الأمن كمجلس السياسات والدفاع ومجلس الأمن القومي وهيئة المخابرات القومية. وتلك لها أهداف وطنية أو أهداف وطنية مرحلية وصولاً للأهداف الوطنية التي تخدم الإستراتيجية العليا أو الغاية الوطنية العليا للدولة - لكل دولة مسمى لتلك الغاية.

ويضطلع بتنفيذ تلك الأهداف الوطنية مؤسسات الدولة وكل حسب اختصاصه ومجال عمله ولكل منا يفهم الوصول للهدف حسب نطاق عمله وبتنسيق مع المؤسسات الأخرى لتكامل تحقيق ألأهداف الوطنية كافة خدمة للإستراتيجية الوطنية المحدودة.

ثانياً: التخطيط العلمي السليم[1]

يعد التخطيط العلمي أحد السمات الرئيسية للعصر الحديث وأساس أي عمل ناجح لتحقيق الأهداف المنشودة، لذا فأنه يتطلب قدرات خاصة على والتنبؤ فيما يتعلق بالمستقبل.

والمفهوم العلمي للتخطيط العلمي السليم مفاده إن التخطيط العلمي بمفهومه الشامل هو عملية ذهنية تتطلب تفكير منطقي عميق ورؤية مستقبلية ثاقبة وتحديد دقيق للأهداف ودراسة علمية متكاملة لتحديد البدائل، وتقويمها، والتنبؤ بالنتائج المتوقع حدوثها مسبقاً، واختيار أفضل البدائل لتحقيق الأهداف المنشودة في إطار الإمكانات الحالية والمنتظرة، من خلال برنامج موقوت، ومحدد

(1) عادل مسعود، التخطيط الإستراتيجي والفكر العلمي، القاهرة، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، القاهرة، 1990، ص11-13.

للمراحل والأساليب الواجب إتباعها لمواجهة الاحتمالات المنتظرة, بمعنى التفكير قبل الأداء والأداء في ضوء الحقائق[1].

والولايات المتحدة بعُدها دولة كبرى أو عظمى تولي التخطيط الإستراتيجي والإدارة الإستراتيجية أهمية عالية.

وتمر عملية التخطيط في الولايات المتحدة بمراحل عدة تعتمد التخطيط العلمي السليم[2], هي:

1-تحديد الأهداف: يعد تحديد الأهداف وترتيبها طبقاً لأهميتها والاختيار بينها، طبقاً للتقويم العلمي من الأهمية بهدف الوصول إلى أسبقيات هذه الأهداف، تنقسم الأهداف إلى:

أ. أهداف مباشرة - مرحلية: يمكن تحقيقها بالإمكانات المتيسرة أو المتاحة، والتخطيط لتحقيقها خلال عام مقبل .

ب. أهداف منظورة - متوسطة: يمكن تحقيقها بإضافة إمكانات جديدة، والتخطيط لتحقيقها خلال فترة من (3– 5) سنوات قادمة .

ج. أهداف مستقبلية - بعيدة المدى: هي الغايات التي يتم السعي للوصول إليها، وتجري الدراسات بهدف الوصول إلى توفير إمكانات تحقيقها، والتخطيط لتحقيقها خلال فترة من (5 – 10) سنوات قادمة.

2- تجميع الحقائق والبيانات وتقويم الإمكانات المتيسرة: يجب قبل البدء في التخطيط أن يتم جمع البيانات والمعلومات والحقائق الخارجية مثل الظروف

---

(2)Daft .A.Agor, Strategic Planning, Strategic Review, London, Vol.30, No.3, 1999. P.33.

(2) مسعود ,التخطيط الإستراتيجي، مصدر سبق ذكره، ص14-15 .

السياسية، والسياسات الحكومية، والأحوال الاقتصادية، والاجتماعية، كذا الداخليـة من حيث القدرات والإمكانات المتاحة خلال فترة التخطيط.

3-**استخدام الأسلوب العلمي للتنبؤ:** يعتبر التنبؤ أحد العناصر الرئيسية للتخطـيط المستقبلي في ظل المتغيرات والتطورات المستمرة، فـالتنبؤ الـسليم بإتبـاع الأسـاليب العلمية، يمكن تقليل عامل المخاطرة وبالتالي يمكن التخطيط على أكـثر الاحـتمالات واقعية لتحقيق الأهداف المحددة.

4-**تحديد البدائل، وتقويمها:** يعتمد التحديد إلى حد كبير على قدرة أجهـزة التخطـيط، وما يتوافر لديهم من قدرة عـلى ابتكـار والتفكـير المنطقـي العميـق لتحديـد البـدائل وإتباع الأساليب العلمية، في إجراء الدراسات والتقديرات وتقويم البدائل بمقارنة العائد لكل منها، واختيار أنسب البدائل والتخطيط التفصيلي لتحقيق الأهداف.

5-**التنفيذ والتقويم:** تعتبر هذه المرحلة عملية مراجعة للبـدائل الموضـوعة، حيـث أنه عادة مـا ينـشأ اخـتلاف بـين التـصور والواقـع، ويعتمـد مـدى نجـاح أو فـشل التطبيق على خبرة القائمين بالتنفيذ وهي لا تتسم بالثبات المطلق لما هـو مخطـط، وتتم عملية التقويم لاستخلاص الدروس المستفادة لتطوير التخطيط.

ثالثاً: التفكير الإستراتيجي (Strategic Thinking)

تعد الولايات المتحدة أبرز الـدول في التفكـير الإسـتراتيجي والتفكـير الإسـتراتيجي هو أسلوب يتمكن من خلاله صناع القرار من توجيه وإدارة دفة الحكم والانتقـال بهـا مـن مجـرد العمليـات اليوميـة ومواجهـة الأزمـات وصـولاً إلى رؤيـة مختلفـة للعوامـل الديناميكيـة الداخليـة والخارجيـة القـادرة عـلى تحقيـق التغيـير في البيئة المحيطة بهم وبمـا يحقـق في النهايـة توجيهـاً فعـالاً بـصورة أفـضل لـدولتهم

بحيث يكون المنظور الجديد متوجهاً أساساً إلى المستقبل مع عدم إهمال الماضي[1].

وقد حلل التفكير الإستراتيجي على وفق نظرة معرفية على أنه أسلوب تحليل مواقف تواجه الدولة تتميز بالتحدي والتغيير والتعامل معها من خلال النوافذ والإطار الإستراتيجي لضمان بقاء الدولة وارتقائها بمسؤولياتها الاجتماعية والأخلاقية[2].

وحدد التفكير الإستراتيجي كونه عملية تطويرية تبدأ بالتحليل وفهم ونقد مكونات الظاهرة أو المشكلة وجزئياتها وما تتضمنه من حقائق وبديهيات تنتهي بالتركيب وإضافة الأفكار التي تبنى على المنهجية الإبداعية[3].

ينبثق مفهوم التفكير الإستراتيجي من الخطط التي تؤمن المستقبل لمشروع معين عن طريق صياغة الإستراتيجية الناجحة التي تؤكد انتهاز الفرص[4].

---

(1) للمزيد انظر: التفكير الاستراتيجي، سلسلة الإدارة المثلى، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1, 2003.

(2) نعمه عباس الخفاجي، الإدارة الإستراتيجية، المداخل، المفاهيم، العمليات، عمان، الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2004، ص107.

كذلك قارن مع: د. سعد غالب ياسين، الإدارة الإستراتيجية، عمان ـــ الأردن، دار اليازوزي العلمية للنشر والتوزيع، ط 1998. وكذلك : د. فلاح حسن سعدي الحسيني، الإدارة الإستراتيجية، عمان ـ الأردن دار وائل للنشر، ط 2، 2006 .

(3) طارق شريف يونس، أنماط التفكير الإستراتيجي وأثرها في اختيار القرار، أطروحة دكتوراه فلسفة في إدارة الأعمال، غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، 1999، ص45 .

(4)Huyh Macmillan & Mahen Tampoe, Strategic Management, Oxford University Published, U.S.A. 2000,P.164 .

والأنواع الثلاثة لعملية التفكير، حيث يظهر أن التحليل نقطة البدء الحرجة في التفكير الإستراتيجي لأنه يكون بالمواجهة مع المشاكل والاتجاهات والحوادث أو الحالات التي تبدو إنها مكون متناسق كلي أو تأتي كجزء من خلال الإحساس اليومي المألوف، ليقوم المفكر الإستراتيجي بتجزئة الحالة إلى الأجزاء التي تتكون منها ثم يقوم بإعادة تركيبها بأشكال مختلفة بما يمتلكه من مرونة ذكائية تمكنه من الارتقاء مع الاستجابات الواقعية من أجل تغيير الحالات لأن الظواهر والحوادث في العالم الحقيقي لا تتطابق دائماً مع الأنموذج الخطي المعروف، وهكذا فإن أغلب الوسائل الموثوق بها في تجزئة الحالة إلى العناصر التي تتكون منها وإن الأداة الأفضل للتفكير غير الخطي هي العقل البشري.

التفكير الإستراتيجي الصحيح يتناقض بشكل حاد مع مدخل الميكانيكية التقليدية والمبني على أساس التفكير الخطي ويتناقض أيضاً مع أسلوب إسناد أي شي على الحدس والوصول إلى الاستنتاجات أو الحلول بدون أي تحليل حقيقي .

وللتفكير الإستراتيجي جملة أهداف Objectives of Strategic Thinking, منها:

إن الهدف الرئيسي للتفكير الإستراتيجي هو بقاء (Survival) الدولة، إذ يسعى لبلوغ 1ذلك من خلال ضمان موقف أو موقع مهم للدولة في العالم المتسارع التغيير.

وتشير آراء الباحثين في أن هدف البقاء يتحدد من خلال ثلاثة أهداف فرعية متكاملة ومتفاعلة مع بعضها يمكن إيجازها بالآتي:

1- **بناء رؤى (Visions) مستقبلية:** تكون ذات بعد شمولي، لكونه تفكيراً موجهاً بالفرضيات يعتمد على صيغة توجيه الأسئلة الصحيحة أكثر من إيجاد الأجوبة الصحيحة وبهذه الطريقة فإن الموضوعات المعقدة ستخضع لفهم مكوناتها وخصائصها وبديهياتها من خلال مجموعة من الأسئلة ثم يجري تركيب معطيات الأسئلة بشكل يؤدي إلى إيجاد الأجوبة الملائمة لها[1].

2- **اغتنام أكبر عدد من الفرص الرابحة:** وذلك يستلزم تجنب أو إجهاض أكبر عدد من التهديدات أو تحويلها إلى فرص، ويتحقق ذلك من خلال خلق الوقت والسرعة المناسبين للاستجابة والاندفاع نحوهما[2].

3- **تحقيق خاصية الإجماع الإستراتيجي والتفكير الجمعي (Group Thinking):** من خلال استخدام القائد الإستراتيجي لقدرته التفكيرية في بلورة آفاق التفكير لدى الوحدة القرارية معه وبالشكل الذي يدفع جميع الأطراف لقبول الالتزامات المترتبة على هذا الاجتماع وهذا سيسهم في تحقيق التوجهات الإستراتيجية للدولة[3].

إن طبيعة التفكير الإستراتيجي تتطلب تقديم فكرة عن عناصرها وكما يأتي:

---

(1)طارق شريف يونس، أنماط التفكير الإستراتيجي وأثرها في اختيار القرار: أطروحة دكتوراه فلسفة في إدارة الأعمال مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، 1999 (غير منشورة) ص 43.

(2) هشام عبد الله الغريري . إدارة البقاء، مدخل إستراتيجي، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1998، ص17.

(3) يونس . أنماط التفكير، مصدر سبق ذكره، ص44-45.

أ- **التحديد Identifying:** قبل أن يتمكن الإستراتيجي من التحرك للاستفادة من الفرص أو لمواجهة التهديدات، يجب أن يكون واعياً لهذه التهديدات وعارفاً بأهميتها وهذا الجزء من عملية التفكير هو متغير يشير إلى التحديد، الإدراك أو الشعور (Sense - making).

ب- **التشخيص Diagnosing:** على الإستراتيجي أن يكون قريباً جداً من المشكلة لكي يستطيع فهم هيكل المشكلة وأسبابها الضمنية، وهذا الجزء من عملية التفكير يشار إليه بالتشخيص والتحليل أو الانعكاس (Reflecting).

ج- **الاستشراف Conceiving:** للتعامل مع المشكلة الإستراتيجية، يجب على الإستراتيجي الوصول إلى الحل الممكن، وإذا كان هناك أكثر من حل ممكن يجب على الإستراتيجي اختيار الحل الأفضل منها، وهذا الجزء من عملية التفكير يسمى الاستشراف، الصياغة أو الرؤية (Envisioning).

د- **التحقيق Realizing :** المشكلة الإستراتيجية يتم حلها فقط عندما يتم القيام بالأنشطة التي تحقق النتائج، إذ يتوجب على الإستراتيجي القيام بأنشطة حل المشكلة وتقييم فيما إذا كانت النتائج المتأتية لإيجابية أو لا، وهذا الجزء من عملية التفكير يشار إليه بالتحقيق، التنفيذ أو العمل (Acting)[1].

رابعاً: التخطيط الوطني الشامل

التخطيط الوطني الشامل: يعني التطلع المستمر للمستقبل من خلال الاستعداد له بسياسات مدروسة مسبقاً، ومحددة الأهداف والنتائج في ضوء الإمكانات

(1)د.وائل محمد إسماعيل، محاضرات في الإستراتيجية، ملزمة مطبوعة لمحاضرات مادة الإستراتيجية للمرحلة الثالثة، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، 2006، ص74.

الحالية والمستقبلية، وهـو أوسـع وأشـمل مـن التخطـيط العـسكري بعيـد المـدى، والتخطيط لإدارة الأزمـات والتفـاوض بعيـدة المـدى، ورسـم وتخطـيط الـسياسات والمناهج العليا للدولة، وتحقيق أهدافها ومصالحها في مختلف المجـالات في شـبكة متداخلة يمثل التخطيط العسكري بعيد المدى إحدى حلقاتهـا وفي مجملهـا مهمـة وطنية يشترك في إعدادها ومتابعتها مجموعة من الأجهزة والمجالس المختصة[1] .

التخطيط الوطني الشامل وتحقيق الغايـات والأهـداف والمـصالح الوطنيـة: يتميز العصر الحديث بتبوء التخطيط الوطني الشامل مكانة كبيرة لاستخدام قـوى الدولـة الـشاملة لتحقيـق الغايـات، والأهـداف، والمـصالح الوطنيـة فهـو يـشمل التخطيط العسكري بعيد المدى، ويحدد له أهدافه ومهامه كما يتـضمن التخطـيط لإدارة الأزمات بعيد المـدى، وهـو جـزء مـن مكونـات التعامـل الـدولي، وقـد أدت التطورات الجارية في خصائص التعامل الدولي إلى:

1. صعوبة الفصل بين حالتي السلم والحرب.
2. أهميـة الاعتبـارات العـسكرية في رسـم الـسياسات واتخـاذ القـرارات السياسية.
3. ظهور تحولات تجاه دور القيادات العسكرية في مـستوياتها العليـا نتيجـة أتساع قاعـدة المؤسـسة العـسكرية وتـوافر المهـارات الفنيـة العاليـة مـما يتطلب توافر حسن سياسي لديها[2] .

---

(1)Michael Porter,what is strategy, Harvard Business Review -journal,Nov.1996.16

(2) عادل مسعود . نظريات علم الجيوبوليتكس، القاهرة، كلية الحرب العليا، 1992، ص10.

4. أهمية وجود جهاز قادر على إعداد السياسات الخاصة بإعداد قوى الدولة الشاملة لتحقيق المزج والتفاعل اللازمين لتحقيق الغايات الوطنية.

نخلص من هذا إلى أن التخطيط الوطني الشامل هو: فن وعلم يبنى على حشد، وإعداد، واستخدام قوى الدولة الشاملة سلماً وحرباً لتحقيق الأهداف والغايات الوطنية للدولة التي تحددها القيادة السياسية.

ومن أهم العوامل المؤثرة في التخطيط بعيد المدى:

أ. السياسة الخارجية والداخلية لتحقيق أهدافها وغاياتها الوطنية .

ب. الموقع الجغرافي والمجال السياسي الحيوي.

ج. العلاقات الدولية والإقليمية .

د. القدرات والإمكانات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والاجتماعية.

ه. مدى التقدم العلمي والفني .

و. الاستقرار السياسي وحرية الإرادة الوطنية .

أما قواعد التخطيط بعيد المدى[1] : هناك إحدى عشرة قاعدة، لو طبقت بشكل سليم لأصبح التخطيط سليماً على أن تكون مطابقة التنفيذ له تامة، هذه القواعد هي:

1. الاقتناع بفائدة التخطيط بعيد المدى , وكذا علم الاستشراف لكل من المخططين بعيدي النظر، ومتخذي القرار.

(1) عادل مسعود، دراسات إستراتيجية، القاهرة، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، كلية الحرب العليا، 1992، ص4.

2. ضرورة حصول المخططين على دعم وتأييد أعلى سلطة لاتخاذ القرار.
3. أهمية وجود الاتصال المباشر الدوري بين المخططين وأعلى سلطات لاتخاذ القرار.
4. التنسيق الكامل بين مجموعة التخطيط، وأي جهات أخرى لضمان الحصول على أفكار جديدة بصفة مستمرة.
5. ضمان أن تؤدي إجراءات التخطيط إلى اتخاذ قرارات في الوقت الحالي تؤثر على المستقبل.
6. ضرورة استمرار وجود مجموعة التخطيط بعيد المدى، وعدم عقدها في حالات الطوارئ أو الأزمات فقط.
7. تشكيل مجموعات طوارئ بصفة دورية لتقديم دراسات خاصة يتم وضعها في إطار التخطيط.
8. أتصاف مجموعة التخطيط بالمرونة في أعمالها وعدم ارتباطها بالتفكير الآني.
9. أن تكون الدراسات الإستشرافية واقعية غير نمطية إذ يجب على المخططين الخروج بمناهج قابلة للتنفيذ، وتضم مختلف التصورات المستقبلية، وأي أزمات يحتمل حدوثها أو مطلوب حدوثها في وقت معين لتحقيق هدف معين.
10. ضرورة التأكيد عند التخطيط بعيد المدى على الابتكار والتطوير، وتجنب الأفكار أو الأخذ بنظر الاعتبار أن المستقبل شيء مجهول أو أحداث خارجه عن التحديد أو التنبؤ بها.
11. درء معوقات التخطيط المتمثلة في[1]:

(1) المصدر نفسه، ص5 .

أ. اعتقاد متخذي القرار في ثبات المستقبل وعدم القدرة على تغييره.

ب. اعتقاد بعض الرؤساء والقادة بأن التخطيط بعيد المدى هو تهديد لسلطاتهم.

ج. قصر فترة وجود الرؤساء والقادة في مناصبهم وبالتالي عدم رغبتهم في القيام بالتخطيط بعيد المدى.

د. تحذير متخذي القرارات من اتخاذ التخطيط بعيد المدى صورة التوجه، والسيطرة عليهم فكرياً.

خامساً: التفكير المستقبلي بعيد المدى

تحديد البدائل في المستقبل هي " وصف لحالة تحدث، أو محتمل حدوثها في المستقبل وتكون مناسبة لهدف التخطيط "[1],أي بعبارة أخرى تتضمن:

1-الأحداث المقبولة: إذ تتضمن الأحداث المقبولة والممكنة التي تتوافق مع الرصد في المستقبل، ومن المنطقي توقع حدوثها، كما يتوقف معناها الحقيقي على توجيهات جهود التخطيط، ومدى رؤيتها للمستقبل وكلما ذهبنا بعيداً في المستقبل، كلما ازدادت البدائل المتاحة.

2-الأحداث المناسبة: الأحداث المناسبة لهدف التخطيط وضرورة شمول هدف التخطيط على العناصر الملائمة في المستقبل والتي يمكن التدخل لتحديدها، وبذا فقد يحتوي أي "بديل في المستقبل" على مجموعة متشابكة من التنبؤات المهمة التي

---

(1) مصطفى محمد أبو بكر . الفكر الإستراتيجي في إعداد الخطة الإستراتيجية، القاهرة، الدار الجامعية، 2000، ص7-8.

تناسب الحالـة المـستقبلية المحتملـة للأحـداث، والتـي تناسـب هـدف التخطـيط، وبالتالي، البدائل في المستقبل التي يحتمل حـدوثها في فـترة زمنيـة واحـدة تختلـف طبقاً لطبيعة هدف التخطيط ونوعية المعلومات المتيسرة.

3- استخدام البدائل في المستقبل بطرق متعـددة: فقـد يـستخدم البـديل لوصـف مجموعة من التغيرات المطلوبة أي ماذا نرغب في أن يحـدث ؟ أو قـد يـستخدم في وصف الحدود التي يمكن أن تحدث في إطارها، وقد تـشتق مـن الخطـوط العامـة الحالية، كما تعتبر خطأ أساسياً في التخطيط بعيد المدى .

4- البدائل في المستقبل ليس عمليـة التنبـؤ المجـرد (Prediction) : بـل هـو مـن أدوات التفكير المنطقي المتتالي في المستقبل، وليس التنبؤ بـه، وبهـذا المفهـوم تقـع فكرة بعد النظر في إطار التخطيط بعيـد المـدى، وتـصور تـأثير متخـذ القـرار عـلى مسارات التفكير المستقبلي، حيث ينـتج عنهـا خطـط وقـرارات في الوقـت الحـاضر تحدث تأثيرات جوهرية في البدائل المختلفة .

5- "توجه ذهني" ضروري لعمليـة التخطـيط الفعالـة طويلـة المـدى: فبـدلاً مـن محاولة التنبؤ بمستقبل يمكن تجنبه، يمكن للمخطط تبين طرق مختلفة يمكـن بهـا التأثير على المستقبل وذلك عن طريق قيامه بالتخطيط لأعمال يمكن عملها اليـوم، وبذا يصبح استخدام النظرة المستقبلية في التخطيط بعيد المدى نشاطاً فعلياً يـؤثر فيه ما نفعله اليوم[1] .

6-القدرة على التوقع والتدبير : يعتـبر الفـرق بـين التوقـع (Prediction) والتـدبير (Projection) صغيراً للغاية ومثيراً للكثير من الجدل وذلك للأسباب التالية[2]:

---

(1) المصدر نفسه، ص11 .

(2) جارات وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص38 .

أ- تنقسم عمليات التنبؤ (Forecast) بصفة عامة إلى قسمين : هما التوقع والتدبير:

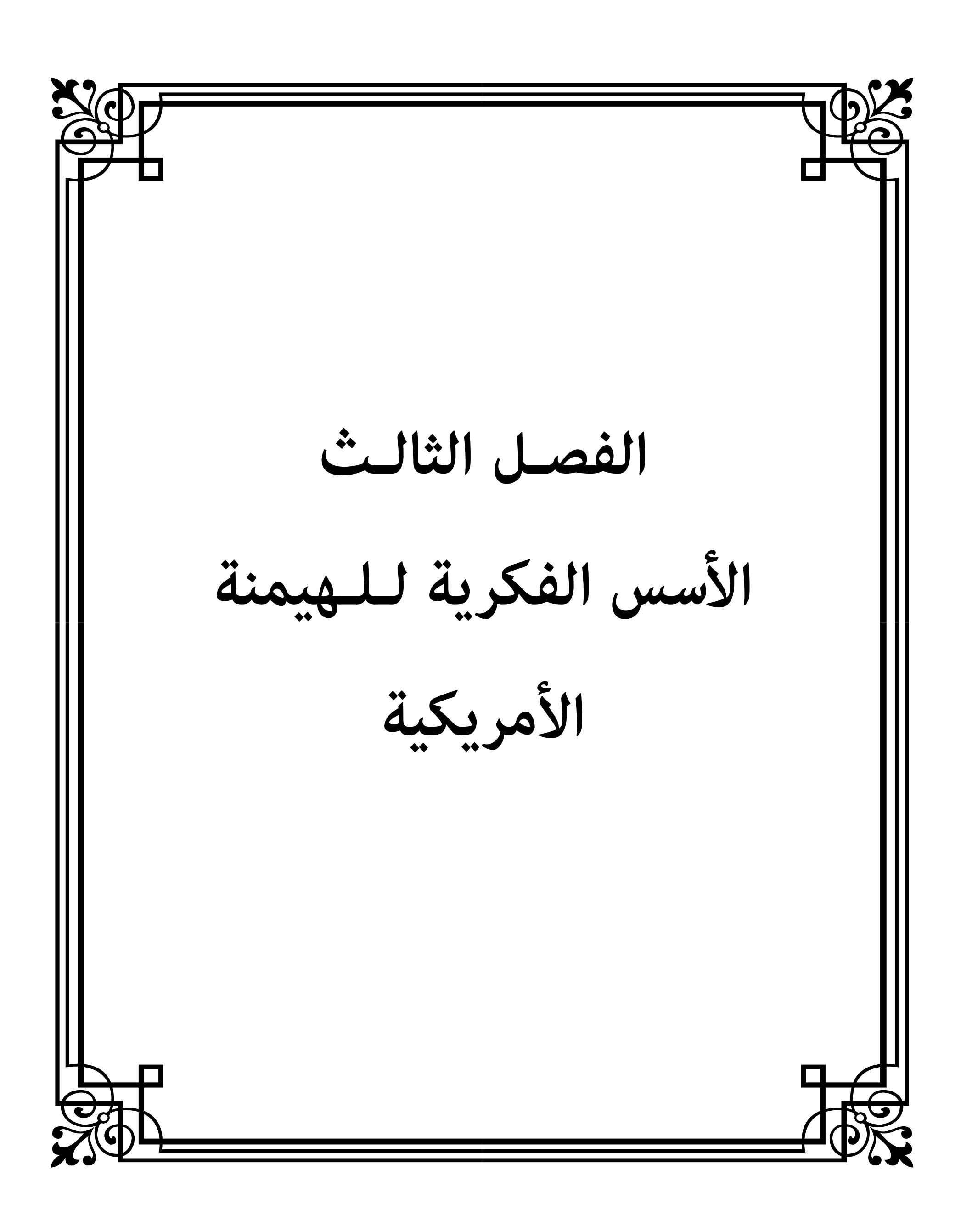
-**التوقع (Prediction)** : هو عبارة عن أقوال أو أرواء خاصة بما يمكن أن يحدث في المستقبل، وتكون بصفة عامة غامضة، أو مبهمة نظراً لعدم التدخل لمحاولة السيطرة عليها.

-**التدابير (Projection)** : هو عبارة عن آراء متفق عليها، تقوم على أساس سلسلة من الفرضيات العلمية التي تحدد بوضوح، ويمكن قياسها بالطرق العلمية الكمية والكفيلة.

ب- يمكن للمخططين المختلفين وضع فرضيات مختلفة: وبالتالي ينتج عنها نتائج مختلفة تعتبر كلها صحيحة، وهنا يمكن الاعتماد عليها طالما كان الوصول إليها منطقياً .

ج- الفرق الرئيسي بين المفهومين: هو أن "التدابير" يعتمد على دراسة احتمالات المستقبل لاتخاذ قرارات حالية تؤثر على مناخات التطبيق في المستقبل وأهمها تجنب الأزمات.

والتفكير بعيد المدى بصفة عامة، لا يرتبط اصطلاح "بعيد المدى" بفترة زمنية محددة، حيث يعتمد الاصطلاح بصفة عامة على هدف التخطيط، والفترة من (10 إلى 25) عاماً قبل ثورة المعلومات الحديثة هي أكثر الفترات فعالية للتخطيط طويل المدى، فأي فترة أقل من ذلك كانت تعتبر قصيرة المدى، ولا يتوقع فيها حدوث تغييرات واضحة يمكن أن تؤدي إلى توجهات جديدة، أو تتطلب سياسات جديدة، كما أن أي فترة أكثر من ذلك يصعب التأمل معها فكرياً، وتعُد بعيدة في المستقبل .



الفصـل الثالـث

الأسس الفكرية لـلـهيمنة الأمريكية

آلت الولايات المتحدة ومنذ نشأتها إلى اللجوء لمختلف المبررات غير المقبولة منطقياً للإيمان بها وكأنها القدر المحتوم للاستثنائية الأمريكية.

من بين أبرز تلك المبررات:

أولاً: رؤية رئيس مركز نيكسون للدراسات الإستراتيجية ديمتري سيمس

ثانياً: رؤية جون دوي

ثالثاً: مبررات واضعي السياسة الأمريكية في العالم

رابعاً: مبررات الحتمية الأمريكية

خامساً: المضمون الفكري للولايات المتحدة

سادساً: حتمية الحدود المتحركة للولايات المتحدة فكرة التوسيع

سابعاً: الأفكار الأيديولوجية العنصرية

أولاً:رؤية رئيس مركز نيكسون للدراسات الإستراتيجية ديمتري سيمس

الذي قال في مجلة (Foreign Affairs) "أن أي نظرة حقيقية للسياسة الخارجية واستراتيجيات الأمن القومي الأمريكي يجب أن تبدأ بالاعتراف أن الولايات المتحدة الأمريكية هي قوة امبريالية بغض النظر عن أراء الأمريكيين أنفسهم . إذ أن معظم دول العالم تراها كذلك ,مع أن بعض الدول تؤيد الولايات المتحدة لهذا السبب تحديداً لأنها ترى أن الإمبراطورية الجديدة يمكن أن توفر لهم الحماية ضد القوى الإقليمية الطموحة . إلا أن هنالك دولً أخرى تقاوم توجهاتها لأنها تقف حائلاً بوجه تحقيق أهدافها الوطنية .

أما الدول الأخرى فأنها تذعن لـلـهيمنة الأمريكية كإحـدى حقـائق الحيـاة التـي لا يمكن تغييرها والتي يجب القبول بها" [1].

وبالرغم من أن القادة الأمريكان كانوا دائماً حريصين على إبعـاد الـسياسات والأعمال الأمريكية من تلك التي يمكن أن تقرن مع الإمبراطوريات بفعـل الـصفات السيئة التي اقترنت مع الإمبراطوريات السابقة . إلا أنه يجب القول أن الكثـير مـن الشعوب والدول بدأت تنظر إلى الولايات المتحدة على أنها تتـصرف وتمـشي وتبـدو كواحدة وهم يستجيبون لها وفقاً لذلك [2], فالطريقـة التـي تمـارس فيهـا الولايـات المتحدة قوتها ونفوذها في كل من أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا والـشرق الأوسـط كانـت دائمـاً توصـف مـن قبـل الحركـات الـشعبية في هـذه المنـاطق بالامبرياليـة والاستعمار الجديد.

ثانياً:رؤية جون دوي

في الحقيقة فأن الاتهام بالإمبريالية للسياسة الخارجيـة الأمريكيـة قـد جـاء مبكرا من قبل واحد مـن أشـهر الفلاسـفة الأمريكـان وهـو جـون ديـوي في مقالـة نشرها في سنة 1972 تحت عنوان "الامبريالية أمـر سـهل" وكـان الفيلـسوف ديـوي يـشعر بالتنـاقض الموجـود بـين النوايـا الحقيقيـة والأفعـال في الـسياسة الخارجيـة الأمريكية ولذلك أكد "على أن الامبريالية هي نتيجة وليس هدف أو خطة معينـة" وأضـاف أن الـسياسات الأمريكيـة تجـاه المكـسيك تمتلـك كـل عنـاصر الامبرياليـة

(1) Dimitri K. Simes, "America's Imperial Dilemma" Foreign Affairs, Volume 82 No . 6, November / December 2003,p,91.

(2) Ibid , P .93,and see: Chalmers Johnson , The Sorrows Of Empire: Militarism, Secrecy , and the End of the Republic, Published by Metropolitan Book : 2003-2004 Henry Holt and Company.

حتى ولو جاء تصرف الحكومة الأمريكية من أجل الحفاظ على حرية الحركة والأملاك الشخصية للأمريكان لذلك أستنتج أن الامبريالية "يمكن أن تمنع من خلال تنظيم أو كبح الظروف التي تساعد على نشوئها" [1] .

ثالثاً: مبررات واضعي السياسة الأمريكية في العالم

راسمي السياسة الأمريكية كان لهم رأياً مختلفاً ومنذ بداية الجمهورية فالتوجهات الامبريالية كانت هي الدافع الرئيسي وراء التوسيع المستمر لمفهوم الأمن القومي الأمريكي الذي عكسته الاستراتيجيات العسكرية والسياسية والاقتصادية عبر مختلف مراحل التأريخ الأمريكي كما يشير الكاتب ستانلي كارنوف في كتابه الموثق عن الإمبراطورية الأمريكية حيث بدأ الزحف الإمبراطوري حركته في التسعينات من القرن التاسع عشر وعندما حلت تسعينات القرن العشرين كان الانتشار الإمبراطوري الأمريكي قد غطى وجه الكرة الأرضية وكانت الإمبراطوريات الأخرى قد تهاوت الواحدة أثر الأخرى بسبب الحروب ونفاذ الموارد والجهد والإرادة وكما أشار الكاتب محمد حسنين هيكل في مقالته "الإمبراطورية على الطريقة الأمريكية" تمكنت الإمبراطورية الأمريكية وفي حدود قرن واحد (القرن العشرين) أن تصبح الأقوى، والأكبر , والأعلى، والأطول، والأعراض كله في الوقت نفسه"[2].

(1) Louay M. Safi , Us Foreign Policy and National Security , a paper presented at " Islam , 9/ 11 , and National Security " Conference , American Council For the study of Islamic societies (ACSIS) William & Mary , Washington DC, March 4,2002, p . 2 .

(2) http :/ home . at. Net / louaysafi / articles / 2002 / security. htm[

رابعاً: مبررات الحتمية الأمريكية

يشير الفيلسوف الأمريكي بول كينيدي إلى كون الولايات المتحدة "كانت قد أصبحت عملاقاً اقتصاديا" في عام 1861 , وكانت بسكانها الذين يمثلون 40% فقط من سكان روسيا عام 1860 تضم عدداً من سكان الحضر يزيد على ضعف نظيره الروسي"، كما أنه من المعلوم أنه في أواخر القرن التاسع عشر ساهم المخترعون والرأسماليون الأمريكيون في حركة الابتكار التكنولوجي التي اجتاحت العالم حينها بشكل أساسي، ابتداء من تصميم وتصنيع محركات القطارات، وحتى تصنيع أدوات الاتصال المختلفة كالتليفون، والراديو تليجراف، وانعكس ذلك على التكنولوجيا العسكرية الأمريكية بطبيعة الحال، فبعد أن "كانت الولايات المتحدة تملك 4 سفن حربية فقط عام 1898، أصبحت تملك 20 سفينة حربية مع حلول عام 1909" . بعبارة أخرى كانت الولايات المتحدة تمتلك المقومات التي تؤهلها لتقلد منصب "قوة كبرى" منذ منتصف القرن التاسع عشر [1]فهي عملاق عالمي بمختلف المقومات سواء الاقتصادية منها أم العسكرية.

خامساً: المضمون الفكري للولايات المتحدة

هناك من أستند في تحليل الأولوية الأمريكية إلى قاعدة أيديولوجية صاغها العديد من أعضاء النخبة الأمريكية الذين كانوا ينظرون إلى الولايات المتحدة باعتبارها قوة عالمية يتعين عليها أن تنشر قيم الحرية والسلام والتقدم في

---

(1) محمد حسنين هيكل,الإمبراطورية على الطريقة الأمريكية,صحيفة السفير,لبنان,1آذار 2003, ص1.

العالم أجمع، وأن الحالة الأمريكية تعد حالة "استثنائية" فيما عرف بالاستثنائية الأمريكية American Exceptionalism، وأن المصير الحتمي أو الـ Manifest Destiny للشعب الأمريكي هو أن "يتوسع في أنحاء الأرض لنشر تجربة الحرية والديمقراطية الفيدرالية التي منحها الرب له"، وهو المفهوم الذي صاغه الصحفي الأمريكي الشهير جون أوسوليفان عام 1845، والذي أقام حركة سياسية فيما بعد أعطاها ذات الاسم، كما اقترنت تلك المبادئ بالنظريات العلمية أو شبه العلمية التي برزت آنذاك وصاغها شارلز داروين عن "الانتخاب الطبيعي" لا سيما بعد أن ظهرت النظرية الداروينية الاجتماعية Social Darwinism في أواخر القرن التاسع عشر والتي تبناها العديد من المفكرين الأمريكيين، كالقس جوزيا سترونج، لتبرير ما أسماه بـ"السمو الأخلاقي" أو الـ Moral Superiority للشعب الأمريكي [1] .

سادساً: حتمية الحدود المتحركة للولايات المتحدة فكرة التوسيع

امتدادا لتلك الرؤية الامبريالية يروج منظرو الإمبراطورية الأمريكية المعاصرة لفكرة الحدود المتحركة لفريدريك جاكسون تيرنر الذي يقوم على أن تأريخ الولايات المتحدة الأمريكية هو تأريخ الحدود المتحركة على الدوام ودون تردد .

(1) See Paul M. Kennedy , Rise & Fall of the Great powers : Economic Change & Military Conflict from 1500 to 2000 , Random House lnc / January 1988.

فعلى سبيل المثال يحدد عالم السياسة الأمريكي وليس حدود الولايات المتحدة بالكلمات التالية: هذه الحدود موجودة في كل مكان وفي أي مكان يمكن الوصول إليه، أن أميركا تصارع على مجمل الكرة الأرضية، في هذا السياق نظرت الولايات المتحدة لمعاهدة يالطا التي حددت مناطق النفوذ بينها وبين الاتحاد السوفيتي السابق كعقبة أمام فرض هيمنتها العالمية والكونية، ففي مذكراته أشار السناتور فاندربيرغ الصديق القريب من الرئيس فرانكلن روزفلت إلى أن الرئيس الأمريكي روزفلت صرح له أن مهمتنا الرئيسية في المستقبل تكمن في إلغاء معاهدة يالطا، ولجل ذلك كان من الضروري تحويل منظمة الأمم المتحدة إلى أداة للسياسة الخارجية الأمريكية، وعن الأهمية الجيوسياسية للحدود المتحركة يلاحظ الجنرال هاوس هوفر أن كتاب فريدريك تيرنز " أهمية الحدود في التأريخ الأمريكي " له مكانة خاصة في التأريخ الأمريكي خاصةً وأنه كتب في الوقت نفسه تقريباً الذي كتبت فيه أعمال بروكس أدمز والأميرال ماهان، فقد اعد هؤلاء المنظرون السياسيون الأساس الفكري لاستراتيجيات الأمن القومي الأمريكي ولحدوده الآخذة بالتوسع وللموقع الراهن للولايات المتحدة كقوة عالمية .

كما أنهم ربوا رجال السياسة الأمريكان البارزين الذين وضعوا الولايات المتحدة على طريق فرض هيمنتها وزعامتها في العالم، ويقول وليامز: أن النظريات الجيوسياسية القديمة لفريدريك تيرنر وماهان وبروكس أدمز في نهاية القرن التاسع عشر ولدت مرة أخرى في أشكال جديدة تتكيف مع الظروف التاريخية المعاصرة وليس من قبيل الصدفة أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في 1991 م قامت الولايات المتحدة باستخدام يوغسلافيا كميدان تجارب لفرض نظامها العالمي الجديد ومذهب الحدود المتحركة الذي لا يعترف بأية معاهدات

دولية ومن حيث الجوهر يمكن القول أن تفتيت واحتلال يوغسلافيا يعد تصويراً واضحاً للديناميكية التعسفية "للفكرة الحدودية" في السياسة الأمريكية[1].

ففي المدة السابقة على الحرب العالمية الثانية وفي أثناء هذه الحرب أحتل عالم السياسة نيكولاس سبيكمان مرتبة الأيديولوجي الرتيسي للنخبة العسكرية في الولايات المتحدة، تلك المرتبة التي أحتلها الأميرال ماهان في السابق وعرض سبيكمان المبادئ الأساسية للجيوسياسة الأمريكية في كتابيه "الإستراتيجية الأمريكية في السياسة العالمية" في 1942م و "جغرافية نظام السلمي" في 1944م وتتمارس أفكاره الأساسية مع تطور الأفكار الرئيسية التي تشكلت في فجر التوسع الأمريكي الإمبريالي : حتمية التوسع الجغرافي ونظرية الداروينية الاجتماعي للصراع الأبدي للجميع ضد الجميع في العلاقات الدولية وعبادة القوة والقناعة بأن الأقوى يحق له دائماً إخضاع الأضعف [2]، وفي سعيه لتعليل العدوانية الأمريكية يقول سبيكمان: "إن شكل الأرض نفسه يلغي الأخلاق ويعطي المبرر لتدبير الضعفاء من قبل من لديه القوة، وفي كتابه الإستراتيجية الأمريكية في السياسة العالمية الذي ترك تأثيراً كبيراً على الرئيسين فرانكلن روزفلت وترومان يقول: أن كل أشكال العنف بما فيها الحروب المدمرة مباحة في المجتمع الدولي، وهذا يعني أن الصراع على القوة، والذي يماثل الصراع من أجل البقاء وتحسين موقع القوة، هو الهدف الرئيسي للسياسة الداخلية

---

(1) ياسمين ضيف الله، " الإمبراطورية الأمريكية : تأريخ قديم ورؤى متعددة "
In:http: // www.islamonline. Net / Arabic / mafaheem / 2003 / 07 / article 01b . shtml .p 3

(2) نيقولا كريتور، الجذور الفكرية للهيمنة الأمريكية، ترجمة فاروق سعد الدين، صحيفة البيان, الأمارات المتحدة, الملحق الأسبوعي، ع152، 22 أكتوبر 2002, 6ص.

والخارجية للدول، وبالقوة فقط يمكن بلوغ أهداف السياسة الخارجية، القوة تعني القدرة على البقاء والقدرة على فرض إرادتك على الآخرين وإملاء الشروط على من لا يملك القوة، وإمكانية الحصول على تنازلات ممن لديه قوة أقل.

وإنطلاقا من النظريات المبكرة للقدر المحتوم للولايات المتحدة التي نظرت إلى التوسع الأمريكي كإرادة إلهية لا يمكن إلا الإذعان لها، أكد سبيكمان على أن سياسة القوة، أي سياسة العدوان الأمريكية تمثل ضرورة طبيعة مستقلة عن إرادة البشر وطرح سبيكمان مفهوم اضمحلال وتلاشي السيادة الوطنية حيث أقترح أن لا يأخذ النظام الدولي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بمبدأ تقرير المصير بل على العكس رأى ضرورة توحيد دول العالم في بضع تكتلات كبيرة وأعلن أن الدول الصغيرة والتي ضم إليها فرنسا وإيطاليا أصبحت أقل قدرة على الحياة مقارنة بالسابق وطالب بتصفيتها، هذه المعتقدات أتفق معها الرئيس فرانكلن روزفلت الذي أعتبر أنه لا يوجد لدى فرنسا أي مستقبل سياسي، لقد تركت أفكار سبيكمان أثراً كبيراً على فرانكلن روزفلت مثلما تركت أفكار الأميرال ماهان تأثيرها على الرئيس تيودور روزفلت في السابق.

سابعاً: الأفكار الأيديولوجية العنصرية

في عام 1900م وفي كتاب تحت عنوان "الزعامة الاقتصادية لأمريكا" روج المؤرخ بروكس أدمز للعنصرية الأمريكية بدعوته لتحويل المحيط الهادي إلى بحر أمريكي داخلي، وقامت مجموعة من المؤرخين تحت إشرافه بالتنظير لمبدأ استثنائية النظام السياسي الأمريكي ومبدأ الاختيار الإلهي لهذا النظام، وأعلنوا حق ومسؤولية الولايات المتحدة في فرض نظامها السياسي في جميع أنحاء العالم، وإيماناً بفكرة الشعب المختار وسلطته الحتمية على العالم، شرعت هذه المجموعة

من المؤرخين في أعداد الفروض الإيديولوجية للنزعـة التوسـعية الأمريكيـة العالميـة المقبلة.

ففي محاضرته "القدر المحتوم للعـرق الأنجلوسكـسوني "عـبر المـؤرخ جـون فيسكي عن ثقته في اقتراب ذلك اليوم، الذي سوف ينتشر فيه النظام الأمريكي "من القطب إلى القطب" وفي كـلا القـسمين مـن الكـرة الأرضـية "وتفـرض فيـه هيمنـة وزعامة الولايات المتحـدة" وفي كتابـه علـم الـسياسة والقـانون الدسـتوري المقـارن الصادر عام 1890م أشار جون باردجيس إلى أن التنظـيم الـسياسي للـدول يحـدده الطابع العرقي للسكان وأن الانجلوسكسون هم العرق السياسي الأرقي، ولذلك رأى أن أمام الولايات المتحدة رسالة تكمن في نشر نظامها في كل إنحاء العالم.

ورأى هودزون مكسيم أن التوسع هو قانون الطبيعة ولـن تكـون الولايـات المتحدة قادرة على الحياة إذا لم تخضع لهذا القانون وقال: "أن قوانين الطبيعة التي كشف عنها دارون تجعل النزعة التوسعية الأمريكية المـصدر البيولـوجي للولايـات المتحدة حيث أن الدولة مثلها مثل الكائن البيولوجي، وفي صراعه من أجـل البقـاء أما أن ينتصر وأما أن يمـوت هـذا الكـائن ونتيجـة للتفـوق العرقـي فـأن الولايـات المتحدة الأمريكية سيكتب لها النصر" .

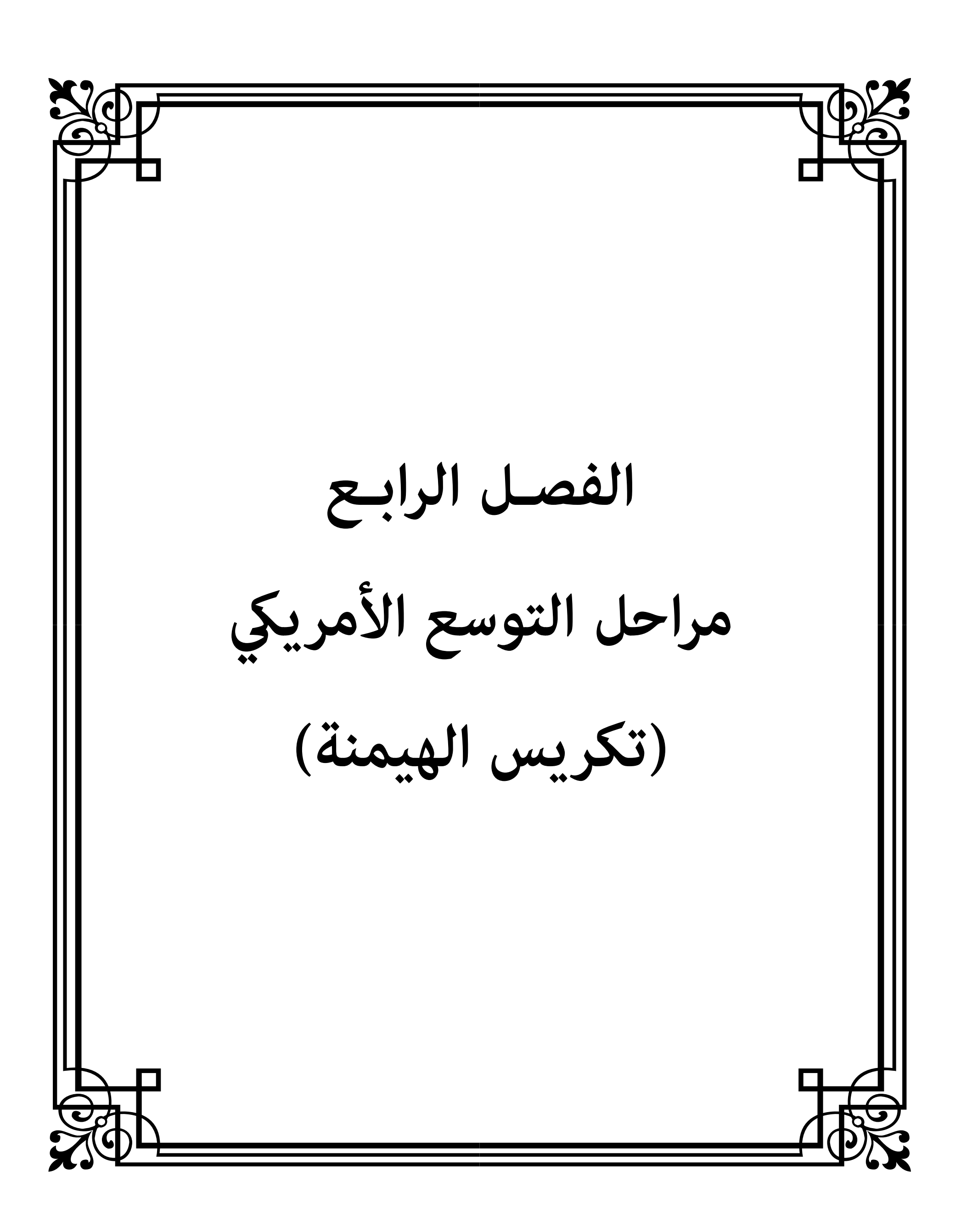
على نفس المنوال أكـد جـيمس سـترونج أن " إرادة اللـــه تكمـن في أمركـة العالم "، وفي كتابه مستقبل بلدنا المحتمـل، الـصادر في عـام 1885م، أشـار سـترونج إلى أن العـالم دخـل في مرحلـة جديـدة مـن التطـور التـاريخي – مرحلـة الـصراع العرقي العدائي وأن العـرق الانجلوسكـسوني الـذي يمتلـك طاقـة فريـدة مـن أجـل فـرض مؤسـساته الـسياسية، يتحـرك في كـل مكـان مـن الأرض وسـوف يتقـدم إلى

المكسيك ووسط وجنوب أمريكا وإلى الجزر في المحيط وبعد ذلك إلى أفريقيا وهكذا دواليك [1].

إن الجيوسياسة الأمريكية في السنوات الأولى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية استندت في تطلعها لفرض الهيمنة الأمريكية العالمية إلى الخصائص الأسطورية والخرافية وإلى ما يسمى بالرسالة الحضارية للأنجلوسكسون عامة وللأمريكان خاصة، وفي محاولة لتعليل وإثبات التفوق المزعوم على الشعوب الأخرى، أستند الباحثون الأمريكيون إلى الظروف الطبيعية "الفريدة" والمحيط الجغرافي للولايات المتحدة، والتي في رأيهم تعد ملائمة لتحويل الأمريكان إلى شعب الله المختار، ويعٌد كتاب عالم الاجتماع والجغرافي الأمريكي المعروف صموئيل هنتنغتون "القوى الرئيسية المحركة للحضارة"، الذي صدر بعد الحرب العالمية الثانية، من الأمثلة الساطعة على تشابك وامتزاج العنصرية بالجيوبوليتكا، ففي هذا الكتاب قام هنتنغتون بمهمة تعليل وإثبات "الرسالة الحضارية للأنجلوسكسون عامة وللأمريكان خاصة" ولتحقيق هذا الهدف أعتمد على الجغرافية الطبيعية والنظريات الداروينية الاجتماعية المختلفة، وفي إطار الحديث عن "القدرة المقارنة للأمم على الحياة" نظر هنتنغتون إلى الولايات المتحدة وإنجلترا كأمة أكثر قدرة على الحياة في العالم، لقد أكد هنتنغتون في العديد من أعماله على أن الأمريكان هم العرق البشري الأرقى بيولوجياً، وبصفاقة مذهلة برر واحدة من أسود صفحات تأريخ الولايات المتحدة – إبادة الهنود الحمر .

---

(1) المصدر نفسه,ص14.



الفصـل الرابـع

مراحل التوسع الأمريكي

(تكريس الهيمنة)

يشير المؤرخ زيمرمان إلى أن المنظومة الفكرية التي أشرنا إليها في أعلاه والتي تبلورت عبر مختلف مراحل التأريخ الأمريكي كان لها عظيم الأثر على السياسات التوسعية التي تبناها العديد من الرؤساء الأمريكيين، وبذا ووفقاً لهذا المنظور يمكن القول أن التأريخ الأمريكي منذ نشأة الولايات المتحدة وحتى الآن ما هو إلا سلسلة من الحركات التوسعية التي استهدفت تحقيق المصلحة القومية الأمريكية العليا والمتمثلة في ثلاثية الثروة والقيم /الدين والقوة كما يسميها الباحث المصري سمير مرقص[1].

لقد بدأت الولايات المتحدة وفور انتهاء الحرب الأهلية بالتطلع إلى كل من آسيا وأوربا باحثة عن موارد الثروة والغنى، ولأن الولايات المتحدة لم تجهز بعد لأوربا التي كانت قوية حينذاك فأن الخطط الحربية الأمريكية كانت تتركز باتجاه آسيا عبر الباسفيكي، وكانت واحدة من أولى الدعوات إلى الحرب والتوسع الإمبراطوري، هي تلك التي أطلقها مجموعة من ضباط البحرية بزعامة الأميرال ستيفن لويس، في عام 1890، والتي نادت بضرورة أن تتحول الولايات المتحدة إلى دولة حرب "لأن الحرب تجربة ليس لها نظير في تمتين وحدة الشعوب، وكشف صلابة معدنها وتنشيط هممها وتفتيح عقولها وداعيها إلى حسن استغلال مواردها المادية والمعنوية" وقد بلغ الأمر ببعض المنادين بضرورة التوسع إلى قيامهم بأخذ زمام الأمور على عاتقهم باختلاف الفرص وتلفيقه ومنهم قنصل أمريكا في جزر هاواي الذي شجع مجموعة من زراع القصب وعددا من أصحاب الأموال وطائفة من قساوسة الكنيسة للقيام بانقلاب على

(1) ياسمين سامي ضيف الله، الإمبراطورية الأمريكية : تأريخ قديم ورؤى متعددة، جامعة القاهرة-قسم العلوم السياسية,د.ت,ص4.

ملكة الجزر، وبالفعل جرى ترتيب الانقلاب أثناء وجود السفينة الحربية الأمريكية الزائرة بوسطن، وقد كتب القنصل برقية إلى واشنطن يقول فيها "أن واجبات الشرف تحتم علينا أن نحتل هذه الجزر ملكاً خالصاً للولايات المتحدة وإذا لم نفعل ذلك فأن الحكومة البريطانية سوف تفعله باعتبار أن الكابتن الانكليزي كوك هو أول من وصل إلى هذه الجزر وأكتشفها"، ونجد من المفيد أن نذكر هنا ما كتبه المفكر والمؤرخ جورج كينان بعد ستين سنة تعليقاً على برقية القنصل حينما قال "أنه منذ ذلك اليوم أصبحت تعبيرات مثل واجب الشرف، ومهمة مقدسة، وحتمية ضرورية تعبيرات شائعة تفصل وتطرز كساء لمطالب القوة الأمريكية [1] .

وفي عام 1898 جاء الدور على الفلبين فتقدمت قطع من الأسطول الأمريكي إلى خليج كوريجيور لاحتلالها بداعي إنقاذها من أزمة داخلية، وقد كشفت عملية احتلال الفلبين أحدى أهم السمات التي أتصف بها الزحف الإمبراطوري الأمريكي إلا وهي العنف والقتل المتعمد والذي ظل ملازماً له حتى الوقت الحاضر، ففي التقرير الذي أعده أحد أعضاء الكونغرس بعد زيارة قام بها إلى الفلبين أشار إلى ما نصه أن القوات الأمريكية اكتسحت كل أرض ظهرت عليها مقاومة ولم تترك هنالك فلبينياً واحداً إلا وقتلته، وكذلك لم يعد في هذا البلد رافضون للوجود الأمريكي لأنه لم يتبق منهم أحد، أن الجنود الأمريكيين قتلوا كل رجل وامرأة وكل طفل وكل سجين أو أسير وكل مشتبه به ابتداء من سن العاشرة واعتقادهم أن الفلبيني ليس أفضل من كلبه وخصوصاً أن الأوامر الصادرة إليهم من قائدهم الجنرال فرانكلين قالت لا أريد أسرى ولا أريد سجلات مكتوبة .

---

(1) هيكل، مصدر سبق ذكره،ص2.

في بداية القرن العشرين ظهرت تيـارات فاعلـة في الولايـات المتحـدة تتأمـل وتدرس أحوال الإمبراطوريات الأوربية المتصارعة وتفكر فعلاً في أرثها، وقد وجـدت الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة المثيرة مـن أوائـل القـرن العـشرين وقبـل الحرب العالمية الأولى أنه وبعد زوال إمبراطورية أسبانيا والبرتغال فأن أمامها عـدد مـن الإمبراطوريـات القويـة بريطانيـا وفرنـسا والإمبراطوريـات القلقـة الروسـية والنمساوية والخلافة الإسلامية، لذلك ما أن قامت الحرب العالمية الأولى كأن أنصار المشروع الإمبراطوري الأمريكي وأولهم الرئيس وودر ويلسون يتطلعون إلى المشاركة الفعلية في الحرب رغـم مـا صرح بـت الـرئيس عنـدما قـال مـا نـصه، أن الولايـات المتحدة محايدة في هذه الحرب، ولم يكن ذلك صحيحاً لأن الولايات المتحدة كانـت شريكاً في تلك الحرب من أول يوم لأن مصالحها الإسـتراتيجية تقتـضي منـع انتـصار ألمانيا على بريطانيا وفرنسا لأن مثـل هـذا الانتـصار سيـضع عـلى الـساحة الدوليـة إمبراطورية جديدة قادرة على التصدي للمخططات الامبرياليـة الأمريكيـة، وتظهـر الوثائق الأمريكية - ومنها أوراق الرئيس ويلسون - أن الولايات راودها عند دخـول الحرب أن تنتدب للوصاية على بعـض بلـدان الـشرق الأدنى ومنهـا فلـسطين إلا أن ذلك الحلم لم يتحقق حينذاك، لقد قدرت السياسة الأمريكيـة حينـذاك أن النتـائج ولو أنها غير وافية بمطالبها الإمبراطورية المستقبلية، هي أقصى ما تسمح بـت تلـك اللحظة الدولية وأن عليه انتظار فرصة أخرى مقبلة خصوصاً أن ما بقي أمامها من الإمبراطوريات بريطانيا وفرنسا محكوم عليها بالزوال بـرغم انتـصارها في الحـرب العالمية الأولى، لقـد قـررت الولايـات المتحـدة أن تـترك أوربـا وعـصبة الأمـم التـي تـشكلت أثـر الحـرب والعـودة مـرة أخـرى إلى سياسـة العزلـة الأمريكيـة، وقـد

علق الرئيس ويلسون بملاحظة مؤداها، إن الإمبراطوريات العجوزة لا تريد أن تذهب إلى نهايتها بهدوء مثل الأفيال المرهقة بالسنين الطوال.

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية وجدت الولايات المتحدة الفرصة سانحة لأن تقفل صفحة الإمبراطوريات القديمة وتفتح صفحة الإمبراطورية الأمريكية، لأنها الأغنى والأقوى والأكثر تقدماً، ولأنها تعتبر نفسها وحدها القادرة على فرض السلام والأمن في العالم، وكانت الإستراتيجية الأمريكية لتحقيق ذلك هي مماثلة لتلك التي أتبعتها أثناء الحرب العالمية الأولى ومؤداها الحيلولة دون انتصار ألمانيا وإيطاليا لأن الإمبراطوريات الجديدة تكون أكثر عنفواناً من تلك القديمة وبالتالي فأن هتلر وموسيليني يجب أن لا ينتصرا، غير أن الاختلاف هذه المرة يجب أن يكون جذرياً في النتائج التي ستؤدي إليها الحرب، فقد رأى الرئيس فرانكلين روزفلت أن بريطانيا وفرنسا لا بد أن يخرجا من الحرب منتصرتين إلا أنهما غير قادرتين على الاحتفاظ بإمبراطورياتها الشاسعة في أسيا وأفريقيا، فما حدث بعد الحرب العالمية الأولى يجب أن لا يتكرر وإلا فأن الولايات المتحدة لن تتمكن من فرض رؤيتها وتصوراتها على مصير العالم وشعوبه، وما أن انتهت الحرب العالمية الثانية التي أنهكت قوى جميع الأطراف المتحاربة باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية التي خرجت أقوى من السابق بكثير إلا ووجد الرئيس روزفلت أن الفرصة سانحة لأن تؤول أملاك فرنسا وبريطانيا في عموم أسيا وأفريقيا إلى أمريكا، وبالرغم من العناد والمقاومة والمطاولة البريطانية التي عبر عنها رئيس الوزراء البريطاني تشرشل إزاء التوجهات الأمريكية كان يعرف أن هذه المعركة لا يمكن حسمها بصراع

مكشوف وهي لا تحتاج إلى عنف المواجهة لأن حقائق القوة هي الحكم الأول والأخير في بقاء الإمبراطوريات أو زوالها [1] .

عندما انهارت الإمبراطورية البريطانية، كانت الحرب الباردة مع الإتحاد السوفيتي تملأ ساحة الصراع العالمي وكانت الإمبراطورية الأمريكية تديرها من ناحيتها بإصرار مارس كل أساليب الحرب النفسية والاقتصادية والسياسية، لقد قامت الولايات المتحدة بتطويق الإتحاد السوفيتي بسلسلة من الأحلاف العسكرية وأولها حلف شمال الأطلسي وحلف جنوب شرق أسيا (لمواجهة الصين حليف السوفيت وقتها) وحلف بغداد الذي تعثر بعد حرب السويس سنة 1956، وعندما انتهت الحرب الباردة كانت الإمبراطورية السوفيتية تلفظ أنفاسها الأخيرة وكانت أملاكها تنتقل كلياً إلى الإمبراطورية الأمريكية، وكانت نتيجة كل ذلك، كما أشار هنري كيسنجر في عام 2001 في كتابه " هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية "، أن الولايات المتحدة تمكنت بنهاية القرن الماضي من تحقيق هيمنة لم تتمتع بها أي من الإمبراطوريات العظيمة في الماضي[2]، وتشير الباحثة في جامعة القاهرة ياسمين ضيف الله إلى أنه يمكن النظر إلى السياسة الخارجية الأمريكية منذ نهاية الحرب الباردة التي تقوم على تعزيز مكانة الولايات المتحدة العالمية بما يحفظ لها الريادة في قيادة العالم والحفاظ على بقاء أمريكا القطب المهيمن على السياسة والاقتصاد العالميين، والإبقاء على حالة التفوق العسكري بتطوير أنظمة دفاعية وعسكرية تضمن لها السيطرة

---

(1) المصدر نفسه,ص15.

(2) Henry Kissinger , Does America Need a Foreign Policy , New York : Simon & Shuster , 2001,p.68.

وتعمل على تحييد القدرات العسكرية للدول الكبرى الأخرى في العالم، يمكن النظر إلى هذه السياسة باعتبارها تمثـل اسـتمرارا لا انقطاعـا لـسياسة الولايـات المتحـدة تاريخيا ومنذ نشأتها، ليس فقط منذ انهيار القطب المنـاوئ لهـا في عـام 1990، ولا حتى منذ بزوغها كقوة عظمى في أعقاب الحرب الثانية، بل منذ القرن التاسع عشر عندما قامت الولايات المتحدة بغزو واحتلال كـل مـن كوبـا وبورتوريكـو والفلبـين وهاواي وجوام أبان الحرب الأمريكية – الاسبانية التي استمرت بين عـامي 1898 و 1903.

وفقـاً للرؤيـا التاريخيـة الـواردة في أعـلاه يمكـن تلخـيص مراحـل التوسـع الإمبراطـوري اسـتنادا إلى الباحـث والمـؤرخ الأمـريكي زيمرمـان بسلـسلة مـن أربـع حلقات متعاقبة وكالآتي :

أولاً: مرحلة التوسع القاري

ثانياً: مرحلة التوسع بالحروب الكبرى

ثالثاً: مرحلة الحرب الباردة

رابعاً: مرحلة ما بعد الحرب الباردة

أولاً: مرحلة التوسع القاري

تتمثل في التوسع القاري أي التوسع داخل القارة الأمريكية من شرق القـارة المطل على المحيط الأطلنطي إلى غربها المطل عـلى المحـيط الهـادي، ومـن جنوبهـا المطل على البحر الكاريبي إلى شمالها المقارب لمحيط القطب الشمالي، والذي مثـل تراكم رأس المال التجاري المحرك المـادي لـه، ومثلـت مبـادئ القدريـة Fatalism، والمصير المحتوم Manifest Destiny أساسه الأيدلوجي.

ثانياً: مرحلة التوسع بالحروب الكبرى

أما التوسع الثاني فهو ذاك الذي تمثل في الحرب الأمريكية – الإسبانية والتي كانت بمثابة التوسع الإقليمي للولايات المتحدة باتجاه الجنوب، المتمثل في كل من كوبا وبورتوريكو وجوام والفلبين، وهي المستعمرات التي أجبرت أسبانيا على التراجع منها أبان حربها مع الولايات المتحدة، ومنذ ذلك الحين اندلعت الحرب العالمية الأولى، أمتد النفوذ الأمريكي ليشمل بلاد أمريكا الوسطى واللاتينية، أو ما يسمى بمنطقة الفناء الخلفي للولايات المتحدة، وكانت عملية التوسع في خلال هذه الفترة مدفوعة بالتراكم الرأسمالي الكبير في أمريكا والذي ساهمت عملية التوسع القاري في تحقيقه بشكل كبير .

ثالثاً: مرحلة الحرب الباردة

المرحلة التوسعية الثالثة فهي تلك الممتدة في الفترة ما بين 1946 و 1991، والتي تمثلت في حالة التنافس بين قطبي النظام الدولي المتمثلين في الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي، والذي أنتج توسعاً أمريكياً تمثل في محاولة السيطرة على أوربا من خلال تقديم الدعم الاقتصادي لها بموجب خطة مارشال ثم من خلال إنشاء حلف الناتو وما استتبعه ذلك من تواجد عسكري أمريكي في القارة الأوربية، وإتباع الأخيرة لسياسة الردع والاحتواء في إطار تلك العلاقات التنافسية التي سادت بين الطرفين، كما أتسم توسع الولايات المتحدة نحو الجنوب بإنشائها لأحلاف عسكرية مع كل من أستراليا ونيوزيلاندا، واليابان، والجمهورية الكورية والفلبين، ودخولها في صراع مع الإتحاد السوفيتي في مناطق النفوذ المتنازع عليها بين الطرفين في أفريقيا والشرق الأوسط.

رابعاً: مرحلة ما بعد الحرب الباردة

أما المرحلة التوسعية الرابعة فهي تلك التي نشبت بعد انقضاء الحرب الباردة، وهي المرحلة التي وصل فيها الاقتصاد الأمريكي إلى ذروة ازدهارها، واستخدمت الولايات المتحدة تفوقها الاقتصادي والعسكري والثقافي لتكريس موقعها كقوة عظمى على الساحة الدولية، فعلى الصعيد العسكري تمتلك الولايات المتحدة خمس قواعد عسكرية مركزية موزعة على أنحاء العالم ينتشر بها ما يربو على مليون جندي أمريكي، أما على الصعيد الاقتصادي فإلى جانب كون الدخل القومي الأمريكي هو الأعلى على المستوى الدولي، فأن بعض التحليلات تذهب إلى أن التفاعلات الاقتصادية الدولية، والمحكومة بمنطق العولمة القائم على الاعتماد المتبادل وحرية انتقال رؤوس الأموال والاستثمار، هي تفاعلات قائمة على مصالح قطاع الأعمال الأمريكي بشكل رئيسي [1].

وهكذا فأن الأصوات الأمريكية التي نادت بتأسيس (إمبراطورية أمريكية) وبحلول قرن أمريكي جديد تمثل امتدادا طبيعياً للسلوك الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأتها، وليس تحولاً فيه البتة، إلا أن نتائج هذه المرحلة لن يتم حسمها إلا بعد أن تحسم نتيجة الحرب الأمريكية ضد (الإرهاب)، وتعليقاً على المشروع الإمبراطوري الأمريكي علق الكاتب محمد حسنين هيكل قائلاً (أن أي مشروع إمبراطوري يطرح نفسه على الأزمة الحديثة، يتعين عليه أن يتقدم إلى مقصده على مراحل واحدة بعد الأخرى،

---

(1) محمد حسنين هيكل، جيوش تبحث عن غطاء, ص2.

In: http ://www.alfikralarabi . com/modules . php name=News&new_topic=16.

وعليه فأن المشروع الإمبراطوري الأمريكي طرح نفسه على زمانه خلال مراحل لكل واحدة لبوسها) وقد حدد هيكل هذه المراحل بالآتي:

1- **مرحلة الإغواء:** في مرحلة أولى كان الأسلوب هو الغواية عبر نموذج الحياة الأمريكية وحرية كل فرد في السعي وراء الفرصة والسعادة.

2- **مرحلة يافطة مشاركة العالم:** في مرحلة ثانية كان الاستعداد لمشاركة العالم مقاديره , كما حدث في الحرب العالمية الأولى حين جاءت الجيوش الأمريكية من وراء البحار طرفاً في معركة الإمبراطوريات العجوزة أو الطامعة.

3- **مرحلة إعلان المبادئ وتكريسها:** كان الطرح الأمريكي استجابة لنداء المبدأ كما حدث في حالة النقاط الأربعة عشر التي أعلنه الرئيس وودرو ويلسون بعد الحرب العالمية الأولى حقاً لكل شعوب الأرض في تقرير مصيرها .

4- **مرحلة تحمل عبء أمن الآخرين:** كان الأسلوب بلوغ هو تحمل العبء الأكبر من ضريبة الحرية في الحرب العالمية الثانية ضد الفاشية والنازية.

5- **مرحلة السعي لقيادة العالم:** كان الأسلوب بلوغ مرحلة قيادة العالم في المواجهة ضد الشيوعية، وكانت للولايات المتحدة فيها وسيلتان : المساعدات الاقتصادية من ناحية، وأعمال المخابرات الخفية من ناحية أخرى وأخيراً المرحلة السادسة، ولم يعد للمشروع الأمريكي أن يتخفى أو يداوي لأن تفوق القوة وتفردها أدى إلى اعتبار السلاح أداة للمشروع تسبق غيرها من الأدوات وتقدمها دون تردد .

إن نظرة فاحصة إلى السياسة الخارجية الأمريكية، وخاصةً خلال الخمسين سنة الأخيرة من القرن الماضي، تكشف لنا كيف تحولت تدريجياً مبادئ وأسس تلك السياسة من الإيمان بقيم الحرية والحكم الذاتي وحقوق

الإنسان إلى قيم أخرى تكون فيها حرية الآخرين وحقوقهم خاضعة بالكامل للمصالح القومية الأمريكية الجيوبولتيكية والاقتصادية مصالح الإمبراطورية الأمريكية، فقد أعلن الرئيس الأمريكي هاري ترمان في عام 1945 أثنتا عشر نقطة أسماها المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية , أكد ترومان في جميع هذه المبادئ على التزام أمريكا بالحرية وحق الآخرين بحكم أنفسهم غير أنه شدد في النقطة الأولى على أن الولايات المتحدة لم ولن تسعى إلى التوسع الجغرافي لتحقيق المكاسب الذاتية، ليس لدينا أي خطط للاعتداء على أي دولة أخرى صغيرة أو كبيرة وليس لدينا أي حاجة لأن نصطدم مع الأهداف السلمية لأي دولة أخرى، هكذا تحدث ترومان وبالرغم من التشدق المستمر من قبل القادة الأمريكان بهذه المبادئ إلا أن الحقيقة المرة هي أن الولايات المتحدة لا ينظر إليها في مختلف أرجاء العالم كراعية للحرية والديمقراطية وإنما كداعمة للأنظمة الديكتاتورية والعسكرية لشمولية وخاصة في الشرق الأوسط [1].

فقد كانت المخابرات المركزية الأمريكية هي المهندس الذي خطط ونفذ الانقلاب على حكومة محمد مصدق المنتخبة من قبل الشعب لإعادة نظام الشاه إلى سدة الحكم في عام 1945، وبالرغم من علم الإدارة الأمريكية بوحشية هذا النظام فقد استمر الشاه بالحصول على الدعم من قبل الرؤساء الأمريكان وأخرهم جيمي كارتر الذي كال المديح والتقدير للشاه قبل الإطاحة به بفترة قصيرة أما في العراق فبعد أن تم إخراج القوات العراقية من الكويت في عاصفة الصحراء وبعد أن تم تدمير البنى التحتية الأساسية للعراق فرضت قوات

(1) Harry Truman , " Fundamentals of American Foreign policy 1945 " , in Michael B. Levy , political thought in America , Homewood, Illinois: Dorsey press , 1982 ,p.428.

التحالف حصاراً اقتصاديا شاملاً عليه ولمدة عشرة سنوات كانت شعوب الشرق الأوسط ونشطاء حقوق الإنسان والعاملين في الجانب الإنساني يراقبون عن كثب وبفزع شديد كيف مات مئات الآلاف من العراقيين جراء سوء التغذية والجود والمرض، لذلك ينظر العراقيين والإيرانيين والكثير من أبناء الشعوب العربية والإسلامية إلى الولايات المتحدة كقوة عسكرية متطورة تكنولوجياً ليس لديها أي التزامات أخلاقية، أن ما يهمها هي مصالحها الإستراتيجية فقط، من جهة أخرى كان العرب والمسلمون في مختلف أنحاء الأرض يراقبون إسرائيل وهي تتوسع باستمرار على حساب الدول العربية فقد سمحت الولايات المتحدة لإسرائيل لا بل وقدمت لها الدعم والإسناد العسكري والاقتصادي والمعنوي لأن تحتل الضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان وجنوب لبنان، بالرغم من قرارات الأمم المتحدة المتنامية وانتهاكها للقانون الدولي، لقد أدى ذلك إلى إثارة مشاعر العداء لدى الكثيرين من العرب والمسلمين ضد الولايات المتحدة الأمريكية، وفي الحقيقة فأن الشرق الوسط يعتبر مثالاً نموذجياً للنتائج السلبية للسياسة الخارجية الأمريكية المعبرة عن المصالح الإمبريالية للإمبراطورية الجديدة، فالسياسة الخارجية الأمريكية، كما تدعو لها مؤسسة التراث HERITAGE ذات النفوذ القوي على الإدارات الأمريكية المتعاقبة، وكما جرى تطبيقها منذ منتصف القرن الماضي أو حتى قبله، مبنية على ثلاث أسس وهي :

1- **إن على** الولايات المتحدة توسيع الحرية والديمقراطية في بقية مناطق العالم لأن تلك هي الأرضية الأخلاقية الوحيدة التي يمكن من خلالها تبرير استخدام القوة العسكرية من قبلنا .

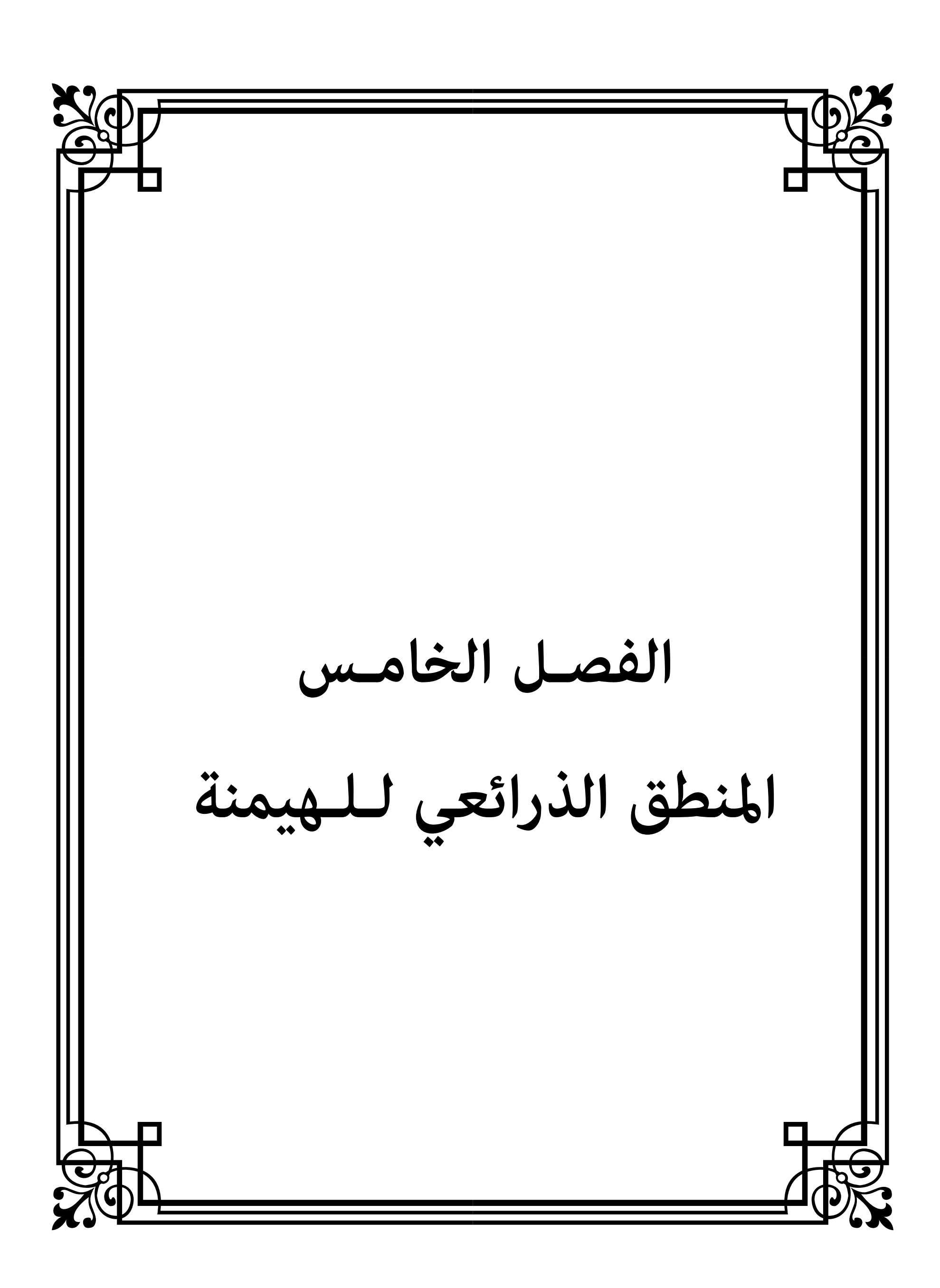
2- **إن همومنا** الأخلاقية بشأن الحرية والديمقراطية يجب أن تختصر إزاء الاهتمام بالمصالح القومية الأمريكية الاقتصادية والجيوبولتيكية.

3- **من أجل خلق** التناغم بين المبدأين (1 و 2) يجب على الولايات المتحدة أن تعمل وفق مبدأ المشاركة الانتقائية SELECTIVE ENGAGEMENT والتي سيتم من خلالها إخضاع همومنا الأخلاقية لمصالحنا الاقتصادية (1).

إن مبادئ السياسة الخارجية أعلاه وصفت بشكل دقيق للسياسة الخارجية الأمريكية التي صارت مستعدة للتضحية بالمبادئ العالمية في الحق والعدل والحرية وإخضاعها للمصالح الأمريكية القومية والتي قادت لأن تكون الأمم المتحدة وقراراتها مجرد وسيلة مناسبة يتم اللجوء إليها متى ما خدم ذلك الإستراتيجية الأمريكية في التفرد والهيمنة، وقد أشار ريتشارد هاس وهو عضو سابق في مجلس الأمن القومي ومدير دائرة التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية حالياً في دراسته المعنونة (أمريكا الامبريالية) إلى حقيقة الدور الامبريالي الذي يجب أن تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية على النطاق الدولي لتحقيق مصالحها الكونية فقد أشار في البداية إلى أنه من الضروري جداً بالنسبة للأمريكان أن يعيدوا تصور دورهم في العالم من كونهم دولة تقليدية إلى كونهم أصبحوا قوة امبريالية وأنه يجب الاعتراف بذلك من أجل دعم أو

(1) Kim Holmes and Thomas Moore ,eds. , Restoring American Leadership : US Foreign policy and Defense Blueprint ,Washington , DC : the Heritage Foundation , 1996 .

تعزيز الطموحات الامبريالية لواشنطن، أضاف هاس أن السؤال الذي يواجه السياسة الخارجية الأمريكية هو ماذا يمكن لنا أن نعمل بفائض القوة والمزايا المهمة التي يوفرها هذا الفائض للولايات المتحدة الأمريكية ؟ أن هذا الفائض كما يجيب هاس، يمكن استخدامه فقط من خلال الاعتراف بأنه لدى الولايات المتحدة مصالح امبريالية بحجم مصالح بريطانيا في القرن التاسع عشر.



الفصـل الخامـس

المنطق الذرائعي لـلـهيمنة

لم تكن أحداث الحادي عشر من أيلول حدثاً عادياً في تاريخ العلاقات الدولية، إذ أدت إلى تغيير وجه العالم ونمط التفاعلات بين مفرداته وشكل المنظمات الدولية. وأصبح معهوداً الآن بين المحللين السياسيين الحديث عن عالمين مختلفين: عالم ما قبل وعالم ما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول. وهذا يؤكد مدى التأثير الذي أحدثته تلك الأحداث. وليس لهذه الأهمية الخاصة التي حظيت بها تلك الأحداث علاقة جوهرية بتعداد الضحايا الذين خلفتهم تلك الأحداث. فإضعاف أضعاف هؤلاء الضحايا سقطوا جراء استخدام الولايات المتحدة نفسها للسلاح النووي للمرة الأولى والأخيرة حتى الآن في الحرب العالمية الثانية. ومات آلاف من العراقيين بسبب الحصار الجائر الذي فرضته الولايات المتحدة أيضاً وحليفتها بريطانيا على العراق لمدة تزيد على احد عشر عاما من الزمان بعد حرب الخليج الثانية عام 1991. لقد كانت أحداث الحادي عشر من أيلول هائلة التأثير بالنظر إلى إنها استهدفت أقوى قوة في العالم إلا وهي الولايات المتحدة الأمريكية. إضافة إلى ذلك، تنبع أهمية الحدث أيضا كما يشير الكاتب الروسي الدكتور ليونيد سوكانين، من أن الولايات المتحدة قامت بتوظيف هذا الحدث كذريعة "لإعادة تشكيل خريطة العالم" وتأكيد هيمنتها الدولية ولإعادة ترتيب العالم والعلاقات الدولية. ومن هنا لقد جعلت الولايات المتحدة منه أساساً لعالم جديد، للعالم كما تتصوره هي على أضوء الضربة التي تلقتها، أي لعالم خال من القوى المعادية لها. فقد تحولت حربها ضد الإرهاب إلى حرب لتصفية كل الحركات السياسية والعنيفة التي قد تشكل تحدياً لها، وإلى إعادة ترتيب الساحة الدولية وفق منظورها. [1]

---

(1) د. ليونيد سوكانين، "واشنطن استغلت الأحداث لإعادة تشكيل خريطة العالم" صحيفة البيان الاماراتية -الملف الأسبوعي- ع 591 في 13 أيلول 2002، ص1.

ووفقاً لهذا المنطق أصبحت أحداث 11 أيلول حدثاً مؤسساً لحقبة جديدة لن تنهي الصراع ولا يراد لها أن تنهيه، لا بين الدول الكبرى ولا بين الشمال والجنوب، ولكنها تضعنا في سياق جديد لاستمرار الصراع ونموه. فهو فرصة سانحة أمريكياً لإجبار جميع الدول الأخرى على الاصطفاف وراء أمريكا والسير على أساس الأجندة الأمريكية التي ستصبح هي الأجندة الأساسية المعتمدة لأي تحالف أو تفاهم دولي.. لقد خلق الحدث بالفعل أوضاعاً جيوسياسية جديدة، كما وخلق أجندة جديدة للولايات المتحدة، وخلق تحديات جديدة لكل الدول في مواجهة المستقبل وإعادة بناء العلاقات الدولية. باختصار وكما يشير الفيلسوف الأمريكي نعوم تشومسكي وفرت أحداث 11 أيلول 2001 فرصة ذهبية لواشنطن لإعادة ترتيب جدول الأولويات العالمي، ووضع قضية ما يسمى بـ"مكافحة الإرهاب الدولي" على رأس ذلك الجدول، واستغلال فرصة التوافق العالمي على إدانة جريمة نيويورك لتمرير إجراءات أخرى لا تعبأ بسيادات الدول وتسهل عمليات التدخل في شؤونها الداخلية.

ولقد بدت هذه الإجراءات سهلة التناول والتطبيق مع إعلان الرئيس بوش الحاسم عن انقسام العالم إلى "من معنا ومن مع الإرهاب"، لتبدو واشنطن "كنيابة عامة دولية" تقف على رأس نظام عالمي ينبغي على الآخرين أما الانخراط فيه أو البقاء على هامشه مع ما يتطلب هذا الموقف من مجازفة بمصالحهم المستقبلية.(1)

غير انه وقبل الدخول في تفصيلات الأهداف السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تسعى واشنطن إلى تحقيقها تحت ذريعة "مكافحة الإرهاب

(1) Noam Chomsky, Dominance and its Dilemmas Znet, October 10, 2003. p.1. At [http://www.zmag. org/ content/ show article. Cfm/ Sectional D= 40 & items ID = 4332

الدولي"، وكيف تم تطبيق المفاهيم الإستراتيجية الجديدة التي وردت في وثيقة الأمن القومي وخاصة مبدأ الضربات الإستباقية ولماذا تم استهداف العرب والمسلمين في هذه الحرب، لابد من التطرق إلى الفهم الأمريكي لمصطلح "الحرب على الإرهاب" وإلى أشكال الإرهاب التي عانت منها الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث. من هنا فان هذا البحث سيتناول الإرهاب الجديد الذي تواجهه الولايات المتحدة الأمريكية والآثار والانعكاسات الواسعة للحرب الأمريكية ضد الإرهاب على النظام الدولي والعلاقات الدولية وكيف تمكنت الولايات المتحدة من توظيف مفهومها لهذه الحرب لإعادة صياغة العلاقات الدولية وفرض هيمنتها على المسرح الدولي ضاربة عرض الحائط كافة المعاهدات والقوانين والأعراف الدولية. وسنحاول الإجابة على التساؤلات حول طبيعة الأهداف والدوافع الحقيقية لهذه الحرب التي قد تطول إلى عشرات السنين حسب تعبير الرئيس الأمريكي بوش، ولماذا تم استهداف العرب والمسلمين تحديداً دون كل شعوب الأرض؟ وتأسيساً على ما ورد سيتم توزيع البحث إلى المحاور الآتية:

أولاً: الإرهاب: الشكل الرئيسي للصراع المسلح على الساحة الدولية.

ثانياً: ذريعة مكافحة الإرهاب الدولي أداة لتحقيق الهيمنة الكونية الشاملة وإعادة صياغة العلاقات الدولية.

ثالثاً: الولايات المتحدة والبحث عن العدو تحت ذريعة مكافحة الإرهاب.

رابعاً: الدوافع الإستراتيجية للحرب على الإرهاب.

أولاً: الإرهاب الشكل الرئيس للصراع المسلح على الساحة الدولية

وللوقوف على الموضوع لابد من تناول ما يلي:

1- لماذا مصطلح "الحرب على الإرهاب"؟:بداية لابد من الإشارة إلى أن مصطلح "الحرب على الإرهاب" الذي عممته الإدارة الأمريكية كان مصطلحا أيديولوجيا أكثر منه سياسياً. ولدى سحبه إلى منطق السياسة التبس الأمر على مجمل سكان الأرض وبدا من منطق القراءة الأولية إنها الحرب ضد الجميع. كان السؤال الأولي الذي أثاره المصطلح هو كيف سيكون الفرز، فالعشرات من الدول والحركات كانت تتبنى نهجاً مسلحاً بمنطق وقوانين زمن الحرب الباردة، فمن من هذه الحركات والدول سيتم تصنيفه داخل خانة الإرهاب ومن سيتم تصنيفه خارجها وعلى أي أسس. ولم تتح الولايات المتحدة أية فرصة للمناقشة وأغلقت الأبواب في وجه دعاة التفاوض حول تعريف الإرهاب، وسارت قدماً نحو تنفيذ الأهداف التي حددتها للحملة ضد الإرهاب، غير عابئة بما صدر من ملاحظات عن عدد من الدول الكبرى "روسيا، فرنسا، الصين" حول ضرورة الاتفاق على أهداف الحملة، والمسؤوليات المشتركة بشأنها وأهمية أن تتم تحت راية الأمم المتحدة، واستناداً إلى قرارات الشرعية الدولية. فالولايات المتحدة لها معايير خاصة في تعيين معنى الإرهاب لا يشاطرها العالم إياها. وكما يشير الباحث والمختص بالشؤون الدولية الدكتور عبد العزيز بلقزيز، "أنها تعتبر إرهابا كل ما مس مصالحها ومصالح الدولة اليهودية بإضرار مادية أو بشرية. وربما أضافت إلى ذلك ما مس مصالح بريطانيا أساسا، ودول أوربا بشكل ثانوي، من أضرار ناجمة عن عمليات عنف معادية لها من منظمات مسلحة. [1]

(1) التطورات الأخيرة في الولايات المتحدة وانعكاساتها العربية (حلقة نقاشية) في كتاب "العرب والعالم بعد 11 أيلول/ سبتمبر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002، ص68-69.

وعن مفهوم الإدارة الأمريكية للإرهاب يقول مستشار الأمن القومي الأسبق بريجنسكي: إننا كبلد (الولايات المتحدة) ننزلق شيئاً فشيئاً نحو تكوين نظرة إلى العالم قائمة على البارانويا. إننا نضخم مخاوفنا وإذا كنا نرغب في تدعيم أمننا القومي فعلينا أن نسعى إلى تحديد أهداف مشتركة مع العالم الخارجي. والواقع إننا عاجزون عن تحقيق ذلك لأننا نفسر الأمور بمنطق الكوارث والطوفانية، فالخبراء في الإرهاب لا ينفكون يتحدثون عن مؤامرات جديدة. في قطاعات النقل العامة يعلنون باستمرار عن حصول "أعمال مشبوهة". وهنا اسأل ما معنى مشبوه؟ هل هو شخص من لون وأصول معينة؟ لقد رفعنا أسامة بن لادن إلى مرتبة الرجل الخارق "السوبر مان" الذي يهددنا يوميا. ليس هذا هو العالم الذي نحتاج إليه وأضاف بريجنسكي: أن مبدأ "الحرب على الإرهاب" لا ينبع من تحليل سليم للمشكلة فمن هم الإرهابيون؟ ومن أين أتوا؟ ما هي دوافعهم؟ إن للإرهاب أسبابا خاصة، والأجدى معالجة هذه الأسباب. إن الإرهاب في ذاته ليس عدوا بل هو تقنية. [1]

لقد تمكنت الإدارة الأمريكية وبطريقة مقصودة أن تحول عبارة الحرب ضد الإرهاب إلى فزاعة تخيف بها المجتمع الدولي، وداخلياً إلى مادة الهاء دعائية. وبدا إن هناك عمليتين سياسيتين يتم ترتيبهما في آن واحد الأولى تتم في إطار واقعي ومسؤول تتجه إلى تتبع الفلول الأصولية الوارد تورطها في تفكير عفوي ضد أهداف أمريكية ـ والثانية هي هدم وإعادة بناء النظام الدولي ووحداته

(1) زبغينيو بريجنسكي، السياسة الأمريكية في العراق بحاجة إلى إعادة تقويم جذرية، مجلة العصر في: 10-6-2004

http: // www. Alasr. Ws/ index. Cfm Fuse action content ID = 5429 & category ID = 20.

السياسية وفلسفته وأهدافه طبقاً للواقع الجديد الذي ترتب بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وطبقاً لحقيقة إن الولايات المتحدة احتكرت احتكاراً يكاد يكون مطلقاً مؤسسة القوة أو بالأدق مؤسسة قوة الحسم في العالم. وقد شملت الأدبيات الأمريكية الرسمية الخاصة بالحرب ضد الإرهاب مراوحة بين الاتجاهين، وحملت هذه الأدبيات طبيعة ازدواجية متناقضة فبينما هي غرقت في الأدلجة والخطابة والدعاية والادعاء السياسي كان كثيراً مما حملته يحمل قيمة واقعية من باب إننا لسنا بصدد خطاب تصوري أو غير واعي وإنما بصدد خطاب نظام سياسي يملك القوة الكاسحة وان الكثير من الصياغات المتعلقة بتهديدات هذه الجهة أو تلك لا تستمد صدقيتها أو عدمها من صحة هذا الأمر أو خطئه وإنما من دلالة قوله والحقائق الوارد ترتبها على ذكره وعلى إمكانية اللجوء إلى القوة العسكرية من قبل إدارة بوش انطلاقاً من القناعة به كما أوضح جوزيف. س. ناي مساعد وزير الدفاع في عهد كلينتون.[1]

إن الأولوية في هذه الحرب هي إجهاض وتدمير المنظمات الإرهابية على المستوى العالمي، تدمير جهاز قيادتها وأجهزة السيطرة والتحكم فيها وشبكات اتصالها ومصادر دعمها المادي. وحدد التوجه الخطوات المفترضة لأعمال هذا التصور والذي يتمثل في العمل المباشر والمستمر باستخدام كافة عناصر القوة المحلية والعالمية والتركيز كهدف عاجل على منع الإرهابيين من الوصول إلى أسلحة الدمار الشامل والدفاع عن الولايات المتحدة الأمريكية ومواطنيها ومصالحها بكشف وتدمير الأخطار الإرهابية قبل أن تصل إلى الحدود الأمريكية، والتركيز على مبدأ إن الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحرب

---

(1) جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، ترجمة: د. محمد توفيق البجيرمي، الرياض، مكتبة العبيكان للنشر، ط1، 2004، ص 280 – 298.

وان كانت ستعمل على التعاون مع الدول الأخرى والمجتمع الدولي فإنها لن تـتردد عند الضرورة في أن تعمل بشكل منفرد وستمارس حق الدفاع عـن الـنفس بتنفيـذ ضربات إجهاضية ووقائية ضد الإرهـابيين لمـنعهم مـن إيـذاء أمريكـا والأمـريكيين، ورفض التواطؤ على ممارسات توفير الملاذ للإرهابيين وإجبـار الـدول عـلى ممارسـة مسؤولياتها السيادية وشن حرب أفكـار لكـسب المعركـة وذلـك باسـتخدام النفـوذ الأمريكي الكامل والعمل مع الأصدقاء والحلفاء للتأكيد عـلى إن الإرهـاب آمـر غـير شرعي ويجب النظر إليه بوصـفه مثلـه مثـل الـرق والقرصـنة والمـذابح الجماعيـة، ودعم المعتدلين في العالم الإسلامي لضمان أن لا يجد الإرهاب في هذه البلدان تربـة خصبة له ولفت أنظار المجتمع إلى المناطق الأولى بالرعاية واستخدام الدبلوماسـية الفعالة لضمان حرية تدفق المعلومات والأفكار لإعطاء أمل للشعوب.[1]

ويبلـور الباحـث الأمـريكي المتميـز لينـاور مـارتن بمعهـد الدراسـات الإسـتراتيجية تـداعيات التـأثر الأمـريكي بالمدرسـة الأمنيـة الـصهيونية في ورقـة مهمـة صـدرت في تمـوز 2003م حملـت عنـوان (تقيـيم تـأثير التـأثير الأمـريكي على العالم العربي) وترصد هذه الورقـة إن الإدارة الأمريكيـة الحاليـة وفي إطـار ما تسميه الحرب ضد الإرهاب مضت أشواطا في العلاقـة الإسـتراتيجية الخاصـة مـع إسرائيـل تتجـاوز كافـة الإدارات الأمريكيـة الـسابقة، فـصحيح إن العلاقـة الأمريكيـة الإسرائيليـة في زمـن الحـرب البـاردة كانـت اسـتثنائية مـع ذلـك فان أمريكا ـ كما يرى الباحث ـ حاولت أن تـوازن ذلـك بوسـاطة سياسـية بـين إسرائيل والفلـسطينيين. أمـا الإدارة الحاليـة فاختلطـت لـديها الأوراق وأصـبح

(1) بوب وود وارد، حرب بوش، ترجمة: حسين عبد الواحد، القاهرة، مـدبولي الـصغير للنـشر، 2003، ص 90-145.

مقاومة المد الأصولي وقرار الاستقرار في العـراق والانحيـاز الكامـل "لإسرائيـل" أمـر واحد. من ثم فـإن هـذا المـسلك سـيرتب عليـه أضرار جـسيمة في علاقـة الولايـات المتحدة مع الأردن ومصر ودول مجلس التعاون الخليجي ومختلف الدول العربيـة والإسلامية. [1]

لقد استقر في جوهر التفكير الأمني الأمـريكي محـددان واضـحان أولهـما إن الحرب على الإرهاب هي الفرصة الجديدة والمتجددة للولايات المتحـدة لـلـهيمنة على النظام العالمي الجديد بعد أن ألح منظرو المحافظون الجـدد إن مـا حـدث في حرب الخليج الأولى على العراق من وقـف للحـرب وانـسحاب يجـب أن لا يتكـرر والثاني هو اسرلة السياسة الأمريكية تماماً وقطع أي صـلة بـتراث المدرسـة الواقعيـة القديمة.

وعلى الصعيد العملي تمكنـت الولايـات المتحـدة ومـن خـلال تبنـي ذريعـة الحرب ضد الإرهاب من تحقيق الخطوات العملية الآتية:

أ. الحرب على أفغانستان بحجة القضاء على أسامة بن لادن وتنظـيم القاعـدة وطالبان وفلول الأصولية المسلحة.

ب. الحرب على العراق بحجة القضاء على صدام حسين وأسلحة الدمار الشامل.

ج. تغيير أوضاع الأمن الداخلي الأمـريكي بتعيـين وزيـر داخليـة وإقـرار قـوانين معادية للحريات مثل مـا سـمى بالبنـد الـوطني والتوسـع في قـانون الأدلـة السرية.

---

(1) خالد محمود، أسرلة الحرب على الإرهاب أفقدتها مصداقيتها، صحيفة البيـان الإماراتيـة، الملـف السياسي، 19 كانون الأول 2003، ص3.

د. التوسع في ما سمى بالتعاون الأمني الخارجي بما ينتهي فعلياً إلى إنهاء سيادة الدول على مواطنيها وإنشاء شبكة أمنية مركزية ترتبط بأجهزة الأمن الداخلي الأمريكي تغطي كل مكان في العالم، يشمل هذا التوسيع اختراق السيطرة على النظام المالي العالمي والأسواق المالية العالمية بحجة مقاومة تمويل الإرهاب وقد كان آخر دلائل هذا النهج ما نشرته الصحف المصرية من إرسال أجهزة أمريكية من خطابات تحتوي على تعليمات تطلب الإبلاغ عن أرقام حسابات منظمة حماس إن وجدت، هذه الخطابات أرسلت مباشرة من السلطات الأمنية الأمريكية إلى البنوك المحلية المصرية دون المرور بالدولة المصرية أو إدارة الخارجية والداخلية. كما يضم أيضا تصميم سياسات تسيطر على شبكات العالم الاتصالية.

ه. ترتيب سياسات شرق أوسطية جديدة تضمن أمنا أكثر للولايات المتحدة وحلفائها وفي مقدمتهم إسرائيل على صعيدي الصراع العربي الإسرائيلي وقضية الأصولية المسلحة.

و. ترتيب الأمن والاستراتيجيات الأمريكية على قاعدة افتراض السيناريو الأسوأ بحيث لا يتكرر ما حدث في أيلول 2001.

ز. ترتيب العلاقات الأمريكية الأوربية على أسس جديدة ينتهي بحق الولايات المتحدة في احتكار الملف الأمني العالمي ويتبقى فيها لأوربا حق المشاركة الاقتصادية في الحضارة العولمية على نحو ما شرحه توماس فريدمان.

ويشكك الكاتب نعوم تشومسكي في الوصول إلى الحقيقة في أحداث أيلول ويشكك بناء على ذلك من أن تكون الضربات التي وجهت لأفغانستان كان مقصوداً بها القبض على الملا عمر أو الظواهري أو بن لادن، ويرى

تشومسكي إن واشنطن لو كانت راغبة في الوصول إلى الحقائق وليس ممارسة استعراض قوة أو فعل دعائي لحاصرت وحاولت وحققت، ولا نحت إلى إلقاء حمم الموت على القرى الأفغانية لتردمها وفي قلبها الحقيقة. ويمكن قول نفس الشيء في الحرب على العراق. فمن اللحظة الأولى كانت محاولة إلحاق الحرب على العراق بأجندة الحرب على الإرهاب أمراً تعسفياً لما كان معروفاً لكل العالم من معاداة الحكم البعثي العراقي بجذرية للفكر الأصولي من جهة كما لم يسمح النظام للقوى الديمقراطية الكلاسيكية بالتنفس ولم يكن يقبل وجودا أصوليا في الحياة السياسية.[(1)]

2- **الإرهاب الجديد:** الشكل الرئيسي للصراع على الساحة الدولية:مثلت هجمات 11 أيلول في نيويورك وواشنطن نقلة نوعية هامة في تطور ظاهرة الإرهاب. وبدت اقرب إلى ما يعرف بـ(الإرهاب الجديد)، أكثر من كونها شكلا من أشكال الإرهاب التقليدي القديم. وكان مفهوم الإرهاب الجديد قد دخل إلى الأدبيات السياسية خلال عقد التسعينات من جانب العديد من الأكاديميين والسياسيين بوصفه شكلاً متميزاً من أشكال الإرهاب، تحركه الإيديولوجيات ذات الأساس ألاثني المتطرف أو ذات الأساس الديني المتشدد، سواء الديانات السماوية أو الوضعية. كما يتميز هذا الشكل باعتماده على شبكات تنظيمية واسعة، بالإضافة إلى كونه أكثر تصميماً على استخدام أسلحة الدمار الشامل لضرب أهداف محددة. وقد شاع استخدام هذا المصطلح بصفة خاصة من جانب اللجان العديدة التي شكلها الكونغرس الأمريكي، مثل لجان

(1) سول لانداو، الإمبراطورية الإستباقية، ترجمة ليلى النابلسي، بيروت، شركة الحوار الثقافي، ط1، 2005، ص 178-190؛ وكذلك انظر: وليام بولك، الواقع والخيارات في حرب العراق، مجلة المستقبل العربي، ع 311، كانون الثاني، 2005، ص 10-11.

بريمر وجيلمور ودويتشن والتي ركزت على دراسة أشكال الإرهاب المختلفة التي يحتمل أن تتعرض لها الولايات المتحدة. وقد حذرت هذه اللجان من إن هذا الإرهاب الجديد ربما يلجأ إلى تنفيذ هجمات واسعة النطاق في الولايات المتحدة وربما يتم في هذه الهجمات استخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، بقصد إحداث أثار نفسية ضخمة، حتى ولو كانت الهجمات محدودة النطاق.[1]

وفي هذا النطاق شكلت هجمات 11 أيلول نقلة نوعية خطيرة في نمط الإرهاب الجديد، ولاسيما من حيث دلالتها الواضحة فيما يتعلق بالاتجاه التصاعدي في نطاق وحجم والعمليات الإرهابية والآثار التدميرية المترتبة عليها. فقد شهدت الولايات المتحدة أولا محاولة تفجير مركز التجارة العالمي (شباط 1993) وتفجير سفارتي الولايات المتحدة في تنزانيا وكينيا (آب 1998)، وهجمات نيويورك وواشنطن (11 أيلول 2001). وفي هذه العمليات ظل عدد الضحايا والدمار يزداد بصورة طردية. حتى وصل إلى ذروته في هجمات نيويورك وواشنطن. بل إن عدد الضحايا زاد عن عدد ضحايا الكثير من الحروب التقليدية التي خاضتها الولايات المتحدة، وهو ما دفع بظاهرة الإرهاب إلى مستوى نوعي جديد. ومن ثم ليس من قبيل المبالغة القول إن أحداث 11 أيلول شكلت نقطة تحول في النظام الدولي حيث أصبح الإرهاب الجديد واحداً فهو لم يعد شكلاً من الأشكال الرئيسية، إن لم يكن الشكل الرئيسي، للصراع المسلح على الساحة الدولية، ولم يعد مجرد أداة من أدوات الصراع المسلح، ولكنه أصبح شكلاً مستقلاً بذاته، بل ربما جاز القول

(1) Ambassador I. Paul Bremer 111 (Chairman), Countering the Changing Nature of International Terrorism, Report of the National Commission on Terrorism, Pursuant to Public Law 227, 105th Congress

انه أصبح بديلاً للحروب التقليدية في الكثير من الحالات على الساحة الدولية.[1]

ولا تقتصر أهمية هذا التحول على ما يمثله من تهديد جديد جزئياً للأمن الدولي ولكن أيضا على ما استثاره من ردود أفعال من جانب الولايات المتحدة والقوى الدولية الأخرى، والتي لم تقتصر فقط على شن حملة دولية واسعة بقيادة الولايات المتحدة ضد الإرهاب، ولكنها وصلت إلى تبني الرئيس الأمريكي جورج بوش لموقف يقوم على إن "وقف الإرهاب ومحاسبة الدول التي ترعاه أصبح التركيز الأساسي للإدارة الأمريكية" وهو ما يعني بجلاء إن إحداث 11 أيلول قد غيرت السياسة الخارجية الأمريكية بصورة جذرية، حيث أصبحت هذه السياسة موجهة بالكامل نحو أهداف مكافحة الإرهاب، وما ينطوي عليه هذا الأمر من تخصيص للموارد المادية والبشرية وإعادة تشكيل التحالفات الخارجية الأمريكية وعلاقاتها الدولية، وهو ما يعتبر أوضح تعبير عن المكانة التي بات الإرهاب يحتلها كشكل رئيسي من أشكال الصراع المسلح على الساحة الدولية. [2]

وتمثل هجمات 11 أيلول ذروة تطور طويل في ظاهرة الإرهاب، وهو تطور لا يقتصر فقط على مضمون وطبيعة العمل الإرهابي بحد ذاته، ولكنه يمتد أيضا إلى متغيرات البيئة الدولية التي يتحرك فيها، والتي تعتبر العامل الرئيسي وراء التحول في أشكال الإرهاب الدولي. فأشكال الإرهاب تختلف وتتطور مع الزمن، كما يتأثر الإرهاب إلى حد كبير بخصائص النظام الدولي

---

(1) احمد إبراهيم محمود، الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية، مجلة السياسة الدولية المصرية: ع 147، كانون الثاني، 2002، ص45.

(2) المصدر نفسه، ص45.

وتوازناته، والتي تترك بالضرورة تأثيراً جوهرياً على ظاهرة الإرهاب، من حيث الأهداف والآليات. ومن هذا المنظور، فان الإرهاب الجديد يمثل في واقع الأمر الجيل الثالث في تطور الظاهرة الإرهابية في العصر الحديث بعد كل موجة من موجات الإرهاب القومي المتطرف (الذي اجتاح أوربا منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى عقد الثلاثينيات من القرن الماضي) وموجة الإرهاب ذات الطابع الإيديولوجي (التي انتشرت إبان الحرب الباردة). [1]

أما الجيل الثالث الحالي، فهو إرهاب يتسم بخصائص متميزة ومختلفة عن إرهاب العقود السابقة من حيث التنظيم والتسليح والأهداف. فمن حيث التنظيم تتسم جماعات الإرهاب الجديد بغلبة النمط العابر للجنسيات، إذ نظم أفرادا ينتمون إلى جنسيات مختلفة، ولا تجمعهما قضايا قومية، ولكن تجمعهما إيديولوجية دينية أو سياسية محددة. كما تنتقل هذه الجماعات من مكان إلى آخر مما يجعل من الصعب متابعتها أو تعقبها أو استهدافها. أما من حيث الأهداف فان الإرهاب الجديد يركز على إيقاع اكبر عدد من الخسائر، مادياً وبشرياً، وليس فقط مجرد لفت النظر إلى المطالب السياسية والعقائدية على غرار إرهاب السبعينات والثمانينات. وأخيرا فان الإرهاب الجديد أصبح قادراً على استعمال واستخدام منظومات تسليحية أكثر تطوراً وتعقيداً، بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية والنووية والإشعاعية. [2]

---

(1) Mark Juergensmeyer, "Understanding the New Terrorism" Current History, April , 2002. p. p. 158-163.

(2) Grain Cameron, "Nuclear Terrorism: a Real Threat" Jane's Intelligence Review, London, Vol. 8, No.9. Sep. 1996. P. 422 .

وكانت الولايات المتحدة بصفة خاصة هـدفاً رئيـسياً للعديـد مـن عمليـات الإرهاب الجديد، سواء بسبب مكانتها الدولية كقوة عظمى وحيدة في عالم ما بعـد الحرب الباردة، أو بسبب ما تتسم به سياستها الخارجيـة مـن اخـتلالات وتحيـزات صارخة. وقـد عانـت الولايـات المتحـدة مـن نـوعين مـن الإرهـاب هـما: الإرهـاب الداخلي، والإرهاب الخارجي. فالإرهاب الداخلي هو الذي تقوم به عنـاصر داخليـة من المتطرفين. وكانت ابرز العمليات الإرهابية لهذا النوع من الإرهاب هي عمليـة اكلاهوما التي قام بها تيمثي ماكفي. أما الإرهـاب الخـارجي، فهـو الإرهـاب الـذي تقوم به دول أو منظمات أجنبية بهدف التأثير على الـسياسة الخارجيـة الأمريكيـة لتحدي مكانة الولايات المتحدة العالمية.. وتقوم بهذا النوع من الإرهاب ثلاثة أنواع مـن التنظـيمات هـي: مـنظمات إرهابيـة رسـمية، وإرهـاب مـدعوم مـن الـدول، ومتطرفين فرديين أو غير منتظمين في هياكل تنظيمية متماسكة. وعـلى الـرغم مـن أن الإدارات الأمريكيـة المتعاقبـة أولـت اهتمامـاً جـدياً لمكافحـة الإرهـاب، فـان المسؤولين الأمريكيين أكدوا في العديد من المناسبات انه ليست هناك مناعة كاملـة في مواجهة الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة، وفي ضوء التطور المتواصـل في المستوى التكنولوجي للعمليات الإرهابية، وتطور التكتيكات الإرهابية، بالإضافة إلى إن الجماعات الإرهابيـة باتـت تبـدي عزمـاً وتـصميماً وقـدرة متزايـدة عـلى ضرب الأهداف الأمريكية، بما في ذلك محاولة الجماعات الإرهابية الحـصول عـلى أسـلحة الدمار الشامل. [1]

(1) J.Greeh, "Threat of Terrorism to the United States". Statement by the Director of the Federal Bureau of the Investing action Before ht United States Senate, Armed Forces and Select Committee on Intelligence, May 10, 2201

وقـد انطـوت هـذه الهجـمات مـن حيـث الوسـائل والآليـات عـلى تطـور جوهري، وأبرزها تطوير تكتيك إرهابي جديد يقوم على استخدام طـائرات الركـاب المدنية النفاذة كقنابل طائرة. كما أكدت الهجمات عـلى اخـتراق التهديـد الإرهـابي لعمق الولايات المتحدة، وهي مسألة كانت قد بدأت بشكل محـدود مـع محاولـة تفجير مركز التجارة العالمي في شباط 1993، والتي أسـفرت عـن مقتـل سـتة إفـراد وإصابة ألف فرد، ثم وصـلت إلى ذروتهـا مـع هجـمات نيويـورك وواشـنطن في 11 أيلول 2001. وقد عكست الهجمات أيضا قدرة عالية أيضا من جانب المنفذين على إخفاء مراحل التخطيط والتجهيز، والحيلولة دون تمكين أجهزة الاستخبارات والأمن القومي الأمريكية من اكتشافها وإحباطها في مراحلهـا الأوليـة، رغـم مـا تتمتـع بـه هذه الأجهزة من قدرات فائقة التطور في مختلف مجالات العمل الإستخباري.

ثانياً: ذريعـة مكافحـة الإرهـاب الـدولي أداة لتحقيـق الهيمنـة الكونيـة الـشاملة وإعادة صياغة العلاقات الدولية

لقـد دخلـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في حقبـة جديـدة مـن تاريخهـا السياسي والفكري بعد إحداث الحادي عشر من أيلول قوامهـا الاسـتبداد والـتحكم العالمي، ليس لانتهاجها لسياسات متعجرفة مـع مختلـف شـعوب الأرض فحـسب، ولكن أيضاً لأنها قضت على كل النماذج والقيم التـي طالمـا تغنـى بهـا الأمريكيـون باعتباره مهـد القـيم العالميـة. وعـلى الـرغم مـن أن الولايـات المتحـدة قـد حددت لنفسها هدفاً محورياً غداة وقوع أحداث أيلـول تمثـل في "مكافحـة الإرهاب الدولي"، فإنها في الواقع قد استخدمت هذا الهدف لإخفاء أهـداف أخرى كونية أبعد ما تكون من مكافحة ما يسمى بالإرهـاب الـدولي. بـل لا نبالغ إذا قلنا إن الولايـات المتحـدة نفـسها قـد أصـبحت "أكـثر مـن يمـارس

هذا الإرهاب". وقد اتخذت فكرة الحرب على الإرهاب التي ابتدعتها عقول "المحافظين الجدد" أشكالاً وأبعادا متعددة، تفوق ما لدى الأمم والجماعات الأخرى من تصور لهذه الفكرة، لعل أكثرها دلالة هو اعتبار مقاومة الاحتلال من أفعال الإرهاب الدولي. [1]

وقد وضحت خلال السنوات التي أعقبت احتلال أفغانستان والعراق بعض الأمور التي تدل على الأهداف والنوايا الأمريكية التي ربما أمكن تلخيصها بالإشارة إلى تغلب البنتاغون على وزارتي الخارجية والخزانة في الصراع الدائر في البيت الأبيض، وأن سياسة أمريكا الحربية والخارجية وضعت من جانب صقور البنتاغون بمساعدة مكتب نائب الرئيس ومجلس الأمن القومي وجمهرة اليمنيين المتطرفين من أنصار خلايا التفكير والتحليل الموالية (لإسرائيل). وأما الأصوات المعتدلة، فقد تم إسكاتها وتهميشها.

ترى ما هي والحالة هذه الأهداف الرئيسية لسياسة بوش الخارجية والأمنية؟ فقد أصبح واضحاً إن الولايات المتحدة تريد استخدام قوتها العسكرية لتحقيق هيمنة شاملة على العالم والاحتفاظ بهذه الهيمنة في المستقبل المنظور. وهي قد أعلنت صراحة أنها تنوي منع ظهور أي منافس يمكن أن يتحداها أنها تريد نظاماً عالمياً أحادي القطب تهيمن عليه وحدها لا عالماً متعدد الأقطاب كالذي تفضله دول مثل ألمانيا وروسيا والصين وفرنسا تصبح فيه التسويات والتنازلات المتبادلة في مصالح الدول المختلفة أمراً ضرورياً كما

---

(1) محمد حسنين هيكل، الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، القاهرة، دار الشروق، ط2، كانون الأول 2003، ص 243 – 286.

يوضح ذلك الكاتب الشهير في الشؤون الإستراتيجية الأمريكية روبرت كاجان.[1]

من هذا المنظور، تبدو الحرب على الإرهاب" الأمريكية مجرد غطاء لسعيها إلى تحقيق هيمنة شاملة، وهذا الانطباع مبني على كون الدول التي استهدفها العداء الأمريكي ليس لأنها ترعى الإرهاب ولكن لأنها رفضت الركوع والخضوع. فالدول التي عددها بوش في قائمة "محور الشر"، إيران والعراق وكوريا الشمالية، ليس لها أي علاقة بهجمات 11 أيلول أو بالقاعدة. ولذا فإن خلاصة رسالة واشنطن هي إن الدول التي ترفض الاعتراف بالهيمنة الأمريكية معرضة للضغط أو التدمير أو تغيير النظام كما حصل في العراق. ومعنى ذلك أن مساواتها مع الدول الأخرى في النظام العالمي، أي سيادتها، لم يعد معترفاً بها.

هنالك قاعدة أخرى واضحة في نظرية بوش الأمنية تقضي بالاستخدام المنفرد للقوة لتحقيق مصالح أمريكا القومية. بل ذهبت أمريكا ابعد من ذلك حين منحت لنفسها الحق بشن الحروب الإستباقية ضد أعداء محتملين، كما تجلى ذلك بوضوح في حربها ضد العراق. وصارت سياسات الردع والاحتواء القديم مرفوضة لأنها بالية وغير ملائمة.

ويمكن القول إن فكرة "الحرب على الإرهاب" قد ساهمت بشكل كبير في صنع أدوات جديدة للحركة الخارجية للولايات المتحدة تتناسب والأهداف الأمريكية الجديد، وتمثل ذلك في مثلث الاستراتيجيات الثلاث؛ وهي

---

(1) See Robert Kagan, "looking for Legitimacy in all the Wrong Places", Foreign Policy, July/ August 2008 .

إستراتيجية الحرب الوقائية، والتوجه المنفرد، وتغيير الأحلاف، وقد عبرت حالة العراق خير تعبير عن هذا المثلث. [1]

ويمكن التوصل إلى عدد من الاستنتاجات المقلقة حول الدوافع الحقيقية لتبني الولايات المتحدة لمفهوم الحرب على الإرهاب.. فهو يشير إلى نهاية سياسات "توازن القوى" التي كانت تقليدياً تحفظ السلام وتضبط الدول الميالة على العدوان. فالولايات المتحدة تشعر اليوم بأنها تملك الحرية في أن تفعل ما تريد دونما أي عوائق أو صعوبات، إذ ليس هنالك قوة على وجه البسيطة تستطيع أن تفوق قوتها أو تواجهها. وبالتالي فإن النظام العالمي يتسم بخلل عميق خصوصاً أن أمريكا إذ تستغني عن موافقة المجتمع الدولي أو إذنه، فإنها تتجاهل القانون الدولي نفسه غير مبالية بالتزاماته.

ثالثاً: الولايات المتحدة والبحث عن العدو تحت ذريعة مكافحة الإرهاب

وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها فجأة، دولة، بل معسكر وترسانة من الأسلحة، بل تحالف دولي بنى سياسته واقتصاده وإستراتيجيته وثقافته ورؤاه المستقبلية على أساس انه يواجه عدوا يتربص به، فاذا بالعدو ينسحب، بل يختفي ليظهر وراء خصمه يطلب الانخراط في نمط حياته ليصير جزءاً منه وحليفاً له. مشكلة ليست سهلة على حد تعبير محمد عابد الجابري، مشكلة "الأنا" الذي لا يعرف كيف يتعرف على نفسه إلا من خلال "آخر" يواجهه، فإذا هو يفقد فجأة هذا "الآخر" الذي يتحدد به. فماذا يمكن أن ننتظر من هذا

(1) د. حسين كنعان، مستقبل العلاقات العربية ـ الأمريكية، بيروت، دار الخيال، ط1، 2005، ص 194- 200.

"الأنا"؟ هل ننتظر منه أن يفكك ذاته ويعيد تركيبه؟ كيف؟ وكيانه جميعه موجه ككل وكأجزاء إلى مضادة كيان "الآخر" ككل وكأجزاء؟ إن بقاء الولايات المتحدة بدون "آخر" خارجي لن يكون إلا على حساب وحدة "الأنا" فيها. وهي مجموعات من أصول واثنيات مختلفة وثقافات متعددة، ومصالح متنوعة، فكيف يمكن المحافظة على وحدة "الأنا" فيها بدون "آخر" يمثل العدو المشترك. [1]

لهذا يمكن القول إن غياب العدو المفاجئ أصاب الولايات المتحدة بالصدمة والارتباك. فعندما انتهت الحرب الباردة في أواخر الثمانينات همس جورجي آباتوف (مستشار غورباتشوف) في أذن أحد كبار المسؤولين الأمريكيين قائلاً: "إننا نصيبكم بخطب جلل إذ نفقدكم العدو!". غير إن نشوة النصر في حينه لم تتح مجالاً لاستشعار الأمريكيين لهذا الخطب الجلل. لكن الوقائع بينت لاحقاً أهمية وحيوية وجود عدو لأمريكا. إذ أنها تكاد لا تقوى على الاستمرار بدون وجود عدو ما!. فالسياسة الخارجية الأمريكية تخضع لجملة ثوابت إستراتيجية تنطلق منها في تحديد تعاملها مع الآخر (أي في تحديد ملامح سياستها الخارجية). ولعل أشهر نقاد هذه الثوابت المستشعرين لأهمية وجود العدو هو صموئيل هنتنغتون في مقالته "تآكل المصالح الأمريكية" The Erosion of American Interest) المنشورة في مجلة "شؤون خارجية" الأمريكية واسعة التأثير والانتشار. [2] حيث أكد أن انفجار أوكلاهوما لم يكن ليحصل لو

(1) نقلاً عن: محمد حسنين هيكل، دفاتر أزمة، مجلة وجهات نظر، القاهرة، العدد 36، كانون الثاني، 2002، ص10.

(2) صموئيل ب. هنتغتون، تأكل المصالح الأمريكية في [http: // www. aafaq . org/ fact 5/3].

كان للولايات المتحدة عدواً خارجياً. وهو بذلك بدا وكأنه يحذر من أن غياب العدو يستتبع انفجرا الفوضى الداخلية. "وبدا الرئيس الأمريكي كلينتون في حينها مقتنعاً بهذه الفكرة، فراح يصنع الأعداء (في غياب عدو حقيقي معلن) ويفتعل المواجهات المحدودة الثمن الاستراتيجي ويستغلها اقتصادياً فبدا وكأنه يصدر الفوضى إلى الخارج.

وتوالت الترشيحات الأمريكية لمنصب العدو الأمريكي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. فرشح هنتنغتون كلاً من الإسلام والكونفوشيوسية كعدوين حضاريين. أما جاك أتالي، ومعه قائمة من الاستراتيجيين، فقد رشح الاتحاد الأوربي لهذا الدور. ورشح بعضهم الاتحاد الروسي (الناجم عن التقاء روسيا مع بعض الجمهوريات السوفيتية السابقة). في حين أصر آخرون على ترشيح الصين ولكن بطابعها القومي وليس الكونفوشي. زبغينو بريجنسكي من جهته رأى الخطر في الحزام الأوراسي داعياً لتركيز الجهود الأمريكية عليه. اليابان بدورها وجدت من يرشحها وان كانت قد أعلنت استقالتها. ولا نغفل في سياق الترشيحات ترشيح نيكسون لأستراليا ولكن كوريثة للولايات المتحدة وليس كعدو! [1]

جاءت أحداث 11 أيلول لتثبت واقعية تحليل هنتنغتون وتوقعه انفجار الفوضى الداخلية في غياب العدو الخارجي. كما أثبتت هذه الأحداث مهارة كلينتون في اختلاق الأعداء واختراعهم كحجج لتصدير الفوضى الداخلية ومنع انفجارها. الأمر الذي طرح السؤال عما إذا كانت أحداث 11 أيلول

(1) زبيغينو بريجنسكي، الاختيار، ترجمة: عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2004، ص 101-145.

لتحدث لو كان للولايات المتحدة عدو خارجي؟ . والجـواب هـو لا قاطعـة ومؤلمـة بالنسبة لإدارة بوش. فأيا كانت الجهة الفاعلة فان وجود العـدو كـان سيـستوعبها. فوجود العدو المعلن يقضي أو يقلـل مـن قـدرة تحـرك الأعـداء المـستترين. بـل أن الحاجة الماسة والطارئة للعدو جعلت الولايات المتحدة تقبـل بإعطـاء هـذا الـدور على عجل لشخص فرد هـو "بـن لادن"!. بمـا في هـذا القبـول مـن إحـراج وانتهـاك للـهيبة الأمريكيـة. فقـد كانـت أمريكـا بحاجـة ماسـة وحيويـة إلى مـتهم جـاهز يساعدها على ضبط الفوضى اللاحقة لمثل هذه الأعمال. حيث كان من المحتمل أن يقوم الفرقاء الداخليين المعادين للحكومة الفيدرالية باسـتغلال الموقـف الفوضـوي ليقومـوا بعمليـاتهم وليتحركـوا باتجـاه تحقيـق أهـدافهم. واسـتناداً إلى حادثـة أوكلاهومـا فـان الجمهـور الأمـريكي يـشك بالـشرق أوسـطيين والمـسلمين وهـو بالتالي يقبل اتهـامهم دون تفكـير أو مناقـشة. مـما يجعلهـم مـتهماً جـاهزاً لإنقـاذ أمريكا من احتمالات اندلاع فوضاها الداخلية. وبات لزاماً على إدارة بوش أن تعود إلى أسلوب كلينتون في تصدير الفوضى إلى الخـارج وإيجـاد العـدو "البـديل". وهـذا العـدو المفـترض، ولأسـباب عديـدة تمثـل بالإسـلام حـسب نظريـة هنتغتـون في "صـدام الحـضارات". وقـد أدت إحـداث 11 أيلـول لأن تـدفع بهذا الاتجاه إلى أبعد مدى، ومعه نجحت قـوى اليمـين المتـصهين في الـربط المحكم بين الإرهاب والإسلام وهو ربـط لم تتجـرأ عليـه الإدارات الأمريكيـة السابقة.[1] إلا إن الأمر لم يتوقف عنـد هـذه الحـدود، بـل بـرزت في الأفـق مظاهر مقلقة هيمنت على الخطاب الـسياسي والإعلامـي الأمـريكي دفعتـه

(1) د. تيسير الناشف، تصادم الحضارات: العيوب الفكرية ف بافتراضات هنتغتـون صـحيفة البيـان الإماراتيـة، 26، آب 1999، ص3.

باتجاهات عنصرية وإيديولوجية صارمة ضد العرب والمسلمين. ومنها نرصد التالي:

1- زلة اللسان التي أشار بها بوش الابن إلى إن أمريكا تخوض حرباً صليبية ضد الإرهاب.

2- تصريح جون آشكروفت وزير العدل الأمريكي عام 2001 الذي اعتبر فيه إن الإسلام دين يطلب فيه اللـه منك أن ترسل ابنك لكي يموت من اجله، والمسيحية أيمان يرسل اللـه فيه ابنه لكي يموت من أجلك.

3- تسريب التقرير الصادر عن مركز استشاري للبيت الأبيض يتحدث عن إمكانية توجيه ضربات نووية محددة ضد دول "محور الشر".

4- طلب الإدارة الأمريكية من السعودية ومصر وباكستان إعادة النظر بالمناهج التعليمية الإسلامية في معاهد التدريس الديني.

5- صدور تقرير راند كوربوريشن، مركز الدراسات التابع للبيت الأبيض والذي يعتبر السعوديون ناشطون على كل المستويات في السلسلة الإرهابية. ويخلص إلى اعتبار العربية السعودية دولة "تساند أعدائنا وتهاجم حلفائنا وهي بذرة الإرهاب والمحرك الأول له والخصم الخطر" ويوصي التقرير الذي صاغه لورنت مورفاييتش بالاستيلاء على حقول النفط، وتجميد الأرصدة السعودية في البنوك الأمريكية والمقدرة بـ600 بليون دولار، وإقامة جمهورية إسلامية في المنطقة الشرقية التي توجد بها حقول النفط وتسكنها أغلبية شيعية.

6- صدور سلسلة من التصريحات عن اليمين المسيحي الأصولي الأمريكي تعتبر الإسلام انه الشر الذي يجب مكافحته، وتصدر هذه الحملة ثلاثة من

ابرز شخصيات اليمين البروتستانتي المقرب من الرئيس، والذي يملك وسائل إعلام واسعة الانتشار ومن نماذج هذه الحملة:

7- ما قاله القس المحافظ المتشدد، وحليف جورج بوش الانتخابي جيري فالويل الذي يمثل 16 مليون إنجيلي أمريكي من الطائفة المعمدانية حين وصف النبي محمد (ص) بالإرهاب ورجل الشر في حديث لشبكة سي. بي. أس.

8- وقبله اعتبر بات روبرتسون مؤسس الائتلاف المسيحي إن النبي محمد)ص(متعصب بشكل مسعور. وان الإسلام ليس ديناً مسالماً يرغب بالتعايش.

9- وكان القس فرانكلين غراهام ابن الممثل الشهير بيلي غراهام أول من دشّن هذه الحملة، وهو المقرب من الرئيس بوش، حيث اعتبر حينها الإسلام ديانة الشر لأنه يدعو إلى قتل الكفرة من غير المسلمين.

هذه التصريحات الحاقدة أثارت ردود فعل لدى المنظمات الإسلامية الأمريكية التي طالبت الرئيس بوش بإداناتها، بل إن ردود الفعل شملت العديد من رجال الدين المسيحيين المعتدلين وبعض المثقفين، بل إن افتتاحية لواشنطن بوست أدانت هذه الهجمة ضد الإسلام وطالبت الرئيس بموقف يدين هذه التصريحات الإرهابية والعنصرية إذا كان صادقاً في مقولة التسامح خاصة إن هؤلاء والتيار الديني اليميني عموماً مقرباً من الرئيس وهو غالباً ما يتحدث بلغتهم. ومع ذلك بقي بوش صامتاً. [1]

وبالرغم من تصريح الرئيس بوش في أكثر من مناسبة بعد 11 أيلول 2001 أن "حربه على الإرهاب" ليست موجهة ضد الإسلام وقيامه بزيارة بعض المساجد ودعوته وجهاء الطائفة الإسلامية إلى البيت الأبيض إلا إن قليلين من

---

(1) See: The Washing ton Post , 8/10/2002

المسلمين اقتنعوا بإخلاصه وبحسن نيته . فقد وردت إشارات عديدة تثبت عكس ما يقول وأنه وجماعة المحافظين الجدد الذين يرسمون السياسة في واشنطن يتصورون بأن معركتهم هي عبارة عن نزاع شامل بين قوى "الديموقراطية" و"أعداء الحرية"، بين "الحضارة" و"الهمجية"، بين الغرب والإسلام. ويبدو أنهم ابتلعوا النظريات التي أطلقها كل من برنارد لويس وهنتنغتون المريبة حول صراع الحضارات" وجعلوا منها الأساس العقائدي لسياسة أمريكيا الخارجية ولإستراتيجية الأمن القومي لإدارة الرئيس بوش الابن. (1)

رابعاً: الدوافع الإستراتيجية للحرب على الإرهاب

منذ اعتداءات 11 أيلول تندفع الولايات المتحدة في الحرب على الإرهاب إلى درجة أن هذه الحرب باتت تبدو وكأنها الهدف الوحيد للسياسة الخارجية في إدارة الرئيس بوش. صحيح إن الرئيس الأمريكي قد أكد مراراً إن تنظيم هذه الحملة الدولية قد صار من المسؤوليات الكبرى الملقاة على عائقه، وبالرغم من توفر الوسائل الهائلة لهذا الغرض، فإن الحرب على الإرهاب لا تبدو موضوع الاهتمام الوحيد للإدراة الأمريكية.

في الواقع، حدد الرئيس الأمريكي لنفسه، منذ توليه سدة الرئاسة، أولويتين إستراتيجيتين أخريين هما تحديث القدرات العسكرية الأمريكية وتطويرها والحصول على احتياطات نفطية إضافية من منابع النفط الأجنبية. ومع أن هذين الهدفين يعودان إلى أسس ودوافع مختلفة فقد اندمجا مع الحرب على الإرهاب لتشكيل استراتيجياً متماسكة توجه حالياً السياسة الخارجية

(1) د. السيد ولد أباه، عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001، بيروت، الدار العربية للعلوم، ط1، 2004، ص ص137-154.

الأمريكية كما يشير إلى ذلك مايكل كلير، الأستاذ في جامعة هامشاير، ماساشويتس. (1)

لم تكن هذه الاستراتيجيات الجديدة موضوع إعلان مبادئ ولا يبدو أنها صيغت في واشنطن بشكل واضح. لكن ما من شك في أن هذه الأولويات الثلاث مجتمعة قد عدلت إلى أقصى حد من أشكال السلوك العسكري الأمريكي، ولفهم طبيعة هذا التعديل يمكن القيام بتحليل بعض المبادرات التي اتخذتها الإدارة الأمريكية مؤخراً.

ففي آسيا الوسطى والقوقاز، فإن القوات الأمريكية عندما انتشرت في المنطقة بعد فترة وجيزة من اعتداءات 11 أيلول، كان هدفها الوحيد المعلن آنذاك هو مساندة العمليات العسكرية الموجهة ضد حركة "طالبان" في أفغانستان، وبالرغم من انهزام هذه الحركة بدا إن هذه القوات ستبقى في المنطقة من أجل انجاز مهمة أخرى. وبما أن الولايات المتحدة قد صممت على الوصول إلى احتياط الطاقة الكبيرة في حوض بحر قزوين فإن هذه المهمة تقوم على الأرجح على حماي خطوط نقل البترول والغاز إلى الأسواق الغربية. وما يعزز هذه الفرضية هو إيفاد مدربين عسكريين أمريكيين إلى جورجيا وهي المحطة الأساسية في خط أنابيب النفط الذي يصل بحر قزوين بالبحر الأسود وبالمتوسط، إضافة إلى القرار الأمريكي إعادة تشغيل قاعدة عسكرية في كازاخستان على ساحل بحر قزوين.

---

(1) للمزيد انظر: مايكل كلير، الحروب على الموارد، ترجمة: عدنان حسن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2002.

أما في العـراق والخلـيج العـربي، فقـد بـات مـن المؤكـد أن إدارة بـوش قـد اجتاحت العراق بهدف إسقاط نظام صدام حسين تحقيقـاً لمـصالحها الإسـتراتيجية النفطية أولاً. وتحضيراً لهذه العملية قامت وزارة الدفاع الأمريكية بتعزيز وجودها العسكري في منطقة الخلـيج. كـان الهـدف المعلـن مـن هـذا الاجتيـاح هـو تـدمير قدرات العراق على إنتاج أسلحة نووية أو كيميائية أو جرثومية. لكن مـن الواضـح إن واشنطن قد قررت إزالة أي خطر من شـأنه أن يـؤثر في إنتـاج الـنفط ونقلـه في هذه المنطقة. كـما إن الأمـر بالنـسبة إلى المخططـين الأمـريكيين هـو أن الاحتيـاط النفطي العراقي الكبير سـيبقى في متنـاول اليـد أي أنـه لـن يقـع تحـت الـسيطرة المطلقة للشركات الروسية أو الصينية أو الأوربية. [1]

فالأولوية الأولى للإدارة، أي الحـصول عـلى احتياطـات نفطيـة جديـدة مـن الدول الأجنبيـة، فقـد جـرى تفـصيلها للمـرة الأولى في تقريـر "المجموعـة الوطنيـة لتطـوير سياسـة الطاقـة " National Energy Policy Development Group الذي نشر في 17 أيار عـام 2001. فهـذا التقريـر الـذي أعـده نائـب الـرئيس ديـك تـشيني يـضع اسـتراتيجيا الهـدف منهـا الاسـتجابة لتزايـد الحاجـات إلى الـنفط في الولايات المتحـدة خـلال الـسنوات الخمـس والعـشرين المقبلـة. وإن كـان التقريـر يتحدث عن بعض الإجراءات الآيلة إلى التوفير في استهلاك الطاقة فإن العديـد مـن اقتراحاته تهدف إلى زيادة الاحتياطات الأمريكية في مجال الطاقة.

وبمجرد نـشره أثـار تقريـر تـشيني نـوعين مـن الجـدل. أولاً لأنـه يـشير إلى زرع محطات تنقيب في حقول الآلسكا الوطنية، إنما أيـضاً لأن واضـعيه كـانوا عـلى

(1) وليم بلوم، قتل الأمل؛ تدخلات العسكريين الأمـريكيين ووكالـة المخـابرات المركزيـة منـذ الحـرب العالمية الثانية، ترجمة: د. أسعد الياس، الرياض، مكتبة العبيكان للنشر، ط1، 2006، ص 289.

علاقة مسبقة بشركة "انرون" المفلسة حالياً. وهذا الجدل ساهم في التعتيم على وجوه أخرى في التقرير وخصوصاً تلك المتعلقة بما تدعو إليه سياسة الطاقة الجديدة هذه من تدخلات فعلية على الصعيد الدولي، والتي لا تظهر بوضوح إلا في الفصل الأخير منه (تعزيز التحالفات الدولية) حيث يقترح العمل على تدارك الحاجة الوشيكة للنفط عبر زيادة عمليات استيراده.

وبحسب التقرير إن الارتهان الأمريكي للسوق النفطية الخارجية لمجمل الحاجة الاستهلاكية يجب أن يرتفع من 52 في المئة عام 2001 إلى 66 في المئة عام 2020. كما إن الاستهلاك الإجمالي سيزداد هو بدوره مما سيحتم على الولايات المتحدة أن تستورد 60 في المئة من النفط في العام 2020 زيادة عما تستورده اليوم ليرتفع بذلك من 10.4 مليون برميل يومياً إلى حوالي 16.7 مليون برميل.(1) والوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك تقوم على إقناع الموردين الأجانب بزيادة إنتاجهم وأن يبيعوا أكثر من الولايات المتحدة.

يقوم الهدف الأول على زيادة الواردات من دول الخليج العربي ـ التي تملك حوالي ثلثي الاحتياط النفطي العالمي. وبما أن ما من منطقة أخرى في العالم تستطيع أن تزيد إنتاجها بهذه السرعة ينصح التقرير ببذل جهود دبلوماسية ناشطة ترمي إلى إقناع السعودية وجيرانها بالسماح لشركات أمريكية بأن تتولى أدارة الأعمال المهمة من أجل تحديث بناها التحتية.

أما الهدف الثاني فالغاية منه "تنويع" الواردات الأمريكية جغرافياً وذلك بغية الحد من الانعكاسات الاقتصادية لأي انتفاضات مفاجئة في مناطق معروفة

(1) U.S. Department of Energy, Energy Information Administration, International Energy Outlook, 2002, Washington, D.C., 2002, p.p 183-242.

بعدم الاستقرار الدائم. فالتقرير يوضح إن "تركيز الإنتاج النفطي في منطقة واحدة من العالم قد يساهم في عدم استقرار السوق". وفي النتيجة "أن تنويع مصادر التزود بالنفط هو ذو مرتبة أولى في الأهمية. ولتنفيذ هذه السياسة يتقرح التقرير تعاونا وثيقاً مع الشركات الأمريكية في مجال الطاقة يكون الهدف منه زيادة الواردات من حوض بحر قزوين (وفي نوع خاص من أذربيجان وكازاخستان) ومن الصحراء الأفريقية (أنغولا ونيجيريا) ومن أمريكا اللاتينية (كولمبيا والمكسيك وفنزويلا).

غير أن تقرير تشيني ينسى أن يحدد ما يفترض بأي قارئ على حد أدنى من الاطلاع أن يستنتجه، وهو إن جميع المناطق المشار إليها كمصادر ممكنة للنفط هي مناطق غير مستقرة أو إنها تكنّ مشاعر قوية معادية لأمريكا، إن لم يكن الاثنتين معاً.

فوزارة الدفاع تعترف في التقرير الصادر في أيلول عام 2001 في المجلة العسكرية Quadrennaial Defense Review بأن "الولايات المتحدة وحلفاءها سيبقون مرتهنين في مصادر الطاقة للشرق الأوسط[1] "وأن هذا المصدر قد يتعطل بفعل مختلف الوسائل العسكرية. وتصف مجلة (QDR) هذه آنذاك أنواع الأسلحة والقوات التي ستحتاجها الولايات المتحدة لمواجهة هذه الأخطار، وتحديداً تلك التي عددّها بوش في التصريحات الواردة آنفاً. ويخلص التقرير إلى أن الإستراتيجية العسكرية الأمريكية "تعتمد على قدرة القوات الأمريكية على إرسال قواتها إلى العالم اجمع.

(1) U.S. Department of Defense, Quadrennial Defense Review Report, Washington D.C., 30 September 2001. P.4 .

والأولوية الأخرى بالنسبة إلى إدارة بوش هي الحرب على الإرهاب التي أعلنها الرئيس في خطابه أمام الكونغرس في 20 أيلول عام 2001، أي بعد تسعة أيام من اعتداءات نيويورك وواشنطن.

وهذه الحرب لن تكون محدودة بسلسلة ضربات تأديبية أو بمعركة ضخمة بل تستدعي "حملة مفتوحة" تمتد إلى مسارح عمليات متعددة إلى أن يتم "اكتشاف كل مجموعة إرهابية ذات بعد عالمي ووقف نشاطها وتدميرها". وفي ما بعد وسع الرئيس بوش دائرة حربه على الإرهاب في اتجاه إيران والعراق اللذين يمثلان خطراً بسبب عزمهما على تطوير أسلحة نووية وكيميائية وجرثومية.

إن إستراتيجيا من هذا النوع تفرض بذل نوعين من الجهود، أولهما على مستوى الاستخبارات وذلك بغية اكتشاف الشبكات الإرهابية وتعطيلها، والثاني على المستوى العسكري بغية تدمير بؤر الإرهابيين ومعاقبة الدول التي تحميهم. وإذا ما بدا هذان العملان حيويين فإن الجانب العسكري منهما هو لفت اهتمام القادة أكثر من غيره. والحال أن هذا الجانب يلتقي بالتحديد تماماً مع الأولويتين الأخريين للإدارة.

وهكذا فإن الطريقة التي عولجت بها حرب أفغانستان هي خير دليل على القدرة على "إنزال القوة" التي تحدث عنها الرئيس بوش في خطابه في سياتل في العام 1999. فقبل بدء الحملة نقلت الولايات المتحدة جواً كميات من الأسلحة والتجهيزات إلى الدول الحليفة لها ونشرت أسطولا هائلاً في بحر العرب. وقد خيضت الحرب البرية بواسطة قوات مشاة قليلة تساندها قاذفات واسعة المدى مجهزة بأسلحة توجه عن بعد بالغة الدقة. وقد تم التشديد على

قدرة القوات البرية على المناورة وعلى استخدام أجهزة مراقبة عالية التقنية تـسمح بتحديد موقع العدو سواء نهاراً أم ليلاً. [1]

باتت الحرب عـلى الإرهـاب إذاً تـساهم في الجهـود الأمريكيـة الهادفـة إلى تأمين الوصول إلى منابع النفط وخصوصاً في منطقة الخليج وفي حوض بحر قزوين. وهكذا تبـدو الحـرب في أفغانـستان وكأنهـا امتـداد للحـرب الـسرية في الـسعودية الدائرة بين معارضي النظام الملكي الحاكم العائلة المالكة التي يـدعمها الأمريكيـون. فمنـذ أن قـرر الملـك فهـد إثـر اجتيـاح العـراق الكويـت في العـام 1990، الـسماح للأمريكيين استخدام أراضي بلاده كقاعدة له لمهاجمة العراق، نهض بعض المتطرفين السعوديين بقيادة أسامة بن لادن، بحركة سرية تهدف إلى إطاحة الملكية والى طرد الأمريكيين من البلاد. وبناء عليه فإن الرغبة الأمريكية في تدمير شبكة "القاعدة" في أفغانستان تبدو وكأن دوافعها هي ضرورة حمايـة العائلـة المالكـة الـسعودية مـن أجل ضمان حصول الأمريكيين على نفط هذه البلاد.

---

(1) للمزيد حول القدرة الأمريكية على الفعل بذلك الـصدد طـالع: جـيمس بـامفورد، هيئـة الأسرار: وكالة الأمن القومي تحت المجهر، ترجمة: سمير جلبي وأمين الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط، 2002، الصفحات 341-398 (العضلات).



الفصـل السادس

الهيمنة الأمريكية والنظام الدولي

من أهم حقائق النظام الدولي الثابتة على مدى تاريخ العلاقات الدولية هي التغير والتبدل المستمر في أنماطه وأشكاله والوحدات السياسية الفاعلة فيه وبذلك عندما استحوذت إحدى الوحدات السياسية على مجمل مقومات القوة الأساسية التي تؤثر في شكل وصياغة النظام الدولي فهذا يعني حتماً قيام نظام دولي أحادي القطبية أو نظام دولي قائم على الهيمنة[1].

والهيمنة قبل كل شيء هدف استراتيجي كبير تطمح إليه الوحدات السياسية وتعمل كمحفز غريزي للدولة الكبرى وبشكل مستمر لكسب المزيد من القوة التي يمكن أن توظف كقدرة إسناد للفعل الاستراتيجي ويحشد الإمكانيات ويحدد المسار نحو الهدف وعليه لابد أن تكون الهيمنة في قمة أولويات الأهداف الإستراتيجية لتلك القوى الكبرى, لقد كانت الهيمنة الأمريكية استثنائية بكل المقاييس. إذ لم يشهد العالم منذ عهد الإمبراطورية الرومانية كما مثلته الولايات المتحدة الأمريكية كقوة مهيمنة عالمياً. بما احتوت عليه هذه الهيمنة من شمولية في المقاييس الإستراتيجية سواء من ناحية حجم السيطرة العالية أم شمولية مقوماتها وفاعليتها والقدرة على التأثير في سياسات وخيارات بقية وحدات النظام الدولي.وتعد الهيمنة ظاهرة قديمة في توصيفها ونموذجها لكنها جديدة في شكلها الراهن من ناحية القوه الدولية التي تمثلها وهي (الولايات المتحدة) والمقومات التي ارتكزت عليها هيمنتها (سياسية واقتصادية وعسكرية وتكنولوجية ... الخ) وأساليب الأداء الاستراتيجي (التواجد والتدخل والاحتلال والتحالف... الخ) والتي أطرت هذه الهيمنة

(1) د.سمير أمين, الفيروس الليبرالي، الحرب الدائمة وأمركة العالم,ص19.من الموقع: www.kotobarabia.com

الأمريكيـة بمـا اشـتملت عليـه الولايـات المتحـدة الأمريكيـة مـن مقومـات للقـوه ومرتكزات للفعل الاستراتيجي وآليات توظيف متهمة علمياً لاستغلال عامل الوقت الذي عُد بمثابة فرصة سانحة[1] لإعادة تشكيل النظام الدولي وقـت ما يرمي إليه التفكير الإستراتيجي الأمريكي وطبقاً لطبيعة موضوع الظاهرة محل الدراسة التي تمثل بالهيمنة. إن توصيفاً نظريـاً وتحلـيلاَ أكاديميـاً لهـذا المفهوم الذي غالباً ما يتداخل مع مفـاهيم ومـصطلحات أخـرى. وهـذا مـا سـوف نناقـشه في المطلـب الأول. ثـم المطلـب الثـاني في توصـيف وتحليـل الهيمنة في نطاق المشروع الأمريكي لـلـهيمنة العالمية، ثـم مراحـل التكـوين لـلـهيمنة الأمريكية.

أولاً:مفهوم الهيمنة

ثانياً:مراحل نشأة الهيمنة الأمريكية

أولاً: مفهوم الهيمنة

الهيمنة ظاهرة تستحق الدراسة والتحليـل، إذ انـه مـا ((إن لفـت ظـاهرة التغير تاريخ النظام الـدولي ـ حتـى بـدت المفـاهيم تتـدافع... لتلاحـق بالوصـف ظواهر تراوحت دلالاتها بين الـشمول والتخـصص مقيمـة الـدليل عـلى أن منـاهج العمل السياسي الـدولي وان جمعتهـا ثوابـت فهـم وتفـسير وتنبـؤ. تبقـى عرضـة لما يردها من إفرازات التغير أو ما يحمله من طموحات لطرف متحفز لإتمام هدفه في السيطرة ((الهيمنة)) أو احتكار النفوذ في السياسة الدولية ـ وربما دون مبـالاة مـن قادتـه لخطـورة طموحـاتهم عـلى الواقـع الـذي يعيـشه العـالم وهكـذا يـرى

(1) ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة احمد صدقي مراد،عمان، دار الهلال، ط1, 1992.

البعض بالمفاهيم المتداولة والمفروضة في الأدب السياسي الدولي مجرد حالات وصف للتناقضات والمغالطات الكامنة في السياسة الدولية))[1]

لقد كان لحرب الخليج الثانية أثرها الواضح في دمج حركة التغيير الدولية بحركة التفرد الأمريكي.

ومن اجل التعرف على مفهوم الهيمنة وتاريخها ومعرفة أهم النماذج التي سيطرت عالمياً سنتناول مدلولها اللغوي ومن ثم أهم نماذجها العالمية.

1- المدلول اللغوي والمفاهيمي للهيمنة: في البداية نتعرف على مفهوم مبسط للهيمنة على أنها ظاهرة سياسية إنسانية يمكن لمسها في إطار العلاقات بين الأفراد والجماعات والنظم السياسية كما إن الهيمنة في إطار العلاقات الدولية هي سلوك سياسي أخلاقي وأحيانا قانوني، يستهدف مصلحة الفرد والجماعة والشعب في نظام سياسي معين،أما في العلاقات الدولية يأخذ معنى آخر إذا هي محاوله من جانب دوله بما تملكه من وسائل وعناصر القوة لفرض إرادتها على الدول الأخرى وفرض سياسات ومواقف عليها تتناسب مع مصالحها القومية والعالمية أو منعها من اتخاذ سياسات ومواقف تتعارض مع سلوك غير أخلاقي وأنساني وقانوني أما لغةً واصطلاحاً فقد ورد استخدام مصطلح[2] ((الهيمنة)) في اللغة العربية للتعبير عن السيطرة والقوة والسطوة، وهي مشتقة من الفعل ((هيمن)) والذي يشير إلى من ((آمن غيره من الخوف ووفر له

---

(1) منعم العمار, الهيمنة بين ظاهرة التجديد ومستدعيات التدحرج,أوراق إستراتيجية ع109, مركز الدراسات الدولية,جامعة بغداد,2002,ص1.

(2) سياسة الهيمنة الأمريكية؛ الجذور والواقع والمستقبل، أوراق إستراتيجية، مركز الدراسات الإستراتجية، وجامعة بغداد، 2001, ص1.

الأمان)) كذلك ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم في آيتين مباركتين، تشير إلى المقصود بالهيمنة هو السمو والعلو والرفعة على الغير كقوله تعالى:

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) المائدة: [1]

كما ورد مصطلح المهيمن في القرآن الكريم بعد أسم من الله الحسنى بقوله تعالى بكتابه العزيز ((هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) [2].

ويعد مصطلح الهيمنة: (Hegemony) في اللغة الانكليزية حسب موسوعة الويكبيديا فأن أصل هذه ألكلمه يعود إلى الإغريق استخدموها للتعبير عن سيطرة مجموعة على مجموع أخرى، أو سيادة مدنية أو شعب على مدن أو شعوب أخرى من خلال التهديد أو بدونه[3].

والهيمنة تعني أحيانا السلطة السياسية وممارستها من خلال القيادة وموافقة المحكوم، أو أنها السلطة السياسية التي تمارس من القسر والموافقة عند ممارسة السلطة السياسية. وتعد الهيمنة بالأساس تطلعاً وطموحاً قبل كل شيء وأصبحت بتعاقب الأجيال من صميم التفكير لبعض الشعوب الطامحة

(1) القرآن الكريم، سورة المادة، الآية 48.
(2) القرآن الكريم، سورة الحشر،الآية 23.
(3) موسوعة الويكيبيديا على موقع الانترنيت: .www Wikipedia_com

لتحقيقهـا، بالاسـتناد إلى أسـس مختلفـة عنـصرية أو دينيـة أو حـضارية... الـخ والهدف هو فرض السيطرة وضمان المصالح وإعلاء الذات القومية.

إن الهيمنة تؤدي حـتماً إلى تغيـير النظـام الـدولي طبقـاً. « للتوزيـع الـدولي الجديد للقوة » كما تقرير من الذي يتحكم بالنظام الدولي، والهيمنة هي طمـوح وغاية تأخذ مستويات متعددة منها، الهيمنة في المجتمع عندما تهيمن طبقة عـلى الطبقات الأخرى أو عندما تتاح جميع الظروف المؤتية قوة تمتلك مقومات القـدرة التي تدفعها لغرض إرادتها ومكانتها كقوة مهيمنـة في إقلـيم معـين، وهـو الهيمنـة على النظام الدولي، وبهذا نـستنتج إن الهيمنـة « طمـوح اكتـسب درجـه الواقعيـة بفعل توظيف متعسف لمقومات القدرة المحددة .

2- مفهوم الإمبراطورية (Empire): الإمبراطورية مـشروع إسـتراتيجي في أيدي اللاعبين الأساسين اللذين تستند قـوتهم إلى الـسيطرة عـلى الأراضي وقـدرتهم على حشد الموارد البشرية والطبيعية في سبيل تحقيق غايـات سياسـية واقتـصادية وعسكرية، كذلك يمكن فهم الإمبراطورية نظاماً تاريخياً ناجماً عن الغزو والاجتيـاح ويعتبر نظاماً يوقف التاريخ ويثبت الأحـوال والأمـور إلى الأبـد أي نظامـاً لـيس لـه حدود زمنية بما يبقيه خارج التاريخ ولا تكتفي الإمبراطورية بإدارة إقليم معين بـل تسعى إلى التقدم وصولاً إلى قاع العالم الاجتماعـي كـما تعتمـد الإمبراطوريـة عـلى الدوام في بحر من الدماء مكرساً باستمرار لصالح السلام الدائم وشامل خارج إطـار التاريخ [1].

والإمبراطور يقوم على الكليمفهوم الإمبراطورية حكم العـالم المتحـضر كلـه طالما لا توجد حدود إقليمية تقيد سلطان هذا النظام.

(1) محمد حسنين هيكل, الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق, دار الشروق القاهرة 2003 ص 19-20.

وتوجد بديهياً عدة آراء حول مفهوم الإمبراطورية وهي: [(1)]

أ- إن الإمبراطورية حلم لايقوم على المزاج الشخصي لأمير أو ملك أو رئيس أن يسمي نفسه إمبراطورا بل يقوم على ضرورات أمن وطني ومطالب صراع دولي وحوافز سباق نحو التوسع والثروة على اتساع القارات وعبر المحيطات.

ب- إن الإمبراطورية لا تظهر وتكبر بطريقة عفوية وتلقائية وإنما تنشأ وتكبر بدرجة من القصد والجهد تتولى تصميم وهندسة المشروع الإمبراطوري وتقوم على توجيه حركته.

ج- إن الإمبراطورية كانت دائماً مشروعاً عالمياً يحمل رمزاً ملكياً ويجعل راية وطنيه ويمثل مصلحة علماً وهو بهذا التكليف يحرك الأساطيل ويوجه الجيوش ويغزو البلدان ويحكم الأقوام ويستولي على الثروات .

د- إن الإمبراطورية على طول الزحف الإمبراطوري، كانت جلبة للمنافع العامة الاقتصادية والإستراتيجية ووسيلة لتكدس في الثروات فإن الحدود في بعض الأحيان لكن نسق الحقائق بقي جلياً طول الوقت،أي أن المكاسب الرأسمالية كانت مثل ألعربه تجر وراء القاطرة وليس قبلها.

ه- أما إن وجه الخلاف أو التشابه بين مفهوم الهيمنة والإمبراطورية، إن الهيمنة إحدى صيغ السيطرة المحكومة بقواعد معينة. أما الإمبراطورية لا تشعر أنها مقيدة بقواعد يجب عليها مراعاتها والرضوخ إليها.

3- هل الولايات المتحدة تمثل إمبراطورية؟: إن الحديث عن الإمبراطورية- كالإمبراطورية الأمريكية - يفرض علينا تحديد المعايير التي

---

(1) كاظم هاشم نعمه , استراتيجيات الهيمنة الأمريكية, ليبيا 2001 ص71.

يستند عليها أي نموذج إمبراطوري، ومدى انطباقها على الولايات المتحدة الأمريكية ومن هذه المعايير: [1]

أ. **المعيار الأيديولوجي**: لابد من وجود أيديولوجية تفرض وجودها وتكون حاضره بقوة وموضع استقطاب عالمي بفعل قوة جاذبيتها حيث يكون لها أنصار ومؤيدين، والولايات المتحدة تروج لنفسها اليوم على أنها (النموذج) الذي ينبغي أن يحتذي حذوه في العيش وطريقة الحياة بأدق تفاصيلها.

ب. **معيار الانتشار العسكري الواسع:** امتلاك قوه عسكرية ضاربة تضمن لها السيطرة العسكرية على الصعيد العالمي بما يضمن مصالحها الحيوية ويؤمن لها جاهزية قتالية عالية والانخراط في حروب عديدة في العالم.

ج. **بنية اقتصادية متينة لها شبكات مترابطة على المستوى العالمي**: إن الإستراتجية الاقتصادية الأمريكية اليوم هي ذات طابع عالمي خصوصاً بعد زوال الاتحاد السوفيتي ومعظم الأنظمة الاشتراكية الشيوعية. إذ أستطاع النظام الرأسمالي أن يتحول إلى نظام عالمي محكم بأدوات ألاقتصادية يوجه أمريكا إلى سيطرة اقتصادية عالمية.

د.**تأسيس نظم متشابكة من التحالفات السياسية- الأمنية في معظم أنحاء العالم:** استطاعت الولايات المتحدة أن تقيم تحالفات مع العديد من الدول في قارة أوربا واسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وسعت من خلال هذه الإستراتيجية نسيج شبكة من المصالح العسكرية والسياسية.

---

(1) محمد حسنين هيكل : مصدر سابق ذكره, ص 12.

والاقتصادية يكون مركزها واشنطن وتكون مصالح البلدان الأخرى مرتبطة مركزياً عن علاقاتها مع المركز. إن هذه المعايير التي يفترضها النموذج الإمبراطوري، تفتقر إليه أي قوة أخرى في العالم باستثناء الولايات المتحدة والتي عبرت عنها منذ مطلع القرن الحادي والعشرين خاصةً بعد تولي (جورج دبليوبوش) رئاسة الإدارة الأمريكية التي كانت تطغى عليها سيطرة تيار المحافظين الجدد وهم اشد الدعاة إليها.

لقد حققت الولايات المتحدة مكانة دولية لم يكن لها مثيل في الماضي والحاضر بأتباع أسلوب واحد لم يتغير طول القرن العشرين وهو مد النفوذ والسيطرة اعتماد على سياسة (المراحل) وانتهاز الفرصة لتنفيذ طموحها الإمبراطوري مستخدمة الإمكانيات العلمية في التفكير الإستراتيجي والتخطيط. وعليه لابد من تبيان أهم المراحل التي مرت بها الإمبراطورية الأمريكية المتمثلة بخمسة مراحل أساسية مثلت كل مرحلة قفزة على سلم الصعود نحو قمة الهرم الدولي الذي تطمح إليه جميع القوى الدولية وهذه المراحل هي[1] :

4- **نماذج للقوى المهيمنة:** هناك بعض العلاقة الطردية بين (الهيمنة) ووسائل المواصلات والتقدم التكنولوجي وهذا تفسير واضح لتطور الهيمنة من جانب مدى القدرة على التأثير والتأثر على الأطراف الأخرى من ناحية بعدها أو قربها من المركز أو القطب المهيمن. فقد أثرت محورية وسائل الحركة والتواصل السريع للإمبراطورية الرومانية أن تمتد وتتوسع عالمياً خارج أوربا أو المناطق المحاذية لها بالرغم ما وصلت إليه من قوة أو ما امتلكته من طموح إمبراطوري توسعي بالمقارنة مع القوة المهيمنة حالياً وهي الولايات المتحدة

(1) محمد حسنين هيكل , مصدر سابق ذكره ص62

الأمريكية التي تمتلك الطموح والقوة للتوسع، لكن الاختلاف بين القوتين يمكن في التوافر على تقدم في وسائل المواصلات وطبيعة القوة العسكرية لكل منها .

ومنذ زمن أثينا إلى اليوم لم يكن التاريخ الإنساني إلا تعاقباً لإمبراطوريات وأمم حكمت حقباً منه فيه أن تمضي في تدهورها وانحطاطها لتحل محلها إمبراطورية أخرى. وفي استقراء بسيط للتأريخ الإنساني نجد انه وحتى بداية القرن العشرين كانت الغالبية العظمى من الإمبراطوريات قد نشأت في أوربا ومن ثم امتدت إلى مناطق القريبة منها. لقد كانت الإمبراطوريات القديمة حتى مطلع القرن العشرين تمارس سيطرتها في نطاق محدود وضمن أجزاء متناثرة هنا وهناك، وهذا ما فرضته وسائل النقل والمواصلات والأدوات والعسكرية المتاحة في تلك الحقبة, وبهذا فأن هناك تباين واضح بين تلك الإمبراطوريات السابقة التي مارسته هيمنها في أجزاء عديدة من العالم وبين الولايات المتحدة الأمريكية القطب المهيمن في الوقت الحالي من خلال حجم السيطرة والنفوذ في جميع بقاع العالم... كما شهد التاريخ العديد من الإمبراطوريات التي استطاعت أن تهيمن على نطاق واسع ضمن إقليمها ومن أهمها الإمبراطوريات الصينية والروسية واليابانية والعثمانية والاسبانية والألمانية والفرنسية وإمبراطورية النسا والمجر... الخ . وقد عاشت هذه الإمبراطوريات صراع متواصل بينها بسبب قوتها وعظمتها خلال تلك المرحلة(القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر) من اجل التوسع المستمر والسيطرة ثم الانهيار بسبب الحروب المستمرة من اجل الهيمنة. وأما القوى الدولية التي امتلكت كل المقومات القوة الشاملة هي (بريطانيا العظمى) التي استطاعت أن تؤسس إمبراطورية وصفت بأنها الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس التي غالباً ما يشار إليها أنها نموذج يمكن أن يحاكي الهيمنة

الأمريكية في بعض الجوانب[1] واستطاعت الإمبراطورية البريطانية أن تحقق مكانه دوليه بفضل قوتها البحرية إذا كانت حتى وقت قريب من الحرب العالمية الأولى تمتلك أقوى أسطول بحري في العالم وبذلك استطاعت أن تجعل القرن التاسع عشر قرناً بريطانياً. وبرغم القوة العسكرية والقدرات ألاقتصادية، لكن يبقى العامل الحاسم في هيمنة بريطانيا لأداره العلاقات الدولية وسطوتها انبعثت من مهارتها السياسية فقد فضلت ممارسة دور (الموازن) في العلاقات الدولية أي التمسك بوسط الميزان الدولي وتحرك الآخرين للتورط في المنازعات والحروب وسعي الأطراف المتصارعة لخطب ودها وكسبها وهذه المكانة هي التي قادت بريطانيا إلى دور المهيمن في القرن التاسع عشر.

إن النموذج الأكثر محاكاة للقوة المهيمنة عالمياً قبل الولايات المتحدة هو الهيمنة البريطانية والتي تحقق عبر مرحلتين الأولى القرن الثامن عشر، كانت سيطرة على العلاقات بين الأطراف الولايات المتحدة والتجارة مع الشرق والهند) أما أوربا فبقت خارج اطر تلك الهيمنة، أما المرحلة الثانية عامي(1815 -1914) إذ لكم تتجاوز بريطانيا خلال القرن التاسع عشر حدود الهيمنة البحرية(السلطة على التجار) بما تمتلكه من أسطول بحري قوي لكن منذ عام (1880) بدأت بالاختلال الغير صالح البريطانيين حيث بدأت الشمس تغيب رويداً لتشرق في الجانب الأخر من الأطلسي ليبزغ عصر جديد من إطلاله القرن العشرين، كان العنوان الأبرز القرن الأمريكي. وبدأ الحلم

---

(1) غسان الغزي: سياسة القوة: مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق,بيروت ط1, 2000 ,ص151.

الأمريكي المعروف في التبشيرية وبدأت الأهداف والطموحات الأمريكية لا تعرف الحدود أو القيود[1].

ثانياً: مراحل نشأة الهيمنة الأمريكية

منذ النشأة والتكوين والولايات المتحدة تعبر عن غرائزها التوسعية من خلال مشروعها الإمبراطوري الذي نجد أولى بذراته في الدستور الأمريكي ومن خلال خطب الآباء المؤسسين لذلك المشروع الذي مر بمراحل متعددة واستند على مقومات مؤثره وقد أطر على تفكير استراتيجي عبر عن ذات الشخصية الأمريكية المغامرة.

ولو أردنا التعرف على أهم خاصية أوسمه الولايات المتحدة الأمريكية، منذ بذرتها الأولى التي شكلتها ثلاثة عشر ولاية ولحد الآن لنجد إن خاصية التوسع المستمر عموديا وأفقيا، التوسع العمودي وصل إلى أخر نقطة في قاع البحر وجعلت من الفضاء ميدان لأسلحتها وبرامجها العالمية، أما التوسع الأفقي فقد توسعت شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً... وقد جاء هذا التوسع من خلال تخطيط استراتيجي عبر مراحل الاستثمار الأمثل للفرصة السانحة أو حتى خلف الفرصة بنفسها واستمرار التدفق الإستراتيجي الأمريكي حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم من مكانه في سلم الهرمية الدولية التي لا تماثلها أي قوة أخرى في النظام العالمي الحالي أو في الماضي وحتى في المستقبل المنظور.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، غزت الساحة الأكاديمية سيل من الكتب والنظريات التي تبشر بالقرن الأمريكي وروجت لوجوب الهيمنة الأمريكية

---

(1) إبراهيم أبو خزام, أقواس الهيمنة: دراسة لتطوير الهيمنة الأمريكية من مطلع القرن العشرين حتى الآن, دار الكتب الجديد, بيروت , ط1 , 2005 , ص24.

بعدها تمثل نهاية للتاريخ البشري، ثم عززت الهيمنة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 لتأخذ صوره جديدة هي التدخلية والتعسف في استخدام القوة والاحتلال المباشر للدول.

1- مرحلة التوسع القاري: يقصد بالتوسع القاري هو التوسع داخل القارة الأمريكية من شرق القارة المطل على المحيط الأطلنطي إلى غربها المطل على المحيط الهادي ثم إلى الجنوب المطل على البحر الكاريبي إلى شمال القارة المقارب لمحيط القطب الشمالي.ولقد اعتمدت الولايات المتحدة في بناء قوتها الذاتية على التوسع المستمر من الماء (الأطلسي) إلى الماء(الباسيفيكي) وهذه العملية في التوسع بين المحيطين تمت عبر أسلوبين أولهما اعتمد على أسلوب القتل للأخر الذي عد كياناً متوحشاً يجب التخلص منه نقصد بالأخر هنا هم السكان الأصليين لأمريكا ((الهنود الحمر)) أما الأسلوب الثاني هو ((سلاح الذهب)) عبر شراء ولايات مثل لويزيانا وألاسكا وغيرها الكثير تم شراءها من الإمبراطوريات الأخرى. التي كانت تتقاسم العالم الجديد.

2- مرحلة (التوسع من الداخل إلى الخارج): بعد أن استكملت الدولة الجديدة على كل أراضيها بدأت التوسع نحو مجالها الاستراتيجي(أي نحو المحيطين) الهادي والأطلسي، ففي اتجاه المحيط الهادي سيطرة الولايات المتحدة على هاواي وبيرل هاربر في عامي 1842 و 1887 ثم جزر الميداوي عام 1867 ثم جزر ساموا 1887، أما الاتجاه الأطلسي فجعل أمريكا تسيطر على جزر بورتوريكو عام 1898 ثم تتحكم بقناة بنما عام 1903 ثم غزو فنزويلا ونيكاراجوا وهايتي وكوبا والمكسيك.

وهكذا توسعت الولايات المتحدة الأمريكية من نظام في الداخل إلى قوة كبرى في الخارج، لقد ساعدت سياسة الانعزال الولايات المتحدة الأمريكية من

الاستفراد بالنصف للغربي للصعود لتتجه نحو أوربا والعالم بعد حين والخلاصة هي إن الولايات المتحدة منذ استقلالها أواخر القرن الثامن عشر والى مطلع القرن العشرين التزمت بسياسة الانعزال واستجابة لموعظة المؤسسين بالتفوق في نصف الكرة الأرضية واحتكارها لنفسها متبعة سياسة استعمارية لم تلاحظها القوة المتصارعة في القرن التاسع عشر واستطاعت أن ترسم قوس الهيمنة الأول في تاريخها السياسي الذي استغرق قرناً برمته واستطاع خلال هذا القرن أن تعد ثوابت جديدة لأقواس هيمنة أخرى.

3- مرحلة التوسع عبر الأطلسي: لقد بدأت هذه المرحلة منذ مطلع القرن العشرين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كما شهدت اختباراً حقيقاً لمدى قدرتها القيادية في استغلال الفرص أتيحت لها، بل ومن خلال خلقها للفرص وهذا ما أكدته هذه المرحلة الفاصلة في تاريخها ويمكن تقسيم إلى ثلاث مراحل رئيسة وهي :

أ- **مرحلة الانتقال(1901 – 1916):** بدأ الجدل حول سياسة الانعزال بعد أن استكملت الأمة عناصر قوتها لذلك مثلت مرحلة انتقالية مابين الانعزال والمشاركة .

ب- **مرحلة القوس الأول (1917-1919):** تبدأ هذه المرحلة منذ أن قررت الولايات المتحدة المشاركة بالحرب العالمية الأولى عام 1917 إلى جانب الحلف، وقد استطاعت أن تغير مجرى الأحداث لصالح دول الحلفاء.

ج- **مرحلة القوس الثاني للهيمنة(1941-1945):** لقد بدأت هذه المرحلة بحافز ملموس حيث الهجوم الياباني على الأسطول الأمريكي في ميناء (بيرل هاربر)عام 1941. فقد حط الجيش الأمريكي بمناطق ذات قيمة

إستراتيجية عليا في سبيل ارتقائها الإمبراطوري، وبذلك احتل اليابان وألمانيا وانتشرت قواتها العسكرية في أوربـا كـذلك اسـتخدمت الـسلاح النـووي في ضرب مدينتي(هيروشيما) و(نكازاكي) اليابانيتين وأعلنـت رسـمياً أنهـا القـوة رقم واحد في كافة المجالات[1].

4- مرحلـة الـصراع مـن اجـل الهيمنـة(الحـرب البـاردة) :لقـد اصـطدمت الولايات المتحدة الأمريكية بطرح سوفيتي للعالمية والهيمنة مما قاد إلى حالـة مـن التنافس الخطير في مجللين أساسين هما العلم والتسلح مما أدى إلى حتمية الحرب بين النظامين الـشيوعي والرأسـمالي، وأدت هـذه الحـرب البـاردة إلى أبعـاد عالميـة وأحداث متتالية واستمرت إلى ما يقارب 40 سنة ولقد سـاعدت الولايـات المتحـدة من ناحية ما حققته من مكاسب وملامح مهمة أهمها:

أ-   حققت المركز الاقتصادي الأول منذ الخمسينات في القرن الماضي.

ب- استغلال الوضع الاقتـصادي سياسـياً خاصـة بعـد أن خرجـت القـوة الدوليـة الكبرى منهكة اقتصادياً حيث قدمت قروض كبيرة إلى الاقتصاديات الأوربية.

ج- استطاعت أن تضع لها موطئ قدم في منـاطق عديـدة مـن خـلال ملـئ الفـراغ البريطاني في المستعمرات التي كانت تحكمها.

د- تمكنــت الإســتراتيجية الأمريكيــة بنــاء تحالفــات متينــة سياســية وعــسكرية وإستراتيجية للاحتواء التي بعثتها في بداية الحرب الباردة وابرز الأحلاف (حلف شمال ألاطلسي) ((NATO)) .

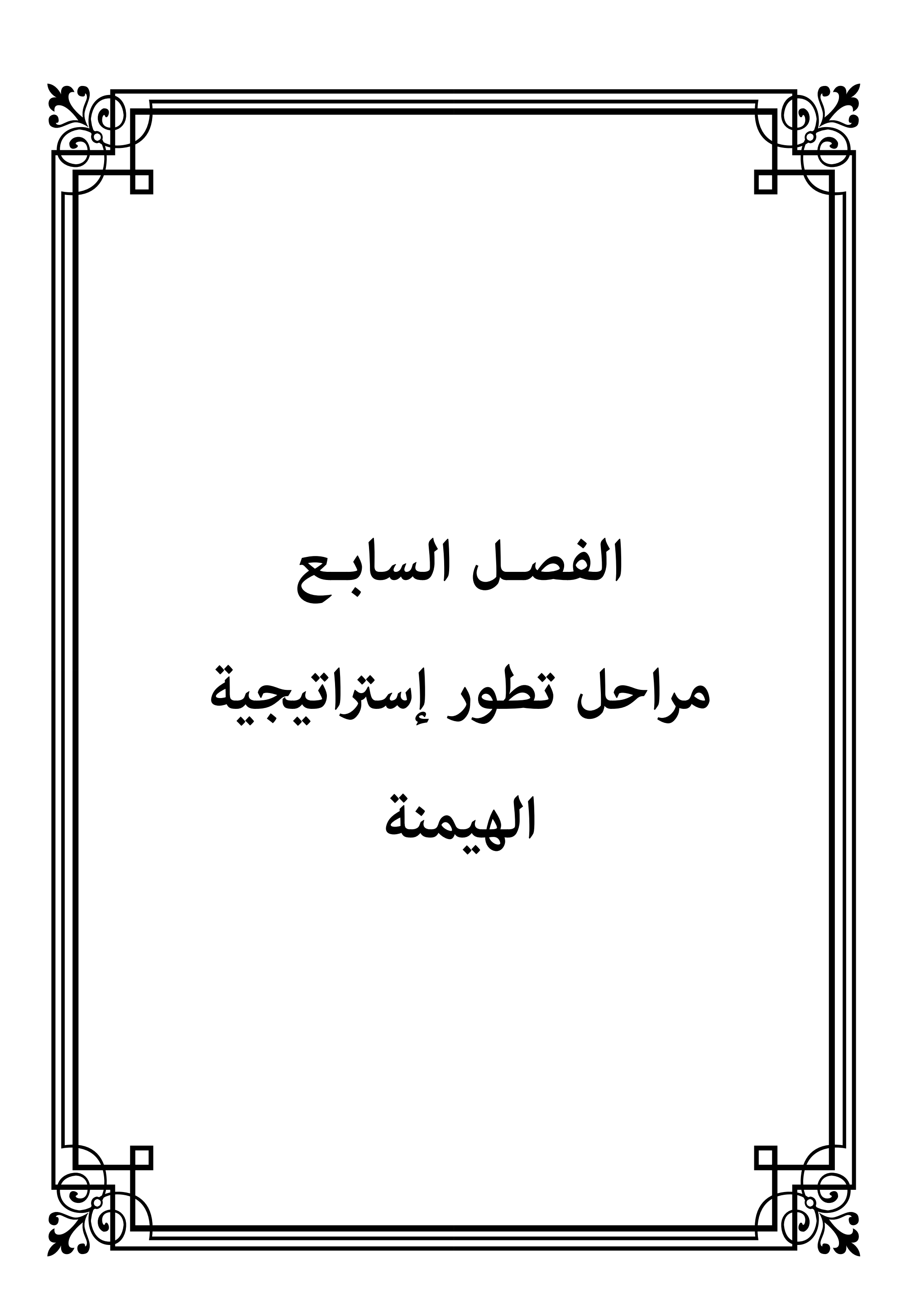
(1) إسماعيل صبري مقلد, العلاقات الدولية: دراسة في الأصول والنظريات , منشورات ذات الـسلاسل, الكويت, ط5, 1987,ص88.

٥- حققت تفوق كبير على منافسها الاتحاد السوفيتي في الجانب العسكري،تلك القوة التي صنعت للولايات المتحدة الأمريكية هيبتها في العالم[1].

5- مرحلة ما بعد الحرب الباردة (استغلال الفرصة السانحة): بعد انتهاء الحرب الباردة بدأ الإعلان الرسمي للهيمنة الأمريكية وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي، نشأت ملامح الإمبراطورية الأمريكية وتحولت القطبية الثنائية إلى أحادية وهنا جاء دور الإستراتيجية الأمريكية مرة ثانية لتعبر عن مدى حيويتها وقدرتها على التفاعل مع البيئة الدولية المحيطة ونستذكر مقولة محمد حسنين هيكل : إن الصعود الإمبراطوري الأمريكي هو قصة تتفوق على غيرها لأنه في حدود قرن لا يزيد (القرن العشرين) تمكنت الإمبراطورية الأمريكية أن تصبح الأقوى والأكبر والأعرض كله في الوقت نفسه.

---

(1) كاظم هاشم نعمه, حلف الأطلسي: التوسع إلى الشرق: الحوار مع الجنوب والأمن القومي, أكاديمية الدراسات العليا, طرابلس, ط1, ص43



الفصـل السابـع

مراحل تطور إستراتيجية الهيمنة

تبلورت خطط إعادة نشر أو انتشار القوات الأمريكية في العالم بعد نهاية الحرب الباردة وتفكك وانهيار المنظومة الاشتراكية الذي كان يتزعمها الاتحاد السوفيتي. وشكل تاريخ الخامس والعشرين من كانون الأول 1991 حدثاً جسيماً في تاريخ العلاقات الدولية والحرب الباردة بعد إلغاء الاتحاد السوفيتي وتفكك جمهورياته الخمسة عشر. وعلى الرغم من إن بدايات الانهيار والتفكك والضعف سابقة لهذا التاريخ إلا انه آذن بنهاية حقبة عرفت بالحرب الباردة.

ومن هذا المدخل سنتعرف في هذا الفصل على ماهية الخطط ودوافعها وأسبابها ومبرراتها وما ترمي إليه، وذلك عبر المحاور أو النقاط التالية:

أولاً: مرحلة الحرب الباردة

ثانياً: مرحلة ما بعد الحرب الباردة

ثالثاً: مرحلة أحداث الحادي عشر من أيلول 2001

رابعاً: مرحلة تثبيت عالمية المصالح الأمريكية

أولاً: مرحلة الحرب الباردة

امتدت الحرب العالمية الثانية من عام 1945 وحتى نهاية الحرب الباردة أواخر عام 1991 بين الكتلتين الشرقية بقيادة الاتحاد السوفيتي والغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، أتسمت بتعارض المصالح واختلاف الإستراتيجيات، ومن ثم كان توازن القوى في تلك الفترة يشوبه احتمالات الصراعات المسلحة وخاصة النووية منها[1].وكانت من أهم المصالح للاتحاد السوفيتي لامتداد الفكر الشيوعي مصلحة إستراتيجية تعتمد على وصوله إلى

(1) د. ريمون حداد، العلاقات الدولية, بيروت، دار الحقيقة،ط 1, 2000 ص91 – 110.

المياه الدافئة شمالاً حيث البلطيق، وجنوباً حيث البحر الأسود والخليج العربي. وكان معنى ذلك الاصطدام بالقوة البحرية الغربية التي كانت تسيطر على تلك المناطق، وتعتمد على قوتها البحرية حين ذلك. وقد عدَّت الولايات المتحدة الأمريكية ذلك تهديداً لأمنها القومي ومصالحها في تلك المناطق.

ومن هنا كانت سياسات الأحلاف والتكتلات هي الظاهرة الرئيسية في تلك الفترة، ومن أهم العوامل المؤثرة على التوازنات العالمية. والتي تشكل في معظمها تحقيق مصالح وأهداف القوى الكبرى التي سعت إلى إضافة تحالفات عسكرية في مناطق المصالح الحيوية ومناطق المصالح الرئيسية، وأحيانا تصل درجة أهميتها إلى حيوية وتكتلات اقتصادية، بحيث ترتبط مع القوى الكبرى وفي حالات أخرى تكون تابعة لها. وقد مرت علاقة القوى بين الكتلتين بأربع مراحل:

1- مرحلة التفوق الأمريكي.

2- مرحلة التوازن الإستراتيجي.

3- مرحلة الركود السوفيتي.

4- مرحلة الانهيار السوفيتي والتفرد الأمريكي.

استمرت المرحلة الأولى: منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى منتصف الخمسينات، وقد تمتعت فيها الولايات المتحدة بمرحلة محكومة بعقدة التفوق النووي والاقتصادي. وكانت صاحبة اليد العليا في حلفائها وأعدائها على حد سواء. وكان الاتحاد السوفيتي في هذه المرحلة يجاهد للسيطرة على التحكم بالثورة الصناعية الثانية وبتطوير أسلحة المواجهة مع الولايات المتحدة.[1]

(1) تشانا كياسن، في مواجهة الحرب الباردة، ترجمة عبد الرزاق إبراهيم، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر،ط 1, 1962 , ص42 أو ما بعدها وكذلك انظر: د. وائل محمد العبيدي، المتغيرات الجديدة في الإستراتيجية الأمريكية, الجامعة المستنصرية، مجلة دراسات الشرق الأوسط، ع5, شباط 1998، ص 132 – 204.

أما المرحلة الثانية: فقد تحققت بشكل واضح بعد إعلان الاتحاد السوفيتي عن امتلاكه للصواريخ عابرة القارات. والتي من شأنها أن تحقق إستراتيجية التوازن الاستراتيجي مع الولايات المتحدة. وقد استمرت هذه المرحلة منذ منتصف الخمسينات حتى منتصف السبعينات. وقد خاضت الولايات المتحدة خلالها حرباً شرسة في جنوب شرق آسيا انتهت بهزيمتها في فيتنام المدعومة من الاتحاد السوفيتي والصين.[1]

أما المرحلة الثالثة: والتي امتدت من منتصف السبعينات حتى منتصف الثمانينات فهي مرحلة تميزت بالتأثير المباشر للثورة العلمية والتكنولوجية وبازدياد الفجوة بين المعسكرين في مجالات العلم والتكنولوجيا. وحدثت تغيرات جذرية داخل الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية فظهرت ملامح امبريالية اشتراكية كما يسميها الصينيون. تجسدت في حروب فيتنام في كمبوديا والاتحاد السوفيتي في أفغانستان. وتفاقمت الأوضاع السياسية في بلدان العالم الثالث، التي اعتنقت الاشتراكية مثل: كوبا، وأفغانستان، وكمبوديا، وفيتنام، وإثيوبيا، والصومال، ولاوس، وموزنبيق، وانجولا.... الخ.[2]

وكنتيجة لذلك ساد الركود الاقتصادي والجمود العلمي في الاتحاد السوفيتي، وبدأت التحولات العالمية مع صعود الرئيس ريغان وسياسته ضد الاتحاد السوفيتي الذي وصفه بعالم الشر، وأعلن عليه الحرب تحت شعار مبادرة

---

(1) صبيح عبد الله غلام العامري، الهيمنة الأمريكية في المنطقة العربية: رؤية في الاحتمالات السياسية. أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة سانت كلمنتس العالمية، فرع بغداد، 2011، ص30 – 42.

(2) سميح عبد الفتاح: انهيار الإمبراطورية السوفيتية: نظام عالمي جديد أحادي القطب،القاهرة، دار الشرق، ط 1, 1996 , ص97.

الدفاع الاستراتيجي وهو ما جعل الرئيس السوفيتي غورباتشوف يدرك الحجم الحقيقي للاتحاد السوفيتي.

وبوصول غورباتشوف إلى الحكم بدأت **المرحلة الرابعة** التي كان يعيشها الاتحاد السوفيتي، وما كانت تسمى بالمنظومة الاشتراكية، وقد خسر الاتحاد السوفيتي، نتيجة لأسباب كثيرة داخلية وخارجية الحرب الباردة، وحرب النجوم، وتخلى عن مبادئه وعقيدته، وترك المنظومة الاشتراكية تتحلل في محاولة للحاق بالسوق الحرة متخلياً عن الماركسية والاشتراكية ولاهثاً وراء المساعدات والقروض. وقد تأمل غورباتشوف انه عبر توحيد ألمانيا، فإن الطريق إلى دخول الاتحاد السوفيتي في الوحدة الأوربية تحت شعار البيت الأوربي الموحد، سيعطيه دوراً قيادياً جديداً في العالم. ولكن إدارة ريغان ومن بعدها إدارة بوش الأب استطاعتا إبعاد غورباتشوف وخداعه.[1]

تميزت هذه المرحلة- مرحلة الحرب الباردة- سلسلة من الأحلاف أولها حلف شمال الأطلسي الذي ظهر للوجود في 4 نيسان 1949. ونشر العديد من القواعد العسكرية الأمريكية في الأراضي الأوربية زيادة في مصداقية إستراتيجية الردع ضد الاتحاد السوفيتي. ناهيك عن نشر الصواريخ النووية متوسطة المدى في أوربا. وإنشاء القيادة العليا للقوات المتحالفة في أوربا ومقرها بروكسل ويتبعها أربع قيادات فرعية أخرى.

(1) بول كينيدي ونعوم تشومسكي وآخرون، الإمبراطورية بعد احتلال العراق، ترجمة تركي الزميلي، الرياض، الإسلام اليوم، ط 1, 2005، ص12.

وفي مقابل ذلك كان الرد السوفيتي هو الأخر ردعياً إذ انشأ حلف وارشو عام 1955 للرد على حلف شمال الأطلسي ونشر قواته وصواريخه في أوربا الشرقية في محاولة للتهيؤ لأي مغامرة يقوم بها عليه الغرب.

وبعبارة أخرى وفي إطار نشر القوات الأمريكية في العالم. أخذت الولايات المتحدة تسير ومنذ الحرب العالمية الثانية ضمن المثل القائل إن العزلة الأمريكية غرقت في بيرل هاربر[1]بحيث أصبحت فكرة الأمن القومي مرتبطة بفكرة الأمن العالمي، بالأمن الجماعي، تلك الفكرة التي أعلن عنها وودرو ويلسن وأعيد إقرارها في ميثاق الأطلنطي(حلف شمال الأطلسي).[2]

وعّن مفهوم الأمن القومي المفهوم الرئيس الذي تبناه القادة السياسيون من الأمريكيون لدعم مواقفهم السياسية، وجاءت خطابات الأمن القومي تبرر وتعطي الشرعية لتصميم إستراتيجيتهم المنظورة وبعيدة المدى بجوانبها الاقتصادية والسياسية والعسكرية.[3]وان منطقة الأمن القومي أتسع نطاقها إلى ابعد مدى، بعد ما كانت فقط منطقة الكاريبي فأنها شملت ابعد من هذه المنطقة

---

(1) د. حسن البزاز، القوى العظمى بين شريعة الغاب وصراع الفيلة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،ط1, 1988، ص15.

(2)دكستر بركنس، فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة وتحليل، ترجمة د. حسن عمر, القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1952، ص119.

(3) المصدر نفسه، ص119.

لدرجة إن جون بولتون ممثل الولايات المتحدة صرح ذات مرة، بأنه لا يوجد شيء باسم الأمم المتحدة، بل هناك مجتمع دولي يمكن أحيانا أن تقوده القوى العظمى الوحيدة الحقيقية في العالم. أي الولايات المتحدة وفقط حينما يتفق الآخرون معنا. نقلاً عن : أليون واينبرجر، ما سمعته عن عراق 2005, القاهرة، مجلة سطور، ع112، 2006 ,ص6.

مثل البرازيل والإكوادور، ولكن فيما بعد كشف للعالم إن حدود مساحة الأمن القومي الأمريكي تتضمن أوربا والشرق الأوسط وان تحكم دول في تلك المناطق يعني تهديد للأمن القومي الأمريكي.(1)

إن رؤساء الولايات المتحدة وعلى مدار ما بعد الحرب العالمية الثانية لم يستثنوا منطقة في نظرهم غير مهمة. بل حتى في تقسيماتهم للمصالح كما فعل ريتشارد نيكسون قسموها إلى ثلاثة أنواع هي: الحيوية والهامة والهامشية. ولم يدع فاصل بينهم بل اوجد ارتباط بينهم بحيث كانت اغلبها مهمة بنظره.(2)

إن انبثاق الإستراتيجية الأمنية للولايات المتحدة هو هدف إستراتيجي من الأهداف العليا بالنسبة للولايات المتحدة كونها تهدف للحفاظ على الأمن القومي الأمريكي بما فيه المصالح الأساسية والحيوية والجوهرية وضمان التفوق وتحييد التهديدات ومواجهة الخصوم. إذاً كانت مرحلة الحرب الباردة هي المرحلة التي استنزفت الولايات المتحدة لمجاراة الخصم السوفيتي، مما دفع يعظهم إلى توقع الانهيار الأمريكي شأنه شأن الانهيار السوفيتي، عبر مقولة" إن في عالم القطبين، زوال أحد الأقطاب يعني زوال الآخر (3) للتركة الثقيلة التي يخلفها سقوط الأول كعبء ثقيل على القطب المتبقي.

---

(1) حسن البزاز: المصدر سبق ذكره، ص48.

(2) ريتشارد نيكسون، أمريكا والفرصة التاريخية، ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل، بيروت، مكتبة بيسان،ط1, 1992، ص38-39.

(3) قارن مع كل من: بول كينيدي، نشوء وسقوط القوى العظمى، ترجمة مالك البديري، عمان، الأهلية للنشر،ط 2, 1994. وكتابه: بول كينيدي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، ترجمة محمد عبد القادر وغازي مسعود، القاهرة، دار الشروق،ط 1, 1993.

ثانياً: مرحلة ما بعد الحرب الباردة

بعد انتهاء الحرب الباردة فان البيئة الدولية تغيرت فبرزت أربع اعتبارات أمريكية وراء إعادة نشر القوات الأمريكية في العالم وهي:

1. **اعتبارات الأمن القومي الأمريكي.**
2. **اتجاهات الريح الجديدة في السياسة الخارجية الأمريكية.**
3. **قضية التهديدات الأمنية والجديد فيها.**
4. **مستجدات الوضع العسكري وجديد التكنولوجيا العسكرية التي تتحكم بشكل أساسي في اتجاهات العمل العسكري والتسليح وغير ذلك.**[1]

وفي عالم تتحكم فيه اعتبارات السياسة والأمن بشكل أساسي ومع الهيمنة الأمريكية عالمية الطابع في الوقت الحالي في ظل ممكنات قوة لم تتوافر لأية قوة عظمى من قبل عبر التاريخ البشري. بحيث أصبحت الولايات المتحدة هي القوة الـHyper الأولى في التاريخ الإنساني مع مستوى اقتصادي متقدم وقوة عسكرية توجد في كل ركن من إرجاء العالم تقريباً مما منحها تأثيراً سياسياً غير مسبوق.[2]

---

(1) للمزيد انظر: صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات،بيروت، ترجمة ونشر مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق،ط 1, 1995، ص34- 68. وكذلك فرانك دانينو . CIA حكاية سياسية 1947 -2007، ترجمة عبير المنذر، بيروت مؤسسة الانتشار العربي،ط 1, 2009 , ص 141 – 152.

(2) زبيغنيو بريجنسكي، الفوضى: الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، ترجمة مالك فاضل، الأردن، الأهلية للنشر,ط1, 1998، ص9- 32. كذلك زبيغنيو بريجنسكي، الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي,ط 1, 2004، ص8- 28.

الـذي كـان بمثابـة التهديـد العـسكري والأمنـي الأسـاسي للولايـات المتحـدة وحلـف شـمال الأطلـسي التنظـيم الـدفاعي العـسكري والأمنـي الأسـاسي للكتلـة الغربية.[1]وعلى ذلك فقط ظهرت أولويات عدة في السياسة الخارجية الأمريكية مع اختفاء أطر العمل كافة التي كانت تحكم السياسة الخارجية الأمريكية طيلـة فـترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية 1991 ومطلع عام 1992. حيث ظهر ما اسماه(جوزيف نـاي) بالنظـام العـالمي الجديـد ذو الطبيعـة الـسائلة. أي الـذي لم تتشكل ملامحه بعد، من ثم كانت الولايات المتحـدة في سـباق مـع الـزمن لترسـيخ نفسها كقوة اكبر في العالم وهو ما لم تنجح فيه على مختلـف المـستويات باسـتثناء المستوى العسكري فهي القوة العسكرية الأكبر في العالم بلا منازع ولكنها اقتـصادياً قوة ضمن قوى أخرى هي اليابان والصين والاتحاد الأوربي.[2]

أما سياسياً فهنالك مناطق لا تـستطيع الولايـات المتحـدة دخولهـا في العـالم دون إذن من أصحابها مثل شرقي آسـيا. حيـث منـاطق النفـوذ الـصيني والكـوري الشمالي مهـما قيـل عـن الفـرق الأمريكيـة العـسكرية المرابطـة في كـل مـن كوريـا الجنوبيـة وجزيـرة اوكينـاوا اليابانيـة. وكـذلك آسـيا الوسـطى، إذ إن الاتفاقيـات الاقتصادية والعـسكرية التـي تـرتبط بهـا الولايـات المتحـدة مـع الـنظم الـسياسية الحاكمـة في دول هـذه المنطقـة لا تـساوي أكـثر مـن الـورق الـذي طبعـت عليـه وبعض بنودها التي ترتبط بالتزامات هذه الـنظم. أمـا الـشعوب الموجـودة هنـاك

---

(1) د. محمد احمد النابلسي، في مواجهة الأمركة، دمشق، دار الفكر،ط 1, 2004، ص ص87 – 104.

(2) نقلاً عن: د. خير الدين عبد الرحمن، تصدعات في القلعة الأمريكية: تحليل استـشرافي اسـتراتيجي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 1, 2004، ص 86 وما بعدها.

فاغلبها تابع بشكل أو بأخر أما فكرياً أو تنظيمياً للجماعات الأصولية المسلحة وعلى رأسها تنظيم القاعدة وحركة طالبان والحزب الإسلامي الباكستاني ونظيره الأفغاني والجماعة الإسلامية الباكستانية ونظيرتها الأفغانية وغيرها في أذربيجان وطاجيكستان وهذه لا تكن للولايات المتحدة والكيان الصهيوني والغرب كراهية فحسب بل هي العدو الرئيسي لها جميعاً.[1]

ومما عجل من فكرة إعادة انتشار القوات الأمريكية في العالم. الصراع الذي دار بين أنصار المدرسة الدفاعية ومعها المخابرات القائلة إلى عدم تقليل الاعتماد على القوات العسكرية الأمريكية والدعوة إلى زيادتها وزيادة الإنفاق عليها. وبين أنصار المدرسة الاقتصادية الداعية إلى تخفيض الإنفاق العسكري العام وتقليل حجم الانتشار العسكري الأمريكي والقواعد العسكرية في العالم.[2]

وقد بررت المدرسة الأولى رؤاها بالفراغ الاستراتيجي الواسع الذي خلفه انهيار الاتحاد السوفيتي والواجب ملئه أمريكيا. ووفق فرضية مؤداها "" إن عالماً جديداً بدأ بالتشكل "" وهذا ما سعى له الرئيس جورج بوش الأب منذ تسلمه الرئاسة عام 1989- 1992. لذلك مثل(بوش الأب) ومعه تيار المحافظين الجدد آنذاك ميلاً واسعاً لتلك المدرسة وأفكارها ومنطلقاتها.[3]

---

(1) إيمانويل تود، ما بعد الإمبراطورية: دراسة في تفكك النظام الأمريكي، ترجمة محمد زكريا إسماعيل، بيروت، دار الساقي، ط 1, 2003.

(2) للمزيد حو ل الموضوع انظر بداياته وتطوره في: معتز محمد السيد سلامة. تأثير أحداث 11 أيلول في المفهوم الأمريكي للأمن القومي، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية, القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2008.

(3) نعوم تشومسكي، تواريخ الانشقاق، ترجمة محمد نجار، عمان، الأهلية للنشر،ط 1, 1997، ص 12 – 34.

وما يدل على ذلك رفض(كولن باول) رئيس هيئة الأركان المشتركة أثناء جلسة استماع من قبل لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب آذار 1991 فكرة تخفيض الإنفاق العسكري وتقليل القوات العسكرية. برده قائلاً :- "" هل سمعتم في أذهانكم أن يتعين عمدة على العالم ويقلل قوة الشرطة لديه,[1]لذلك اختلق الرئيس(بوش الأب) الذرائع ليصطاد العراق في فخ الكويت عام 1991، لدرجة انه قال في مذكراته انه كان يخشى أن توقظه زوجته مرة وتقول له خبراً مفاده"" إن صدام حسين قد انسحب من الكويت [2].

أما المدرسة الثانية فكانت أميل إلى الاقتصاد والداخل ومثلها الرئيس ببل كلينتون وكان شغلها تقليل الفجوة الاقتصادية لصالحها بدلاً من اليابان أو الصين أو ألمانيا الموحدة وكذلك تقليل العجز في ميزان المدفوعات الأمريكي.

وسارت على آليات الاقتصاد عبر التكتلات الإقليمية أو العالمية النافتا عام 1991 مع كندا والمكسيك أو الأيبك الذي ضم(15) دولة أسيوية مع الولايات المتحدة عام 1993. ثم شكلت اتفاقية الجات والتعريفة الجمركية عام 1994 والتي أصبحت فيما بعد منظمة التجارة العالمية عام 1999. ومن اجل تجديد السياسة الاقتصادية وإعادة بناء الاقتصاد الأمريكي عبر نظرية الفوضى البناءة ضربت اقتصاديات النمور الأسيوية عام 1997 بعد سحب الولايات

---

(1) حول الموضوع انظر: وائل محمد إسماعيل، النظام السياسي الأمريكي: دراسة في العلاقة بين الرئيس والكونغرس في الشؤون الخارجية، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية,جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية 1994.

(2) بوب وود وارد، خطة للهجوم، مصدر سبق ذكره، ص52.

المتحدة استثماراتها المالية من اقتصاديات تلك الدول التي سرعان ما انهارت.[1]

المهم إن أجندة السياسة الخارجية الأمريكية تحولت منذ مطلع التسعينات من الالتفات إلى الخطر الشيوعي وترسانات السلاح النووي والتقليدي الهائلة للكتلة الشرقية وقضية الصراع في الشرق الأوسط إلى أفاق أخرى أفرزتها مستجدات العالم الجديد.

كما ظهرت دواعي أخرى خلال مرحلة التسعينات تطلبت الإدارة الأمريكية لها منها الجريمة المنظمة وعصابات المافيا الدولية ولا سيما العاملة في تجارة المخدرات والسلاح على مستوى عالمي وتجارة الرقيق الأبيض من النساء والفتيات من شرق أوروبا استغلالاً لأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية الصعبة.

فضلاً عن حصار عمليات سرقة وتهريب المواد والتكنولوجيا النووية وغير التقليدية من دول الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية[2].

ويعزو هنري كيسنجر وزير الخارجية السابق "" إن النصر ولدَّ في الحرب الباردة مفارقة مثيرة حيث وجدت الولايات المتحدة نفسها في أوج قوتها في موقع ساخر ففي وجه ما قد يكون أعمق اضطرابات يشهدها العالم. فشلت في

---

(1) د. وائل محمد إسماعيل، الهيمنة الأمريكية: رؤية في الاحتمال السياسي, الجامعة المستنصرية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ع 25، تموز 2008 , ص 109 – 111.

(2) السيد يسين، كيف نفهم العالم؟ ,القاهرة، التقرير الإستراتيجي لعام(2008 – 2009-2010) ,ص20.

تطوير مفاهيم ذات صلة بالوقائع الناشئة فالانتصار في الحرب الباردة يغري بالزهو والاقتناع بالوضع الراهن يجعل النظر إلى السياسة بمثابة إسقاط للمألوف على المستقبل "".[1]

فمنذ شارك الجنرال شوارتزكوف الأب في التخطيط لانقلاب الجنرال زاهدي على رئيس الوزراء محمد مصدق في إيران عام 1953 وحتى سقوط الاتحاد السوفيتي أواخر عام 1991. كانت الولايات المتحدة الوريث في ترتيب أدوات الصراع والمواجهة مع الاتحاد السوفيتي حتى على النطاق الإقليمي الداخلي. وكانت راعية أو مباركة لاحتضان عناصر وتيارات إسلامية في منطقة الخليج العربي في مواجهة المد القومي واليساري القريب من الكتلة الاشتراكية وان كانت بشكل غير ظاهر.[2]

وعلى ضوء توجهات الإدارة السابقة للرئيس كلينتون وتناغماً مع إدارة بوش الأب صاغت إدارة بوش الأب برنامجها الإستراتيجي الأساسي التي رتبته كونداليزا رايس وكانت آنذاك مستشارة للأمن القومي مبادئ المصلحة القومية الأمريكية والتي تقوم على:

1- بناء قوة عسكرية مؤهلة لضمان استمرارية وتوطد التفوق الأمريكي.

2- الحسم مع الأنظمة المارقة أي الدول التي تعتبرها الولايات المتحدة متمردة على الشرعية .

3- بناء علاقات مقبولة وحذرة مع موسكو وبكين.

---

(1) هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2002، ص9.

(2)جاسم خالد السعدون، أحداث 11 أيلول / سبتمبر وانعكاساتها على منطقة الخليج, بيروت، مجلة المستقبل العربي، ع 285، تشرين الثاني 2002، ص31.

4- إطلاق الرئيس في اتخاذ القرارات التي يقتضيها الدور الريادي للولايات المتحـدة في العالم.[1]

ثالثاً: مرحلة أحداث الحادي عشر من أيلول 2001

كان الحدث الحاسم للتغيير للقوات ويفترض دعـاة هـذا الاتجـاه أو الـرأي على إن جدولة إعادة الانتشار العسكري الأمريكي لم تبدأ بعد الحرب البـاردة وإنمـا بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001. فالعقائد والأفكار لما بعد ذلك الحـدث تحولت إلى ماضي. وكل شيء تبدل وبدأ يتشكل على ضوء مسارح الأرض. وما لاقته الولايات المتحدة من تحديات جسيمة بفعل ضرب الأبـراج. وان لحظـة اسـتهدافها بالمفهوم الأمريكي لا تمثل الخسائر المادية فقط بل الكرامة والهيبة الأمريكيـة التـي أهينت. فإزاء ذلك فالعقائد الأمنية لم تعد تلاءم عالم ما بعد 11 أيلول. لهذا تحـرك الاسـتراتجي ليلبـي مـصالح الـشركات والنخـب وأجهـزة الاسـتخبارات,[2]فوضـعت السيناريوهات والخطط لزيادة عدد القوات العسكرية الأمريكية مـن 200 قاعـدة بعد نهاية الحرب الباردة إلى أكـثر مـن 750 قاعـدة خـلال اقـل مـن عقـد ونـصف ويكفي أن نشير إلى أرقام معينة في هذا الصدد.

فعقـب قـصف العـراق في عـام 1991 انتهـى الأمـر بالولايـات المتحـدة إلى إقامة قواعد عسكرية في المملكـة العربيـة الـسعودية والكويـت والبحـرين وقطـر

(1) Condoleezza Rice : Campaign 2000: Promoting the National Interest Foreign Affairs, Jan / Feb, 2000) p.g

(2) برادلي أ . تاير، السلام الأمريكي والشرق الأوسـط، ترجمـة عـماد شـعيبي، بـيروت، الـدار العربيـة للعلوم،ط1, 2004، ص34.

ودولة الإمارات العربية المتحدة أي خمسة قواعد عدا عمان وعقب قصفها ليوغسلافيا في عام 1999 انتهى الأمر بالولايات المتحدة إلى إقامة قواعد عسكرية في كوسوفو، وألبانيا، وبلغاريا، ومقدونيا، وهنغاريا، والبوسنة، وكرواتيا أي سبعة قواعد . وعقب قصفها أفغانستان واحتلالها في الفترة 2001 – 2002 انتهى الأمر بإقامة الولايات المتحدة قواعد عسكرية في أفغانستان وباكستان وكازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغستان وجورجيا واليمن وجيبوتي أي تسعة قواعد . أما بعد قصف العراق واحتلاله عام 2003 انتهى الأمر بإيجاد قواعد لها في العراق أيضا، أي بعبارة إنها خلال 12 سنة فقط حصلت على قواعد في 22 دولة.(1)

علماً إن تلك الدول التي يقوم عليها القواعد، هي دول وان عدد القواعد لا يعني قاعدة لكل دولة. بل هناك دول عليها أكثر من 6 قواعد في آن معاً. وبعبارة أخرى إن حجم القواعد الـ 400 يتوزع على أكثر من مائة دولة في العالم.

وإزاء ذلك ارتهنت سيادة دول وباتت أكثر تهديداً بفعل الوجود العسكري الأمريكي الذي اصح وجود شبه دائم بدلاً من التواجد الوقتي ومن خلال آليات معينة هي المعاهدات والاتفاقيات الثنائية خلال الحرب الباردة وما بعدها.(2)

---

(1) وليم بلوم، قتل الأمل: تدخلات العسكريين الأمريكيين ووكالة المخابرات المركزية منذ الحرب العالمية الثانية ترجمة د. أ سعد الياس، السعودية، مكتبة العبيكان،ط 1, 2006، ص273.

(2) سول لاندو، الإمبراطورية الاستباقية، الترجمة ليلى النابلسي، بيروت، الحوار الثقافي، ط 1, 2005، ص25.

ويرى البعض من هذا الاتجاه إن مبررات جدولة إعادة الانتشار العسكري قد احتكمت إلى رؤى الرئيس السابق ريتشارد نيكسون في كتابه" الفرصة السانحة [1] في أول نهاية الحرب الباردة والذي ركز فيه على أهمية استعجال الولايات المتحدة إعادة انتشارها العسكري بما يلاءم البيئة الجديدة لئلا يحدث شيء أو متغير ويقلب جميع المعادلات ويضيع الفرص على الولايات المتحدة وكان ذلك عام 1992، ثم كرر ذلك برؤية اوراسية جيوبوليتيكية عام 1997 في كتابه رقعة الشطرنج الكبرى محذراً الولايات المتحدة في نظرية اسماها الماكندرية الجديدة من تمكن قوة أو مجموعة قوى الاستئثار بالمنطقة الاوراسية لأسباب تتعلق بثقلها العسكري والبشري والاقتصادي. وفي عام 2007 أعاد التخدير ثالثة في كتابه الاختيار أو الفرصة الثانية [2] وفيه تقييم لأداء ثلاث رؤساء أمريكان هم جورج بوش الأب، وبيل كلينتون، وجورج بوش الابن، محذراً من وجود تحديات تواجه الولايات المتحدة وعليها مواجهتها بالإدارة الإستراتيجية.

لقد شهد الفكر الإستراتيجي الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من أيلول مرحلة جديدة من إعادة التفكير في آلية نشر وتمركز القوات الأمريكية في العالم لمواجهة التهديدات التي أفرزتها هذه الأحداث. وقد مثلت الحرب على العراق في ليلة التاسع عشر من آذار عام 2003 إحدى تطبيقات هذه

---

(1) ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة احمد صدقي مراد، عمان، دار الهلال،ط1, 1992، ص 7- 39.

(2) زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية، ثلاثة رؤساء وأزمة القوة الأمريكية، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2007، ص78.

الإستراتيجية الجديدة، حيث ركزت عملية إعادة الانتشار على وضع القوات الأمريكية بحيث تكون قريبة من المناطق التي يحتمل أن تتدخل فيها الولايات المتحدة مستقبلاً باعتبارها مناطق تفريخ الإرهاب.[1]

وقد أتسمت خطة إعادة الانتشار بسمات عديدة منها الضخامة بمعنى إن هناك العديد من الدول التي كشفت عن رغبتها في استضافة هذه القوات على أراضيها أما طمعاً في الفوائد الاقتصادية أو لتعزيز روابطها الإستراتيجية مع الولايات المتحدة. كما اتسمت هذه الخطة بتراجعها عن منهج بناء القواعد العسكرية الضخمة واتجاهها إلى منهج القواعد العسكرية الصغيرة محدودة الحجم التي يمكن أن تستخدم كقواعد انطلاق نحو المناطق الساخنة في العالم.

ويكفي إن هناك (63) موقع عسكري في(11) دولة في الشرق الأدنى ومنطقتي الخليج العربي والمركز التي تضم دائرة الصراع العربي الإسرائيلي والقرن الأفريقي. ومع نقل مقر القوات الجوية الأمريكية من السعودية إلى قطر، فان توجهاً أمريكيا لسحب قواتها من السعودية إلى قطر.

وتؤدي جملة عوامل أخرى إلى تغيير نشر القوات الأمريكية منها:

1- مستوى المشاعر المعادية للولايات المتحدة في الدول المستضيفة.

2- مدى سماح الدول المستضيفة بحرية حركة القوات البرية والجوية في استخدامها لأراضيها.

3- حجم الاستثمارات المالية والعسكرية التي تم إنفاقها من قبل في كل موقع.

4- الأهمية الجيوسياسية للدولة المضيفة.[2]

---

(1) سميح فرسون، جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب، بيروت، مجلة المستقبل العربي، ع 284، تشرين الأول، 2002، ص 16.

(2) د. محمود خليل، إعادة نشر القوات الأمريكية في الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، ع 157، تموز 2004. ص 114.

رابعاً: مرحلة تثبيت عالمية المصالح الحيوية الأمريكية

ونجد أفكار عالمية المصالح الأمريكيـة أو الاسـتثنائية الأمريكيـة لـدى فصيل واسع من الساسة الأمريكـان إلى درجـة أكـدوا إن العظمـة للولايـات المتحدة قد دفعت دفعاً.[1] وان تتوجها كقائد عـالمي لم يكـن خيـاراً أمريكيـا وإنما واقعاً ظرفياً أملتـه مقومـات القـوة المتاحـة لهـا.[2] وان تفوقهـا حـصل لطبيعة قدرة الولايات المتحدة الأمريكية التي تتمتع بمصادر قـوى متعـددة الأبعـاد، لدرجـة بإمكانهـا تحمـل تراجـع بعـض هـذه المقومـات. لان بقيـة المقومات تسد الـنقص أو تعـوض القـدرة.[3] ويـرى أنـصار هـذا الاتجـاه إن إعادة جدولة الانتشار العسكري الأمريكي الحتمية فرضـتها أولويـات القـوة الأمريكيـة. وابـرز هـؤلاء هـو جوزيـف نـاي الابـن "" الـذي أكـد إن القـوة الأمريكيـة هـي الفريـدة في التـاريخ التـي لا تقـارن بهـا أي قـوة سـابقة"". وتشارلز كاروثامر الذي اعتقـد إن الولايـات المتحـدة هـي وحـدها المؤهلـة لإدارة العالم ولا توجد قوة في الأفاق مرشحة لمنافستها "".

كـذلك غـير بـول كنـدي أطروحاتـه في كتابـه الـصادر عـام 1988 سـقوط وصعود القـوى العظمـى مـن حتميـة انهيـار الولايـات المتحـدة. في كتابـه الـصادر

---

(1) أندرو باسيفيتس، الإمبراطورية الأمريكية: حقائق وعواقب الدبلوماسية الأمريكيـة، ترجمـة مركـز التعريب والترجمة، بيروت، الدار العربية للعلوم،ط 1, 2004، ص 21.

(2) زبيغنو بريجينسكي، الفرصة الثانية، مصدر سبق ذكره، ص35.

(3) د. السيد أمين شلبي، الجدل حول مستقبل القوة الأمريكية القاهرة، مجلـة الـسياسة الدوليـة، ع 183، 2001، ص35.

عام 1993 " الاستعداد للقرن الحادي والعشرين"[1] والذي أكد فيه إن الولايات المتحدة سوف لا تسقط أو تنهار لان علامات وأسباب انهيار القوى العظمى السابقة كان بسبب حجم الإنفاق العسكري لها. إذ سرعان ما تنهار في حالة فشلها في الحروب أو اقتصادياً. بينما الولايات المتحدة ما تخصصه للأنفاق العسكري لا يصل أكثر من 12% من حجم ناتجها القومي. وبذلك فأن خوضها الحروب لا يؤثر على قوتها، وأخرى أنها تختلف عن القوى تلك التي تمحورت إمبراطورتيها حول دولة مركز واحدة. إذا ما انهارت الدولة المركزية تنهار الإمبراطورية، بينما الولايات المتحدة الآن زعيمة نظام رأسمالي لا تنهار لوحدها إلا بانهيار كامل النظام الرأسمالي وتلك احتمالية صعبة التحقق في ظل تعاون الدول النظام وتجديد النظام الرأسمالي لنفسه، وسيطرته على آليات النظام الاقتصادي والمالي العالمي.(2)

لذلك ووفق هذا الاتجاه فان إعادة الانتشار للقوات الأمريكية تعترضها أولوية المصالح الأمريكية وعالميتها.

ومنذ وقوع أحداث أيلول 2001 أصدر الكونغرس الأمريكي عدداً من القوانين التي تقود لزيادة القوة الأمريكية والتوسع في صلاحيات الأجهزة

(1) قارن مع بول كندي، نشوء سقوط القوى العظمى، مصدر سبق ذكره، وكتابه الأخر، بول كينيدي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، مصدر سبق ذكره.
(2) قارن مع: د. خالد سعد زغلول حلمي، مثلث قيادة الاقتصاد العالمي: دراسة قانونية واقتصادية. جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي 2002 .

التنفيذيـة خاصـة وزيـري العـدل والخارجيـة. وتلـك تمـنح مرونـة تـدعم عمـل المؤسسات التي لها صلة ربما بالمصالح الأمريكية سواء في الداخل أو الخارج.[1]

كذلك لا يمكـن رد مـسألة إعـادة انتـشار القواعـد العـسكرية الأمريكيـة في العالم وداخل الولايـات المتحـدة ذاتهـا إلى العوامـل الـسابقة فحـسب بـل تـتحكم تكنولوجيـا الـسلاح والجديـد في شـكل ونوعيـات التـسليح في خطـط العمليـات العسكرية وشكل ترسانات السلاح وتوزيع وحجم القوات المسلحة وبوجه عام تعد الولايات المتحدة الدولة الأكـبر في العـالم سـواء مـن جهـة إنتـاج أو تجـارة الـسلاح والتحكم في تكنولوجياته وتملك الشركات الأهم في هـذا الـصدد ومـن بينهـا بـوينج ولوكهيد مارتن وماكدونال دوجلاس ونور ثـروب جرومـان. وكـذلك المعامـل الأكـبر والأكثر تقنية ومنها ليفرمور ولوس ألاموس. وبعبارة أخرى يلعب المجمع الـصناعي العسكري الأمريكي دوراً كبيراً في توجيه وتحديد نوعية وإعداد القوات الأمريكية في العالم.[2]

وقد استعاضـت الولايـات المتحـدة مـع التطـور الكبـير الـذي طـراً عـلى تكنولوجيا السلاح ونوعياته على نحو كبير بـالكيف عـلى حـساب الكـم. حيـث افرز الجديد في مجال التخطيط العسكري والسلاح فرصة للـتخلي عـن مـسألة

---

(1) منار الشوربجي، الحريات المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحـادي عـشر من أيلول / سبتمبر بيروت، مجلة المستقبل العربي، ع 285، تشرين الثاني 2002، ص 9 -19.

(2) للمزيد حول الموضوع انظر الأطروحة التي تمت بإشرافنا: باسل محمود سلوم، المجمـع الـصناعي العسكري والإعلام الأمريكي ودورهما في رسم السياسة الخارجيـة للولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أطروحة دكتوراه في الدراسات الدولية، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية 2004 .

الاحتفاظ بقوات كبيرة في العدد والعدة لصالح قوات نوعية مدربة تدريباً جيداً ومسلحة بسلاح كثيف النيران يغنى عن كمية كبيرة من السلاح لذلك قامت المصانع الحربية الأمريكية بإنتاج مقاتلات قاذفة ثقيلة من طراز ب- 52 وتصنعها شركة بوينج ومداها 8,8 ميل بحمولة قصوى تبلغ 70 ألف رطل و ب – 2 سبيريت أو Spirit القارية المدى والتي تصنعها نور ثروب جرومان بحمولة قصوى تبلغ 40 ألف رطل والقادرتين على حمل صواريخ نووية وتقليدية موجهة بأشعة الليزر ومزودة برؤوس حربية تحتوي على متفجرات شديدة المفعول على صغر حجمها وقنابل ذكية وغيرها.[1]

كذلك ازدادت حاجة الولايات المتحدة إضافة إلى أسطولها من حاملات الطائرات الذي هو بمثابة قواعد جوية عائمة في البحر المتوسط والذي تحمل كل حاملة طائرات فيه ما بين 85 – 110 طائرة تتنوع طرازاها بين الفانتوم أف – 14 وأف – 18 وأف 20 وأف- 15 . وتنوي الولايات المتحدة تطوير فكرتها لإنجاز قواعد عسكرية عائمة متحركة تحتوي على عتاد بري وجوي وبحري متنوع وتتكلف الواحدة منها نحو ستة مليارات دولار. كما أثبتت الأزمات التي واجهت الولايات المتحدة أهمية إيجاد قوات سريعة الحركة وصغيرة الحجم وكبيرة الفاعلية مع الحاجة إلى قواعد عسكرية قريبة من مناطق الأزمات.[2]

علماً إن خطط إعادة نشر القوات الأمريكية تراجع دورياً، والخطة الحالية المطبقة هي لعام 2005 وعرفت باسم براك BRAC وتغطي عقدين أي بين عامين 2005 – 2025 وكانت بأشراف وزير الدفاع الأسبق دونالد رامسفيلد.

---

(1) مايكل اوهانلون وسوزان رايس وجيمس ستاينبرغ، إستراتيجية الأمن القومي الجديدة والإستباق، معهد بروكنز، كانون أول 2002، بغداد، بيت الحكمة، 2002، ص 17.

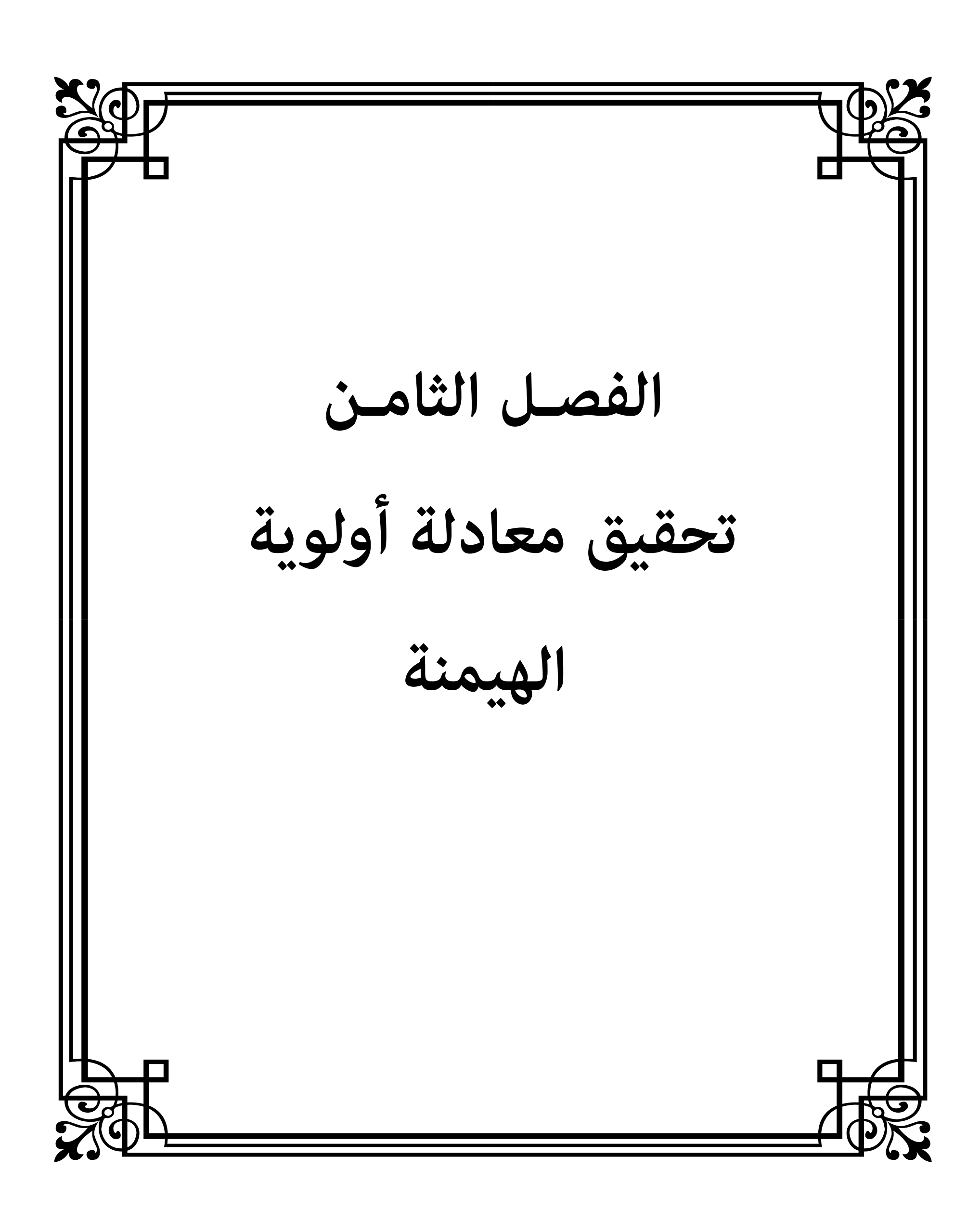
(2) أندرو باسيفيتش، الإمبراطورية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص87.

وهـذه الخطـط عـلى أسـاس المـصالح. فمـثلاً في حزيـران 1973 وصـف(جوزيـف سيسكو) مساعد وزير الخارجية الأمـريكي آنـذاك منطقـة الخلـيج العـربي بأنهـا "" منطقة الولايات المتحدة فيها مصالح سياسية واقتـصادية وإسـتراتيجية هامـة جـداً وعلى ضوء ذلك التصريح تم إعادة بناء الإسـتراتيجية الأمريكيـة إزاء المنطقـة وتـم تحديد نوع القوات اللازمة للحفاظ عليها.[1]

وفكرة عالمية المصالح أول من أشاعها ونقلها من منطقـة جغرافيـة محـددة إلى جميع مناطق العالم هو(رونالد ريغـان) الـرئيس الأمـريكي للفـترة مـن(1980 – 1988) أراد بها أنهاك الإتحاد السوفيتي وتصعيد التوتر والتسلح معه، ومجاراته في كل مناطق العالم.[2] ومن بعده سارت الإدارات المتعاقبـة عـلى ذلـك وبالتـالي فـإن عالمية المصالح الحيوية هي أيضاً كانت إحـدى محـددات البـدء في التغيـير لإعـادة نشر القوات لمهام جديدة في مناطق العالم.

(1) د. وائـل محمـد إسـماعيل، الإدراك الأمـريكي للعلاقـات الأمنيـة مـع روسـيا الاتحاديـة: الواقـع والمستقبل جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، مجلة قضايا سياسية، ع 3 و 4، شـتاء 2004، ص44.

(2) للمزيد حول الموضوع انظر رسالتنا للماجستير: وائل محمد إسماعيل، قوة الانتشار السريع، رسالة ماجستير في العلوم السياسية- غير منشورة - جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، أيار، 1988.



الفصـل الثامـن

تحقيق معادلة أولوية الهيمنة

لا جدال إن في التنوع والاختلاف في الخواص الطبيعية لسطح الأرض من مكان لأخر، رتب حقيقة مفادها اختلاف أوزان الدول من حيث القوة والضعف نظراً لاختلاف خصائص ومقومات كل منها. إذ يرى كتاب الجيوليتكس إن هناك مناطق على سطح الأرض تنفرد(تختص) بصفات ومقومات مواتية لتنمية القوة. تسمى بالمناطق المحورية أو مناطق القوة، وتصنف المنطقة العربية ضمن هذه المناطق.(1)

ناهيك عن موقعها الاستراتيجي وامتلاكها موارد أولية ذات قيمة اقتصادية وإستراتيجية عالية وأولها النفط ومن ثم الغاز الطبيعي. إذ تمتلك ما يقارب الـ 61 – 65% من الاحتياط العالمي. وقرابة 38,5 من الاحتياطي العالمي للغاز.(2)

وعلى الرغم من قدم أهمية المنطقة العربية في الإستراتيجية الأمريكية والتي يرجعها البعض إلى منتصف القرن التاسع عشر لإغراض تجارية وتبشيرية، فأن البدايات الأولى يمكن رسمها بعد الحرب العالمية الثانية. فالبيئة الأمنية بعد الحرب العالمية الثانية فرضت ذلك ناهيك عن توسع مفهوم الأمن القومي الأمريكي، والذي شمل العالم ومنه المنطقة العربية التي دخلت فيه بسبب حجم المصالح الأمريكية واتساعها لتشمل المنطقة العربية أيضاً. ولتأمين تلك الحماية للمنطقة أصدرت الإستراتيجيات المتحولة والمتغيرة حسب المخاطر التي تحيط

---

(1) د. أمين محمود عبد الله، في أصول الجغرافيا السياسية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1979، ص158.

(2) صبيح عبد الله غلام العامري، الهيمنة الأمريكية في المنطقة العربية، مصدر سبق ذكره، ص48 وما بعدها.

بالولايات المتحدة. فكانت إستراتيجية الاحتواء بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.[1]

ودخلت المنطقة العربية باهتمام أكبر من لدن أوربا الغربية والولايات المتحدة في حساب المواجهة مع الاتحاد السوفيتي فكانت ترساً امنياً، وبنيت القواعد العسكرية لحماية المصالح الأمريكية في المنطقة، وعلى ضوء ذلك انبثق مبدأ أيزنهاور بذريعة ملء الفراغ الناجم عن انسحاب القوى التقليدية الأوربية بريطانيا وفرنسا في المنطقة وضرورة ملئه أمريكيا قبل أن يملأ سوفيتياً.[2] ومن اجل تمكين الولايات المتحدة أكثر في التمركز بالمنطقة ولتبرير تواجدها بشكل واضح أطلقت مبدأ نيكسون بالاعتماد على ركيزتين أساسيتين لحماية المصالح الأمريكية في المنطقة عرفت بسياسة العمودين القائمة على إيران الشاه والعربية والسعودية.

وكان لابد من أن يصار إلى قوة تدعم تلك الدولتين مخافة اجتياح سوفيتي. ووفر التدخل السوفيتي في 31 كانون أول 1979 الفرصة المناسبة لتبلور مبدأ تدخلي جديد هو مبدأ كارتر، والذي فوَّض تشكيل قوة الانتشار السريع، والتي أصبحت قيادة مركزية تختص بحماية(19) دولة في المنطقة، ارتضت وبقناعة على مشاركة الولايات المتحدة في ذلك وأولها السعودية ومصر وإسرائيل والأردن.[3]

---

(1) د. كاظم هاشم نعمة، دراسات في الإستراتيجية والسياسة الدولية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1, 1990، ص348.

(2) للمزيد انظر: فواز جرجيس، السياسة الأمريكية تجاه العرب كيف تصنع؟ ومن يصنعها؟ , بيروت، مركز دارسات الوحدة العربية،ط1, 1998، ص 31 – 32.

(3) مذكرات جيمي كارتر. ترجمة شبيب بيضون, بيروت، دار الفارابي، 1985، ص63.

وخلال فترة إدارة الرئيس(جورج بوش الأب) 1989 – 1992 سنحت الفرصة الإستراتيجية للولايات المتحدة، بعد انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي في 25 كانون أول 1992، وحرب الخليج الثانية للفترة من 17 كانون الثاني – ا آذار 1991.[1]

وعلى الرغم من هذه التحولات لم تبدي أية إدارة منذ عهد الرئيس وودرو ويلسون مثل إدارة رونالد ريغان في صرامتها ومثابرتها في التعلق بتشجيع الديمقراطية في الخارج. فحينما يضع رئيس ما قيادة مجموعة عالمية من الديمقراطيات التي تتبع سياسة السوق في صلب سياسته فهو حتماً رئيس ويلسوني.

وخلال فترة إدارة الرئيس بيل كلينتون هدفت إستراتيجيته للحفاظ على الأمن القومي آنذاك وفي عام 1996. إلى هدف توسيع مجموعة ديمقراطيات السوق وبالترافق مع ردع التهديدات الموجهة إلى امن الولايات المتحدة وحلفائها ومصالحها أو الحد منها. وبمقدار ما تفرض الديمقراطية والليبرالية السياسية والاقتصادية نفسها في العالم. لا سيما في البلدان ذات الأهمية الإستراتيجية، فان امن وازدهار الولايات المتحدة سيتحققان. وفي إطار ذلك فان المكونات المركزية الثلاثة لإستراتيجية الأمن القومي في الالتزام بالديمقراطية ونشرها هي:

1- بذل الجهود التي تعزز امن الولايات المتحدة بفضل اعتماد قوة دفاعية واستخدام الدبلوماسية الفعالة لتشجيع القيام بإجراءات امن تعاونية.

2- العمل على فتح الأسواق الخارجية وتشجيع النمو الاقتصادي الشامل.

---

(1) د. فايز محمد العيسوي، الجغرافيا السياسية المعاصرة, الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص 137.

3- نشر الديمقراطية في الخارج.[1]

والمختلف بين إدارة ريغان وإدارة بوش الأب والابـن قـد آمنـوا برسـالة أمريكا لإشاعة ونشر الديمقراطية وامنوا بالمبادئ الويلسونية، إلا إنهم اختلفوا عنـه بالإيمان برسالة ما تضطلع به أمريكا بدلاً من نظام عـالمي تحكمـه معـايير قانونيـة ومؤسسات والذي كان ينشده ويلسون في عصبة الأمم.[2]

ولتحليل العلاقة بين التوجه والرغبـة نحـو الهيمنـة لـدى الولايـات المتحـدة سنتناول الموضوع في ضوء المحاور التالية:

أولاً: تبرير الهيمنة.

ثانياً: حتمية الهيمنة.

ثالثاً: العولمة والديمقراطية.

رابعاً: الدومينو الديمقراطي.

أولاً: تبرير الهيمنة

انفرد علماء عديدين لتعريف الهيمنة، ومنهم كان الأكثر اسـتخداماً لمفهـوم الهيمنـةHegemony روبـرت جيلـبن الـذي اعتـبر الهيمنـة أو الـسيطرة كمـرادف للقـوة الاسـتعمارية، وتبعـاً لرأيـه تقـوم دولـة مفـردة قويـة بـالتحكم المطلـق بالـدول الأصـغر منهـا في ذلـك النظـام.[3] أمـا بـول كنـدي فـأعتبر المهـيمن بمثابـة القائد المتفوق عـلى الآخـرين في مقومـات القـوة وبالتحديـد المـصادر الاقتـصادية

---

(1) A National Security Strategy of engagement and enlargement, the White House , February, 1996.

(2) بير هاسنر وجوستان قايبس، واشنطن والعالم: معضلة القوى العظمـى، ترجمـة د. قاسـم مقـداد، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2008، ص30.

(3) Robert Gilpin, War & change in world politics , Cambridge, M A : Cambridge University Press , 1981 ,p.29.

منها.[1]ويعطي جاشو جولد شتاين معنى اشمل للهيمنة حيث يعرف القوى المهيمنة بظاهرتين هما الهيمنة السياسية والتي تعني القدرة على السيطرة وذلك من خلال القوة العسكرية والهيمنة الاقتصادية وتعني السيطرة على الدول الأخرى باستخدام الوسائل والمصادر الاقتصادية. والقوة المهيمنة هي تلك القادرة على فرض أحكام العلاقات الدولية.[2]

وهذا ما ينطبق على السلوك الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 200، إذ سارت الولايات المتحدة من أجل تدعيم هيمنتها على العالم بنصائح صموئيل هنتنغتن في أطروحته عن تصادم الحضارات بالتفتيش عن الأمن الاقتصادي لصياغة نظام دولي جديد. فكان احتلال أفغانستان والعراق من قبل الولايات المتحدة البديل الاستراتيجي للاتحاد السوفيتي للأحكام والسيطرة على مصادر الطاقة مخزوناً وإنتاجا وتسويقاً وتسعيراً وإبقاء الدولار عملة التبادل، وبخاصة في ظل المعلومات التي يتداول الخبراء المختصون بأن ذروة الطاقة الإنتاجية Peak oil قد تم تجاوزها عملياً ولا يوجد بدائل رخيصة جاهزة يمكن التعويل عليها في ربع القرن المقبل.[3]وقبل الخوض في الحرب ضد العراق عام 2003 قال الرئيس بوش الابن "" لا يهمني ما يقوله المحامون الدوليون، سنقوم بتوجيه الضربة[4] معلناً إن حربه ضد العراق هي من اجل

---

(1) Paul Kennedy , The Rise and fall of Great powers, New York : Vintage Books , 1989 , p.16.

(2) Joshua Goldstein , Long Cycles : Prosperity and war in the Modern Age, New Haven . C N : Yale University Press , 1988 , p.9.

(3) منذر سليمان، دولة الأمن القومي وصناعة القرار الأمريكي, بيروت، مجلة المستقبل العربي، ع325، آذار 2006 , ص 28-29.

(4) Richard A. Clark , Against All Enemies, New York : Free Press , 2004, P 23 – 24.

بناء الديمقراطية في العراق[1] وان حربه ليس حرب تقليدية وإنما حرب وقائية في كفاح خطير ضد الإرهاب وضد محور الشر.

وكرر بوش الابن مقولة ساتنلي مود حين دخل إلى مدن وأراضي العراق قائلاً: "" جئنا محررين وليس فاتحين ""[2]قالها بوش الابن وبعد قرابة تسعين عاماً على مقولة مود ما نصه"" أعتقد إن الولايات المتحدة هي منارة الحرية في العالم وأعتقد إن من واجبي أن أحرر الشعوب "".[3]

وإذا أثبتنا الفرضية إن كلا الدولتين إرهابيتين بالمعنى الأمريكي، فأن الولايات المتحدة قد ربحت ضد الدول المارقة، وذلك يعود إلى تفوقها العسكري الهائل وتحالفاتها ودعم أصدقائها لها. إلا أنها بدأت تخسر في الكفاح نتيجة المظالم المتجذرة في الذل واليأس والاستياء الثقافي. وحتى في أفغانستان الحرب الوقائية وان كانت مبررة فأنها لم تحد من نشاط حركة طالبان التي لا زالت تشكل قوة في العديد من أنحاء أفغانستان. إذ لا تنسجم الحرب الوقائية

---

(1) يتابع جارودي في كتابه"" كيف نصنع المستقبل "" شكواه من إننا ما نزال نستمر اليوم في اطلاق كلمة تقدم على انحراف أعمى يؤدي إلى تدمير الإنسان والطبيعة. ونطلق كلمة ديمقراطية على أشنع قطعة عرفها التاريخ بين من يملكون ومن لا يملكون. ونطلق كلمة حرية على نظام يسمح بذريعة التبادل وحرية السوق لأولئك الأكثر قوة أن يفرضوا الدكتاتورية عديمة الإنسانية. تلك التي تسمح لهم بابتلاع الضعفاء ونطلق كلمة عولمة على انقسام يتنامى بين الشمال والجنوب نابع من وحدة امبريالية وطبقية. للمزيد انظر: روجيه جارودي كيف نصنع المستقبل، ترجمة منى طلبة وأنور مغيث، القاهرة، دار الشروق،ط 2, 2001، ص21.

(2) Colossus , The Price of American Empire, New York: Penguin Press, 2004 , P.200.

(3) Bob Woodward , Plan of Attack, New York: Simon & Schuster, 2004, p86 – 87.

مع الديمقراطية في الجوهر، فالأولى تتطلب الأحادية والتفرد والقوة الغاشمة ورغبة في خوض المعركة على ارض الخوف نفسه، والثانية تتطلب التعاون والقانون وجهوزية لدفع ثمن البقاء على ارض الانفتاح والشفافية. إذاً الولايات المتحدة في هذا الحال اعتمدت فكرة نيقولا ميكافيللي القائلة"" من الأفضل أن تكون مرهوب الجانب من أن تحظى بالمحبة ""[1].

لقد استخدم الرئيس بوش الابن عبارة محور الشر[2]لأول مرة في خطاب عن حالة الاتحاد في 29 كانون الثاني 2002 إشارة للقوة والهيمنة الأمريكية إذ قال مسمياً"" العراق وإيران وكوريا الشمالية تشكل مثل هذه الدول وحلفاؤها الإرهابيون محوراً للشر، حيث تتسلح لكي تهدد السلام في العالم.[3]

فهل الذي يريد بناء ديمقراطية يلقي باليورانيوم المنضب على جنوب العراق الفقير أو يلقي بأم القنابل وهي قنبلة وزارة الدفاع الجديدة التي تزن(21000) رطل والمح لاستخدامها في الحرب يوم 24 آذار 2003. ولعل شخصية الرئيس(بوش) وميوله واندفاعه والمحيطين به هم كانوا السبب في ذلك. ونقصد المحيطين تيار المحافظين الجدد والذين فهموا شخصيته وسرها. فمثلاً(ديفيد فروم) والذي يرجع له الفضل في اختيار عبارة محور الشر،(وهو

(1) نقلاً عن منذر سليمان، دولة الأمن القومي، مصدر سبق ذكره، ص 16- 19 وص 23.

(2) استعار الرئيس بوش الابن من الرئيس رونالد ريغان مصطلح إمبراطورية الشر وأطلق محور الشر على ثلاثة دول منتقاة هي العراق وإيران وكوريا الشمالية ناسياً إن حربه على تلك الدول هو أكثر مارقة منها. انظر: جاك دريدا، ماهي الدول المارقة؟ في كتاب ذهنية الإرهاب، ترجمة بسام حجار، بيروت، المركز الثقافي العربي،ط 1, 2003 , ص 77 – 86.

(3) المصدر نفسه، ص 78 – 85.

الكاتب السابق لخطابات الرئيس(بوش الابن) وهو صاحب فكرة (محور الكراهيـة والتي أصبحت محور الشر) ربما لتتلاءم أكثر من أخلاقية بوش الإنجيلية عـلى حـد تعبير ديفيد فروم. والذي يعتقـد إن للـرئيس بـوش فـضائل تخفـي نقائـصه منهـا حشمته ونزاهته واستقامته وشجاعته وعناده حسب رأيه، أما نقائصه فهي ضـيق صدره وسرعة غضبه وأحيانا غير متكلف بل ودوغماتياً(متزمتاً) ومحب للاسـتطلاع ولكن تنقصه المعلومات.[(1)]

وعلى الرغم من ذلـك فـان لمتطلبـات الهيمنـة مبرراتهـا، وهـي لا تنـاقش"" فالقوة العسكرية والاقتصادية والسياسية الأمريكية قد قزمت كافة دول العالم".[(2)]

ويورد مايكل إيغناتييف حول قوة الولايات المتحدة بأنها"" الأمـة الوحيـدة التي تمارس دور الشرطي في العالم من خلال خمس قيادات عسكرية عالمية. وتبقي أكثر من مليون جندي في أربع قارات، وتنشر مجموعات حاملات الطائرات القتالية لمراقبة كافة المحطات وتضمن بقاء بلدان من إسرائيل إلى كوريا الجنوبيـة، وتحـرك التجارة الدولية، وتملأ قلوب وعقول كوكب بأكمله بأحلامها ورغباتها "".[(3)]

ويكفـــي أن نـــورد بعـــض المـــؤشرات التاليـــة، للدلالـــة عـــلى مقومـــات القـوة الأمريكيـة فهـي الدولـة الأولى في الترسـانة النوويـة والتقليديـة والكيماويـة والبيولوجية وأسلحة الردع الإستراتيجية ويبلـغ ناتجهـا القـومي الإجـمالي حـسب

(1) David Frum, The Man: The Surprise Presidency of George W. Bush , New York: Random House , 2003 , P . 272.

(2)Tim Wiener , " Mexico in Security Council Decision May Help Its Ties With U. S " , New York Times, November 9 , 2002 , P . A 11.

(3)Michael Lgnatieff, " The Burden, New York Times Magazine , January 5 , 2002 , P. 22.

إحصاء 2009 14,3 تريليون دولار، والآن 16 تريليون دولار وهو اكبر ناتج محلي إجمالي في العالم.

وهي ثالث اكبر مستورد للسلع في العالم وثالث اكبر مصدر للسلع أيضا، وهي ثالث اكبر دولة منتجة للنفط في العالم، واكبر مستورد له. وهي الأولى في العالم في إنتاج الكهرباء والطاقة النووية. إضافة إلى الغاز الطبيعي السائل والكبريت والفوسفات والملح. وهي اكبر منتج للذرة وفول الصويا. وبورصة نيويورك اكبر بورصة في حجم التداول، وهي ثالث دولة في العالم من حيث المساحة بعد الصين والهند، وتمتلك اكبر شركات متعددة الجنسية في العالم، ولها قواعد عسكرية خارج الولايات المتحدة تصل إلى أكثر من 700 قاعدة عسكرية ناهيك عن تحالفاتها وأحلافها المختلفة.[1]

ويرى هيكل إن مشكلة المشاكل بالنسبة للعالم العربي في المدى المنظور من المستقبل عشرة إلى عشرين سنة وفي مجال السلامة القومية- تحصيل وتحصين أسباب الأمن والقوة على تنوع مجالاته - هي العلاقة مع الإمبراطورية الأمريكية وإدارتها بكفاءة وسط شبه مستحيلات أربعة تبدو وكأنها أضلاع صندوق مغلق.

ضلعه الأول: مفاده صعوبة إقامة صداقة حقيقية مع الإمبراطورية الأمريكية.

ضلعه الثاني: ومفاده خطورة الدخول في عداء مطلق مع الإمبراطورية الأمريكية.

---

(1) سكان قارة أمريكا الشمالية ومواردها الاقتصادية، الموسوعة الأمريكية، ضمن الموضع الالكتروني:www/ http : // or . wikipdia. Org.

ضلعه الثالث: فهو منزلق الاندفاع إلى النهاية في مثل هـذا العـداء بـدون حـد لأن ذلك سيصل بأصحابه لحد الكراهية ويجلب له المشاكل.

أما الـضلع الرابـع: فهـو اسـتحالة الـصبر إذا ظـن العـرب أو توهمـوا إن بإمكـانهم تجاهل الإمبراطورية الأمريكية وتركها لعوامل الـزمن تعريهـا وتكـسر شـوكتها كـما حـدث للإمبراطوريـات الـسابقة لان يـصعب اعـتماده مـع بطـش الإمبراطوريـة الأمريكية الرامية للبطش والتغيير مع الكل.[1]

والتسمية الشائعة للإمبراطورية الأمريكية أنها تحولـت مـن قـوة أعظـم إلى قوة كاسحة أو قوة مفرطة مع إن البعض إن هذه المقومات لا تعني أهلية أمريكا لقيادة العالم.[2] فالإفراط المطلق في استخدام القوة للتعبير عن التأثير لا يعنـي انـك ستكون مؤثر دائماً فكان ينبغـي أن تـؤثر دون أن تلجـأ للحركـة أو تقويـة التـأثير بوسائل أخرى بدلاً من اللجوء لاسـتخدام القـوة وإن الإخفـاق الاقتـصادي يـشكل خطر على الديمقراطية الأمريكية.[3]

إلا إن ذلك لا يقلل من الفرص الأمريكية لـلـهيمنة والتـي يلخـصها هيكـل من 12 نقطة هي تشكل مفاتيح فهم أمريكا جيداً:

أ- إن الولايات المتحدة بلد محظوظ، لديه كثير من الجغرافيا وقليل من التاريخ.

ب- إن الولايات المتحدة لم تنشأ كوطن وإنما كموطن.

---

(1) محمد حسنين هيكل، الإمبراطورية الأمريكية والإغـارة عـلى العـراق، القـاهرة، دار الـشروق،ط 1, كانون أول 2003 , ص 9.

(2) ايمانويل تود، ما بعد الإمبراطورية، ترجمة عمر الأيـوبي، بـيروت، دار الكتـاب العـربي،ط 1, 2003، ص9.

(3) تيري ل . دييل، استراتيجية الشؤون الخارجية: منطق الحكـم الأمـريكي، ترجمـة د. وليـد شـحادة، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2009، ص 634 – 649.

ج- إن الفضاء المفتوح لا يقبل عـي عوائـق في أمريكـا، فهـي مفتوحـة عـلى العـالم طبيعياً.

د- أهداف أمريكا مبرر لاستخدام القوة المسلحة.

ه- إن اللـه سبحانه وتعالى قد خلق أمريكا، وانعم عليها كفصال محدد للأمريكيين فقط.

و- إن كل شيء في أمريكا محدد ومتنوع في الثروات والعادات والتقاليد.

ز- إن التجربة الأمريكية جاءت بسابقة مغايرة لما قبلها في التاريخ.

ح- الدولة الأمريكية ظهرت في وقت احتدام الصراعات والثورات في أوربا.

ط- إن التوسع الأمريكي أملته ضرورات إستراتيجية.

ي- إن نظرية الأمن القومي الأمريكي ناتجة للحفاظ عـلى المـصالح القوميـة المتنامية.

ك- إن نظرية المصالح تملي ممارسة الحروب الخارجية.(1)

ل- إن قوة أمريكا أملت عليها الخروج من العزلة.

لذلك شكلت إستراتيجيات الأمن القومي الأمريكيـة لحمايـة الأمـن القـومي الأمـريكي تـصدر مـن البيـت الأبـيض كـل خمـس سـنوات أو أربعـة سـنوات وذلك بموجب القسم رقم(603) من قـانون إعـادة تنظـيم وزارة الـدفاع المعـروف بقانون جولـد ووتـر- نيكـولز لعـام 1986 وكانـت أول إسـتراتيجية تـصدر بموجـب

(1) محمد حسنين هيكل، من نيويورك إلى كابول، القاهرة، المصرية للنشر، كـانون الثـاني،ط 1, 2002 ص 25-43.

ذلك في كانون الأول 1999 في عهد إدارة الرئيس بيل كلينتون باسم إستراتيجية أمن قومي لقرن جديد.[1]

لذا يصح القول عنها بأنها الأمة التي تعبر عن لسوبرمان الإنسان الأعلى والسيد المتفوق الذي لا يخضع للعالم ولا لقوانين التاريخ[2] وإن الدماء والقوة العسكرية الأمريكية لا بد من أن يكون لها ثمن في النفوذ والتأثير على العالم بأسره.[3]

وهنالك من يؤكد إن للولايات المتحدة حالياً أكثر من(1000) قاعدة ومنشأة عسكرية في(120) بلداً وتمتلك(11) حاملة طائرات، و(10) سفن حربية برمائية كبيرة. و(57) غواصة هجومية و(79) سفينة حربية، ناهيك عن قدرة صاروخية متقدمة تقليدية ونووية، وترسانة كبيرة من الأسلحة الإستراتيجية والقدرات النووية والكيماوية والبيولوجية والجرثومية واكبر دخل عالمي لحد الآن، يبلغ حوالي أكثر من16 تريليون دولار. وميزانية عسكرية[4] تبلغ(708) مليار دولار. فهل تلك المقومات صامتة أم لها اذرع للحركة؟ أليس تلك المقومات مبرر للامتداد الأمريكي وفق فكرة الهيمنة التي تسعى لها منذ أوائل القرن العشرين، وان الحرب العالمية الثانية ونتائجها، والحرب الباردة

(1) ريتشارد روز كرانس، توسع بلا غزو، ترجمة عدلي برسوم، القاهرة، مركز الأهرام،ط 1, 2001 ص92.

(2) سعد سلوم، إمبراطورية العصر: في نقد العقل السياسي الأمريكي، بغداد، مجلة مسارات، ع2، 2005 ص13.

(3) زلمي خليل زاد وآخرون، التقييم الإستراتيجي، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1, 1997 , ص49.

(4) معلومات تم اعتمادها من تقرير نقلته صحيفة الشرق الأوسط السعودية، يوم 26 تموز 2011.

ونتائجها، قد أعطت المبررات لإعلان الهيمنة عبر احتلالها دول وفرض أجندتها على دول أخرى من العالم.

ثانياً: حتمية الهيمنة

بين دأب صناع القرار في الولايات المتحدة وجنوحهم نحو هدف الهيمنة وبين متطلبات إدارة الشؤون العالمية من موقع الحاكم العادل. تلك معضلة عانى منها العالم ولم تتمكن الولايات المتحدة من إقناع العالم بدورها الإنساني أو الحضاري طالما نزوعها نحو التسلط والتفرد هو السائد. لدرجة جعلت البعض من الساسة الأوربيين يشكك في النوايا والتصرفات الأمريكية. فقد نقل عن(جاك شيراك) حينما كان رئيس فرنسا قوله في عدة مناسبات لزملائه"" لدي مبدأ بسيط في الشؤون الخارجية، أرى ما يقوم به الأمريكيون وافعل عكسه، وبهذه الطريقة أكون واثقاً من إنني على صواب.[1]

ويعود البعض إلى إن الأزمة الاقتصادية العالمية التي نشبت عام 1929 وتضررت بها الولايات المتحدة كانت شبه مخطط لها من أجل إنهاك أوربا واعتمادها فيما بعد على الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية سواء في بيع السلاح أو إمدادها بالقروض الأمريكية, وإن الأمريكان كانوا راغبين في سقوط هولندا وفرنسا بيد الألمان لأن ثمن ذلك هو فقدانهم لمستعمراتهم في الباسفيك وأماكن أخرى من العالم لصالح الولايات المتحدة. فكيف يكون التحريك للعالم. ربما أشبه بالريموت كونترول أليس ذلك من قبيل الهيمنة؟

(1) نقلاً عن: جون بولتون، السلام ليس خيارنا، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2008، ص168.

تتساءل الباحثة.[1] ومن إن بعض المثقفين العرب يستهجن الحديث عن هيمنة أمريكية. وينتحل لنفسه صفة الموضوعية والعقلانية ثم يفلسف موقفه بالتلويح بضرورة استيعاب ما يجري وعدم مواجهته بشكل دون علمي. وبالمقابل نجد إن مسألة ممارسة هيمنة أمريكية عالمياً كواقع قائم. أمر معروف ويجري الحديث عنه دون حرج في المجتمعات الغربية ذاتها بما في ذلك أوساطها الفكرية الإعلامية.

فقد حذر وزير الخارجية الفرنسي السابق(فبديرين) في أكثر من مناسبة من نتائج الهيمنة الأمريكية العالمية وأضرارها على المصالح المشروعة الأوربية. أو قول رئيس الوزراء السابق الكندي(كريستيان) (الحليف للأمريكيين) لزميل البلجيكي(دوهان) على هامش لقاء قمة أطلسية عام 1998 في مدريد" لقد أصبح تبني موقف يعارض سياسة كلينتون، مدخلاً إلى كسب الأصوات للناخبين في كندا"" في إشارة للكراهية للهيمنة الأمريكية وساستها. ويصف البعض إن أحداث حرب الولايات المتحدة مع اسبانيا عام 1898 قد سرعت من بروزها كقوة عالمية وفي هذا يقول الرئيس(تيودور روزفلت) في كانون أول 1899 " بالطبع تاريخنا القومي كله هو تاريخ توسع ".[2] وحتى(كلينتون) فرح بنهاية الحرب الباردة على أنها دلالة على اكتمال الزمن وهي إشارة توراتية إلى اللحظة التي اختار فيها الله تحول التاريخ. ولذلك قالت(مادلين أولبرايت) وزير الخارجية للرئيس (كلينتون) لفترة إدارته الثانية(1997 – 2000) "" لدينا مهمتنا الخاصة بان نكون مؤلفين للتاريخ وموجهين له".[3]

---

(1) د. ميسون البياتي، تكريس الهيمنة، صحيفة البيان الإماراتية، 28 تشرين أول 2010.

(2) أندرو باسيفيتشن، الإمبراطورية الأمريكية: حقائق وعواقب الدبلوماسية،ترجمة مركز التعريب والترجمة، بيروت، الدار العربية للعلوم،ط 1, 2004، ص21.

(3) المصدر نفسه: ص53.

ويشير الكاتب بشير عبد الفتاح في كتابه" تجديد الهيمنة الأمريكية " إلى إن ثمة طريقين لاستمرار الهيمنة وحتميتها الأول قسري ويقوم على فكرة القوة والإكراه وتعظيم التفوق العسكري وعدم التردد في تجاوز الشرعية الدولية إذا ما تطلبت المصالح الإستراتيجية الأمريكية ذلك. والثاني رضائي ويستند على مصادر القوة الناعمة والرخوة تقوم على الخطاب الدعائي والإيهام بمقاصد الخير للإنسانية.(1)

وقد أشار روبرت كيغان في كتابه الصادر عام 2008 "" بان لحظة الهيمنة الأمريكية حتمية. وقد لا تتكرر في التاريخ مثيلاً لها مهما امتلكت قوة أخرى من مصادر ومقومات قوة "".(2)

لقد امتلكت الولايات المتحدة مقدرات الهيمنة من أكثر من قرن تقريباً. قسم يعود إلى ما بعد الحرب الأهلية 1861- 1865 وزيادة نشاط الشركات الصناعية الكبرى، وآخر يقرها إلى نهاية الحرب الأمريكية الاسبانية عام 1898 وما حصلت عليه الولايات المتحدة من مواقع إستراتيجية في كوبا وأوهايو وجزر البحر الكاريبي. بينما يرى الآخر إن الهيمنة أصبحت حتمية بعد الحرب العالمية الثانية حينما خرجت الهيمنة البريطانية من الساحة العالمية وبدأت الأسواق الأوربية تنفتح أمام الرساميل والبضائع الأمريكية وتزايد حجم الاستثمارات الأمريكية في الخارج. وزيادة أرباح تلك الإستثمارات وأسواق

---

(1) بشير عبد الفتاح، تجديد الهيمنة الأمريكية بين القوة الخشنة والقوة الناعمة، القاهرة، دار الأهرام، ط 1, 2011, ص 47- 91.

(2) Robert Kagan , The Return of History and the End of Dreams, London : Atlantic Books ,2008 , P. 78.

البـضائع الأمريكيــة والجـدول التــالي يبــين تبــادل الأدوار خــلال ســتينات القــرن العشرين.[1]

النسبة المئوية من مجموع الاستثمارات

البلد	1914	1930	1960
الولايات المتحدة	6	35	59
بريطانيا	50	44	25
فرنسا	22	8	5
ألمانيا	17	3	1
هولندا	3	6	4
السويد	1	1	1
كندا	1	3	5
المجموع	%100	%100	%100

وكانت هناك أدوات لـلـهيمنة الأمريكية عبر شركاتها الاقتـصادية التـي كـان لها دور في الـدومنيكان عـام 1965، ودور شركـة سـتاندرد اويـل أوف نيـوجرسي في أحداث إيران عام 1953 ضد حكومة محمد مصدق.[2]

أما مبادئ الرؤساء الأمريكان ابتداء بـالرئيس ترومـان وأيزنهـاور ثـم كنـدي وجونسون ونيكسون ... الخ كلها خطت من اجل دفع أسوار القلعة الأمريكية ابعد فأبعد عن الشواطئ الأمريكية.[3]

(1) ريتشارد د بارنت، حروب التدخل الأمريكية في العالم، ترجمة منعم النعمان، بـيروت،ط1, 1974، ص8.

(2) المصدر نفسه، ص 16 -17.

(3) المصدر نفسه,ص ص41 – 42.

لقد أصبحت الولايات المتحدة البلد الغني عن غيره بسبب الحرب فكانت تمتلك في منتصف أربعينات القرن العشرين من احتياطات الذهب ما تعادل قيمته(20) مليار دولار مع العلم إن مجمل احتياطات العالم آنذاك من هذه المادة كانت تبلغ (33) مليار دولار فقط. وكانت أكثر من نصف قدرة العالم الصناعية في الولايات المتحدة وأكثر من ثلث صادرات العلم هو أمريكي المنشأ.

والجدول التالي يوضح الناتج القومي الإجمالي والناتج القومي الإجمالي للفرد الواحد للقوى في عام 1950(بدولارات عام 1964) ولاحظ مقومات القوة من هذا الجدول.[1]

البلد	مجموع الناتج القومي الإجمالي	الناتج القومي الإجمالي للفرد الواحد
الولايات المتحدة	**381مليار**	**2,536**
الاتحاد السوفيتي	**126**	**699**
المملكة المتحدة	**71**	**(1951)1,393**
فرنسا	**50**	**1,172**
ألمانيا الغربية	**48**	**1,001**
اليابان	**32**	**382**
ايطاليا	**29**	**(1951)626**

ومقارنة في بداية القرن الحادي والعشرين يقول بريجنسكي انه لا مثيل لقوة أمريكا من حيث مداها العسكري على الصعيد العالمي، ومحورية النشاط

(1) Tim Wiener , OP. Cit , P.19.

الاقتصادي لأمريكا بالنسبة إلى صحة الاقتصاد العالمي، والتأثير الإبداعي للديناميكية التكنولوجية الأمريكية. وان الروس الذين كانوا الأكثر إحجاما عن الاعتراف بمقدار قوة أمريكا وتأثيرها، لأسباب تتعلق بالحنين إلى الماضي تقبلوا إن الولايات المتحدة ستظل مدة من الزمن اللاعب الفاعل المقرر في القضايا الدولية.(1)

والسبب يعزوه بريجينسكي إلى خصائص القوة الأمريكية وان الجغرافيا جعلت منها ملاذاً أمنا فبوجود محيطين واسعين يوفران دارئين أمنين استثنائيين ودولتين ضعيفتين نسبياً في الشمال كندا وفي الجنوب المكسيك. وقد ذهب الأمريكان في حرب عالميتين وانتصرا ولكن لم تأتِ إلى أمريكا (2) ثم يردف قائلاً في مكان آخر إن موقف أمريكا المتعلق بالشؤون العالمية يتسم في العقد الأخير للقرن العشرين بالتناقض فالولايات المتحدة من جانب،تتربع على قمة العالم من دون أن تواجه خصوماً قادرين على مناظرة قوتها العالمية الشاملة ذات الأبعاد الأربعة وهي:

1- الوصول العسكري العالمي.
2- الدور الاقتصادي العالمي.
3- الجذب الثقافي الفكري العالمي.
4- المعضلة السياسية العالمية.(3)

(1) زبيغنيو بريجن سكي، الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادات العالم، ترجمة عمر الأيوني، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2004 , ص 7 و 12.
(2) المصدر نفسه: ص 18.
(3) زبيغنيو بريجن سكي، الفوضى: الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، ترجمة مالك فاضل، الأردن، الأهلية للنشر،ط 1, 1998 , ص 75.

وتحت فرضية الأمن المهدد وهذا ما أقرته اللجنة الأمريكيـة للأمـن القـومي للقرن الحادي والعـشرين في 31 تـشرين 2001 مـن أن الولايـات المتحـدة سـتبقى لسنوات مهددة الأمن لذا عليها ومن فرضية الأمن المطلق وتحقيقه أن يكون ذلك على حساب النيل من أمن الآخرين والتأثير بهم وتلك خاصـية لم تتـوافر لأي دولـة في العالم.[1]

وهذا يعني حتمية فرض الهيمنـة والتـسلط والقـوة والتـأثير والنفـوذ عـلى الآخرين وبشتى الأساليب.

ثالثاً: العولمة والديمقراطية

العولمة وارتباطها بالديمقراطية والهيمنة في الشرق الأوسط من خلال مـا تؤديه من تدمير خلاق من خلال ثروة اقتصادية جديـدة وعـبر الابتكـار الـذي يولـد احتكـارات جديـدة في الوقـت ذاتـه. تـدمير الثـورة الاقتـصادية القديمـة الناجمة عن احتكارات قائمة يتوقف نـشاطها التجـاري.[2] ويـربط الـبعض بـين تأثير العولمة في أحداث الفوضى. لان كلاهما تعني إحلال السيئ محل الجيد أو السيئ محل الأسوء وليس الجيد.[3] والعولمة صحيح إنها قربـت العـالم والـدول

(1) غاري هارت، القوة الرابعة: الإستراتيجية الكبرى للولايـات المتحـدة في القـرن الحـادي والعـشرين. ترجمة محمد محمود التوبة، السعودية، مكتبة العبيكان، ط 1, 2005 , ص 98.

(2) دون وندسور، سياسات التجارة الحرة والأسواق المفتوحة من المستفيد، في كتاب مجموعة باحثين، العولمة في القرن الحادي والعشرين ما مدى ترابطية العالم؟ ,أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،ط 1, 2009، ص42.

(3) جوزيف ستكلتز، العولمة ومساؤها، ترجمة فالح عبد القادر حلمي، بغداد، بيت الحكمـة، 2003، ص81 وص168 وما بعدها.

وجعلته اصغر بحيث أصبحت بكين جيران دول مثل الهند أو باكستان. إذا هذا تأثير العولمة بجعل العالم اقرب ووفرة المعلومات.[1] والأخطر في سيولتها أحيانا هي العولمة الناعمة وتعني عولمة الأفكار، والمنفذ إلى الانترنيت، وتبادل المعرفة والاتصالات الفورية والسيولة التي تظل بها على اتصال معاً أو تعيش بعيداً عن وطنك وأنت تتواصل معه يومياً.[2]

فغالباً ما أدت العولمة إلى مزيد من الفقر للدول في الجانب الاقتصادي، عبر شروط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للأعمار في الإقراض والمساعدات. فالقلة المسيطرة أدت إلى مزيد من التفرقة والتشجيع على العنصرية مما يؤدي إلى القضاء على حقوق المرأة وتدمير الشعوب، أي عولمة الفقر.[3] لذلك بعد الفشل الذي أصاب قوى العولمة في تحقيق آمالها، ربطت نفسها بمتغير آخر وهو الديمقراطية والدعوة لتغيير الشعوب والنظم لتقبل سياسات وشروط العولمة.[4]

---

(1) وليام كوهين، العولمة اليوم ما مدى ترابطية العالم، المصدر نفسه، ص25.

(2) المصدر نفسه، ص24، كذلك: جفال عمار، قوى ومؤسسات العولمة، قبرص، مجلة شؤون الأوسط، ع 107، صيف2002 , ص ص31 – 84.

(3) ميشيل دوفسكي، عولمة الفقر، ترجمة جعفر علي حسين السوداني، بغداد، بيت الحكمة،ط 1, 2001 ,ص44.

(4) السيد يسين، أزمة العولمة وانهيار الرأسمالية، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر،ط 1, 2009 , ص17- 181.

وكذلك انظر: مجموعة باحثين، العولمة والمستقبل العربي، بغداد، بيت الحكمة،ط 1, 1999, ص20.

وفعلاً سرعان ما بدأت حملة غزو العراق 2003 هـدأت الكتابـات في الغرب والشرق عن العولمة لأن المخطط لإنعاشها بدأ ويشبه البعض العولمة بالسوط الذي يوجه إلى ظهر من يخرج عـن بيـت الطاعـة مـن الحكومـات الوطنية.[1]

ويتساءل البعض عن إذا كانت أمريكا اليـوم القـوة المهيمنـة عـلى الـصعيد العالمي والديمقراطية في آن معـاً يفـضي لهـا فـرض نمـوذج الديمقراطيـة المعلـب أو الجاهز.[2]

أم إن عملية الديمقراطية بالنسبة لشعوب الشرق الأوسط هـي عمليـة تمـر عبر مراحل تاريخية وهذا يعني إن الإسقاط الخارجي للديمقراطيـة لا ينـسجم مـع المسؤولية شبه الامبريالية للولايات المتحدة.[3]

لذلك فان ما يجري من ربط للديمقراطية في الـشرق الأوسـط والعولمـة هـو من قبيل مضمون واتجاه التغيير في البيئة العامة على الصعيد الـدولي وفي المنطقـة

---

(1) عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيـار والـرفض، بـيروت، مجلـة المـستقبل العـربي، ع275، كانون الثاني 2002 , ص 58 -79. وكذلك انظر:

Jagdish Bbagwati, " Globalization in Your Face " , Foreign Affairs , July , August 2000 .

(2) ايريك هوبزباوم، العولمة والديمقراطية والإرهاب، ترجمة أكرم حمدان ونزهت الطيـب، بـيروت، الدار العربية للعلوم، ناشرون،ط 1, 2009، ص 28 – 62.

(3) زبيغينو بريجنسكي، الاختيار، مصدر سبق ذكره، ص 202. قارن مع: هانس وبيتر مارتن وهارولد شومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان عبـاس عـلي، الكويـت، سلـسلة عـالم المعرفـة، ع 238،ط 1, تشرين الأول 1998 .

العربية من اجل إعادة بناء المجتمع العربي من خلال العولمة.[1]أي الدعوة إلى تنميط العالم الجديد وفق مفهوم العولمة في النظام الدولي الجديد[2] لذلك شبه البعض العولمة بالأمركة إلا إن تلك الفكرة هي شائعة ولكنها تبسيطية أكثر من اللازم.[(3)]

فالواقع إن الأمركة ليست ثمرة للعولمة وإن تأثير أمريكا في مجال الثقافة لم يولد من العولمة الجديدة، وإنما هو أقدم منها.[(4)]

والواقع إن الانفجار الذي تولد بعد أحداث 11 أيلول 2001 هو الذي جعل البعض يربط العولمة بالأمركة، للتأثير البالغ لمقومات القوة الأمريكية في تحديد صورة ومصائر شعوب وإدارة الشؤون الدولية، والمنظمة العالمية عبر الأمم المتحدة بحيث بات المواطن يقارن هل نحن أم عصر العولمة أم الأمركة.[(5)]يشدد بارنت في كتابه" خريطة البنتاجون الجديدة " عن أي دولة أو

---

(1) زياد حافظ، مضمون واتجاه التغيير في البيئة العامة على الصعيد الدولي في المنطقة العربي، في كتاب :العولمة والنظام الدولي الجديد , مجموعة باحثين، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية،ط 1, كانون أول 2004 , ص52 وما بعدها.

(2) للمزيد حول الموضوع انظر: سمير أمين، العولمة والنظام الدولي الجديد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1, 2004 .

(3) جوزيف س . ناي الابن، مفارقة القوة الأمريكية، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، السعودية، مكتبة العبيكان،ط 1, 2003، ص151.

(4) السيد حسن بحر العلوم، العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية، إيران، منشورات دار الزهراء، ط3, 2006، ص122.

(5) إبراهيم نافع، انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر،ط 1, 2002, ص 89 – 126. قارن مع: فرانك لتيشز وآخرون، العولمة الطوفان أو الإنقاذ؟ ترجمة فاضل جكتر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1, 2004 .

منطقة من العالم من مسؤولية الولايات المتحدة جعلها متأثرة بها فعبر استخدام قوتها الهائلة ستجعل من العولمة عالمية وفيما يخص الديمقراطية فالديمقراطية وظيفة ودور، لا مثال عال ومبادئ وهي في ذلك ينبغي أن تصب في مصلحة الأمن القومي الأمريكي الذي يصب بدوره في مصلحة العولمة العالمية. أو الولايات المتحدة التي تقود العولمة.[1] إن ارتباط العولمة في الديمقراطية الآن جاء بعد التغيير الذي صاحب النظم السياسية العربية بحيث برزت للعيان أهمية إيجاد نظم تمثيلية عبر الديمقراطية. وهنا برزت أهمية العولمة في ربط تلك النظم السياسية وبمحتواها الجديد مع الأجندة الأمريكية للتغيير وبناء شرق أوسط جديد.

والإستراتيجية الأمريكية الرامية إلى الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط صنفت القدرات العربية إلى ثلاث فئات خلال الستة أشهر الأولى من عام 2001.

الفئة الأولى: وموجهة أساسا إلى مصر وتونس، حيث نجحت الثورتان هناك بطريقة سلمية، اتخذت الولايات المتحدة دعم الديمقراطية الناشئة فيها مع المحافظة على نفوذها التقليدي هناك.

الفئة الثانية: وهما ليبيا واليمن، حيث عملت على استخدام القوة العسكرية لتغيير نظام القذافي والدعوة لتنحي علي عبد الله صالح لقيامهما بعمليات عنف منظم وغير مبرر ضد شعبيهما.

---

(1) ريتشارد بارنت، خريطة البنتاجون الجديدة، عرض كتاب يحيى زكريا، مجلة المسار اللبنانية، العدد التاسع أيلول 2010، ص16.

الفئـة الثالثـة: دول لا تـزال واشـنطن تأمـل بالإبقـاء علـيهما مـع بعـض الإصلاحات الفردية كالبحرين والمغرب والأردن، مطالبة بجدية الإصلاحات وتجنـب نشوب نزاعات في الداخل.[1]

إذا مبدأ التوقيت والانتظـار ومبـدأ الفـصل بـين الـسلطات أملتـه ضرورات العولمة والديمقراطية في آنٍ معاً.

رابعاً: الدومينو الديمقراطي

مصطلح الدومينو الـديمقراطي أو التغيـير الـديمقراطي أو نظريـة الـدومينو الديمقراطي في الشرق الأوسط، مصطلحات بدأت تظهر وتجـد جـذورها في القـديم ما عرف بنظرية الدومينوDomino Theory وهي الأساس المنطقـي الـذي اعتمـد عليه في تقرير الأولويات التي بنيت عليهـا سياسـات الولايـات المتحـدة إزاء بعـض منـاطق العـالم ذات الأهميـة الإسـتراتيجية المتميـزة للمـصالح الأمنيـة الأمريكيـة، ويتمثل منطق هـذه النظريـة في الادعـاء الـذي يقـول إن سـقوط دولـة في قبـضة الشيوعية سيؤدي بالضرورة إلى تهديد ومن ثم سـقوط الـدول المجـاورة لهـا، تمامـاً مثلما يحدث مع مجموعة من المكعبات التي صفت رأسياً حتى إذا ما أزيح احدها من مكانه، ترتب على ذلك تساقط الواحد تلو الآخـر إلى إن ينهـار البنـاء برمتـه في النهاية.

وكانت إدارة أيزنهاور – دالاس الجمهورية هي أول من أعتنق هذه النظرية الإسـتراتيجية وظهـر ذلـك أثنـاء أزمـة الهنـد الـصينية عـام 1954 فقـد تخوفـت مـن أن يـؤدي وقـوع فيتنـام في قبـضة الـشيوعية إلى تحـول الـدول المجـاورة لهـا

(1) محمد المنشاوي، الرؤية الإستراتيجية الأمريكية للثورات العربية، قطر، مركـز الجزيـرة للدراسـات، 12 أيار 2011.

تحت الضغوط المتزايدة عليها وبالأخص لاوس وكمبوديا وتايلاند والملايو والفلبين واندونيسيا إلى الحكم الشيوعي.[1]إلا إن الأمر الآن انقلب فبحجة مكافحة الإرهاب تجري المؤامرات للإسقاط والاجتثاث من نظم سياسية وشخصيات سياسية والواحد تلو الآخر وكأنها إحياء لنظرية الدومينو السابقة.

ولنا في نائب الرئيس الأسبق ديك تشيني في عهد بوش الابن مثال حي إذ كشفت مصادر سرية انه ترأس وحدة عمليات خاصة سرية لملاحقة وتصفية أهداف ذات قيمة عالية في عشرات الدول دون علم أو إشراف الكونغرس كما قالت سيمور هيرش مراسلة مجلة نيويوركر"[2]إذاً الإسقاط أو التغيير من أجل الدومينو لا يتسند أحيانا أو غالباً على مسوغات قانونية أو سياسية فالإسقاط عبر ما يعرف بنظرية الدومينو الديمقراطي بالانتقال إلى البلدان المجاورة هدفه أحداث الفوضى من اجل التغيير المنشود".[3]

وتلك نظرية فكرية وإستراتيجية على الرغم من تطبيقاتها السابقة في الحرب الباردة فان إسقاطاتها تم العودة لها الآن.[4]

---

(1) د . إسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية والسياسة الدولية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية،ط 2, 1985 , ص 191.

(2) ديك تشيني، قبضة بوش الخفية، شركة النبأ المعلوماتية، 8نيسان 2009 في الموقع. orgwww.annabaa.

(3) وليام أندرسن ستانسفيلد، عراق المستقبل : دكتاتورية ديمقراطية أم تقسيم؟ ترجمة رمزي ت . بدر، بيروت، الفرات للنشر،ط 1, 2005 , ص 345 – 346.

(4) أنتوني كوردسمان وآخرون، العراق تحت الاحتلال: تدمير الدولة وتكريس الفوضى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1, 2008، ص 28 – 48.

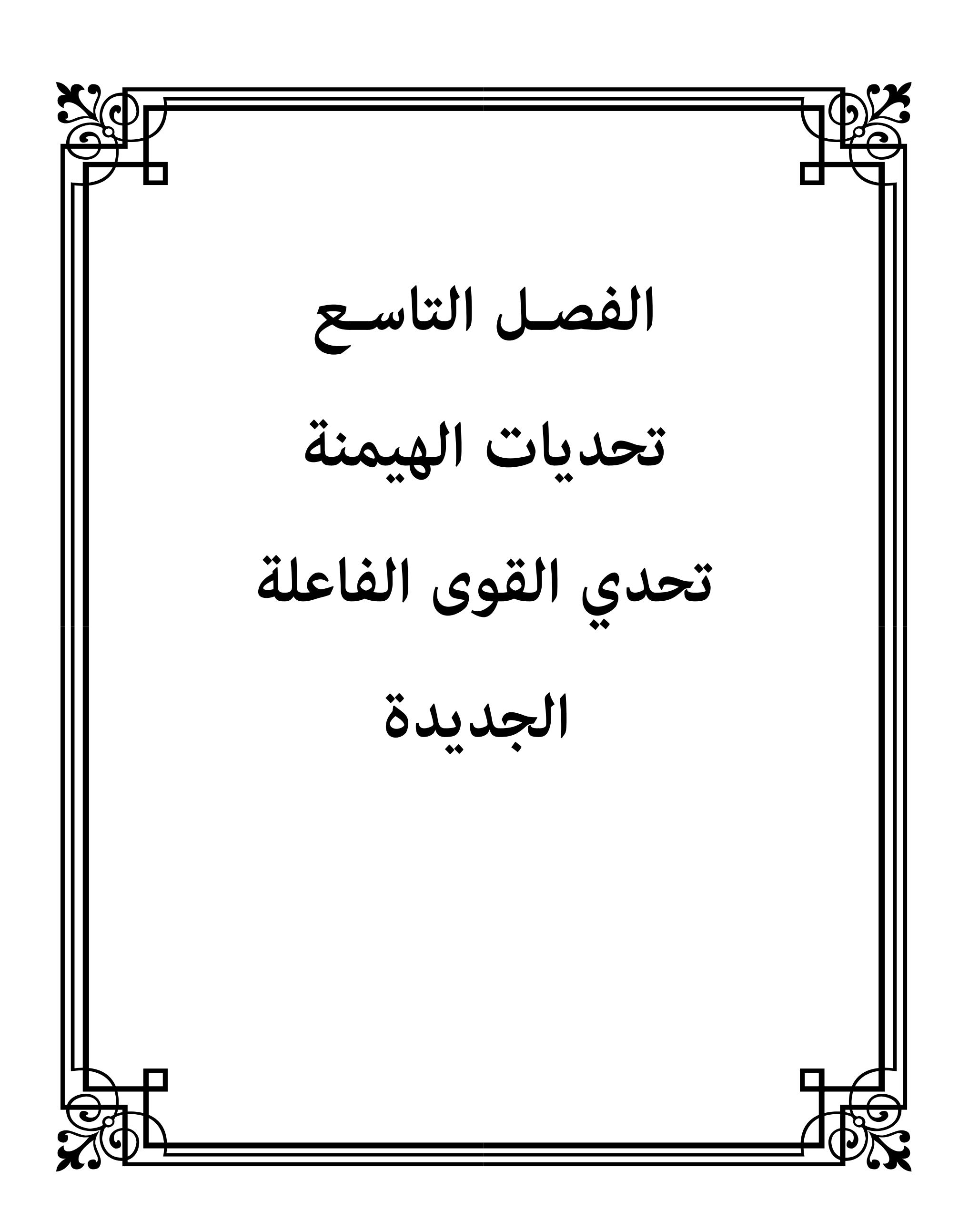
وتعود بدايات فكرة الدومينو الديمقراطي إلى عام 1977إذ تبلورت الدعوة الخاصة بربط قانون المؤسسات المالية الدولية بحقوق الإنسانية والديمقراطية وفي 27 أيلول 1993 تحدث كلينتون عن إستراتيجية لتوسيع الديمقراطية.[1]

والدومينو الديمقراطي يثنى عليه المرحوم الدكتور حامد ربيع في كتابه " سلاح البترول والصراع العربي الإسرائيلي " إذ يرى إن على العرب أن يولوا الديمقراطية أهمية لأنها مرشد لإزالة الطغاة والفاسدين من الحكام[2] فإذا كانت الديمقراطية تعني ترشيد القرار فما المانع من الاحتكام إليها.

---

(1) د. وليد عبد الحي، علاقة السياسة الخارجية الأمريكية بالتحولات الديمقراطية في الوطن العربي ,بيروت، مجلة المستقبل العربي،ع 267، أيار 2001، ص 60 -61.

(2) للمزيد انظر: د. حامد ربيع، سلاح البترول والصراع العربي الإسرائيلي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط 1, آب 1974 .



الفصـل التاسـع

تحديات الهيمنة

تحدي القوى الفاعلة الجديدة

بعد مرور أكثر من عقدين من الزمن على انهيار الإتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة ,يبدو إن العالم أفشل يافطة بزوغ نظام دولي جديد, فثمة تحولات جديدة في الأدوار أظهرت وأبرزت فشل ذلك الإعلان , أولهما تمثل بتضاؤل دور الفاعلين الرئيسيين كما أسلفنا في الموضوع السابق, وثانيهما بروز متغيرات جديدة بصيغ (الدور) شكلت متغيرات جديدة مكافئة للمتغيرات التي تبلورت بعد انهيار نظام الحرب الباردة، وأن استمدت القوة من بعضها مثل بروز هرمية أو هيكلية جديدة في النظام الدولي, ومتغيرات الثورة التكنولوجية الثالثة, وعالمية ثورة الاتصالات الكبرى.

وأول الأدوار الجديدة في تحولات النظام الدولي الراهن الذي سنتناولها دور الدول الصاعدة, وأول الافتراضات التي تطرح عن الدول الصاعدة وتأثيرها في النظام الدولي هو احتمالية انهيار النظام الدولي في حالة عدم استيعابه تلك الدول الصاعدة أو التلاؤم مع تأثيراتها أو التماشي معها,وإلا ستكون النتائج ربما مشابهة لحالات صعود دول أثرت في النظام الدولي,إذ سرعان ما انهارت بسبب جموح صعودها الغير قابلاً للاحتواء, كما في حالة ألمانيا أواخر القرن التاسع عشر.

ابتدءا لابد من حقيقة تقال قبل تقييم الموضوع حول دور الدول الصاعدة وهي أغلبها آسيوية. إن آسيا قارة ليس بمقدورها أن تتجانس، تاريخياً وثقافياً ومناخياً كالإتحاد الأوربي, فهي تقع في خمس فئات بارزة هي: شرق آسيا والصين والهند وآسيا الوسطى والمحيط الهندي ومناطق غرب آسيا, ففي الماضي اندمجت كل هذه الأقاليم عبر طريق الحرير, وما نشهده اليوم ليس صعود آسيا وإنما استعادة بلدان آسيا لسيطرتها على الاقتصاد العالمي. إذ يبلغ نصيب آسيا وفق مؤشرات 2010 في الاقتصاد العالمي 36% بينما تأتي أوربا في المرتبة

الثانية وأمريكا الشمالية في المرتبة الثالثة.وإن أكثر من 65% من الناتج المحلي الإجمالي لآسيا يأتي من ثلاث دول هي،الصين،والهند،واليابان, ومن المتوقع أن تكون هي المحرك الرئيس للنمو العالمي على مدى العقدين المقبلين بواسطة الطبقة الآسيوية المتوسطة الناشئة مجدداً والتي تقدر بحوالي 1.5 مليار شخص.[1]

واتفق أغلب الكتاب على العديد من التحديات التي تواجه الهيمنة الأمريكية التي تمثلت بأحادية القطب بعد نهاية الحرب الباردة. وأجمل البعض تحديات داخلية والأخر تحديات خارجية، ففيما يتعلق بالتحديات الداخلية أكد صموئيل هنتنغتن في كتاب له نذيراً بقرب نهاية الأسطورة الأمريكية عبر تناوله موضوع التحدي الداخلي في الولايات المتحدة. إذ يقول في بداية كتابه "" إن جان جاك روسو قال إذا كانت إسبارطة وروما قد زالتا فأية دولة لا يمكن أن تؤمن من الاستمرار إلى الأبد؟ حتى أكثر المجتمعات نجاحاً تكون في مرحلة ما مهددة بالتفسخ الداخلي والتلاشي بقوى بربرية خارجية جبارة وعديمة الرحمة وفي النهاية ستعاني الولايات المتحدة الأمريكية قدر إسبارطة وروما والجماعات الإنسانية الأخرى "".[2]

كما توصل هنتنغتن في كتابه إلى أن المجتمع الأمريكي رغم تيار المحافظين الطاغي عليه ورغم دور العظمة والإيمان. بحتمية اللحظة الأمريكية فهو مجتمع مؤمن ومتدين يؤمن بحتمية انهيار الهيمنة والقوة الأمريكية من إيمانه

---

(1) رانيل ديكريميسبنج,استعادة آسيا لمكانتها الاقتصادية في العالم,اليمن -مركز سبأ للدراسات الإستراتيجية,ع 15037,ملحق آفاق,صحيفة 14أكتوبر,2012/12/29.

(2) صموئيل ب . هنتنغتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حسام الدين خضور، دمشق، دار الرأي للنشر،ط 1, 2005، ص 27.

باللـه(سبحانه وتعالى) ويقول إن جيمس برايس وبعد نـصف قـرن مـن الكاتـب توكفيل توصل إلى نتائج مماثلة عن أن الشعب الأمريكي هو شـعب يـؤمن باللــه وبالروح الكونية.[1]

فـضلاً عـن تحـديات أخـرى تتعلـق بمـستوى التعلـيم وارتفـاع نـسب غـير المتعلمين وزيادة البطالة والإدمان على المخدرات وتفشي الجريمة ... الخ.

أمـا التحـديات الخارجيـة فيؤكـد الـبعض إن الولايـات المتحـدة وفي الألفيـة الثانية بدلاً من وضع إستراتيجية لاستكمال نصرها على الاتحاد السوفيتي من خلال تجريد روسيا من أسلحتها النووية والصاروخية وقدراتها العلمية حاولت جزئياً بـلا تركيز في عهد بيل كلينتون مثلاً شراء تلك الأسلحة والقدرات . وبدلاً مـن الاسـتمرار في احتواء الصين والحيلولة دون تطويرها لأسلحتها النووية والـصاروخية ولقـدراتها العلمية والتقنية ناهيك عن نموها الاقتـصادي الـسريع. وبـدلاً مـن إعـادة صـياغة علاقاتها التحالفية مع أوربا، تبنت إدارة بوش وعلى الخصوص بعد 11 أيلول 2001 إستراتيجية الحرب على الإرهاب، ودحرت إستراتيجيتها النووية إلى الـوراء، وراحـت تركز على المقاومة في فلسطين ولبنان، وعدد من الـدول التـي اعتبرتهـا مارقـة مثـل أفغانستان، العراق، سوريا، إيران، كوريا الشمالية. إن الخلـل في هـذه الإسـتراتيجية أنها وفرت المناخ الملائم لإيجاد وتطور التحديات كونها ركـزت عـلى ضرب جبهـات ثانوية وتركت أنفاسها وقوتها بلا ضـغوط. فمـثلاً تمكـن الـرئيس الـروسي فلاديمـير بـوتين مـن إعـادة بنـاء الدولـة الروسـية القويـة بتطهـير مراكـز القـوى المؤمركـة

(1) المصدر نفسه، ص 95- 96.

المتصهينة وكذلك الجيش والأجهزة الأمنية وتطوير الاقتصاد وإنعاشه لتصبح روسيا دولة نووية وصاروخية كبرى.[1]

وفي 31 كانون الأول 1999 أي قبل يوم من وصوله إلى كرسي الرئاسة كتب بوتين رئيس الوزراء آنذاك " لن يحصل ذلك أبدا تحول روسيا إلى طبعة ثانية للولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى. بالنسبة إلى الروس، الدولة القوية لا تمثل شذوذاً ينبغي التخلص منه. بل العكس تماماً أنهم يرون فيها ضامناً للنظام وقوة محركة أساسية لأي تغيير"[2] ثم أعاد الكرة ثانية وبتقليد امبريالي روسي في خطاب التنصيب في أيار 2000 قال" يتعين علينا معرفة تاريخنا، معرفته كما هو فعلاً، واستخلاص الدروس منه وتذكر أولئك الذين أسسوا الدولة الروسية. الذين دافعوا عن كرامتها وجعلوها دولة عظيمة قوية وجبارة"[3]. كما أتاح الإهمال الأمريكي في عقد ما بعد الحرب الباردة وانشغالها بمكافحة الإرهاب للصين بتطوير قدراتها النووية والصاروخية والتقنية والاقتصادية حتى أصبحت الآن دولة منافسة في أكثر من مجال[4]. وسابقاً

(1) منير شفيق، الإستراتيجية والتكتيك في علم الحرب، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط 1, 2008 ,ص ص 94-95.

(2) نقلاً عن هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2002, ص 69.

(3) المصدر نفسه، ص 69.

(4) منير شفيق، الإستراتيجية والتكتيك، مصدر سبق ذكره، ص95.

قال(نابليون بونابرت) مقولته الشهيرة عن الصين"الصين مـارد نـائم، فـدعوه نائمـاً، لأنه إذا استيقظ هزَّ العالم".[1]

إذاً الصين تحـدي وشـيك وملمـوس للولايـات المتحـدة ولا سـيما إن معـدل نموها وصل إلى 16% ومن المحتمل أن يـصل 20% بعـد عـام 2020 [2]، وإزاء ذلـك يقول لويس هري مورغان وهو أمريكي خبير في الإستراتيجيات الدوليـة"" إن كـل مرحلة في تطور البشرية تـشتمل عـلى الثقافـة المختلفـة وتمثـل أسـلوباً محـدداً في الحياة "".[3]

وكذلك أتيحـت لـلــهند أن تتطـور نوويـاً وصـاروخياً واقتـصادياً. أمـا أوربا فعززت وحدتها وقدراتها الاقتصادية حتى أصبح اليورو منافـساً عالميـاً للدولار.[4]

لذلك انطوى الاتجاه الأمريكي الذي مثله الـرئيس(أوبامـا) لتجديـد الهيمنـة الأمريكية نقاطاً أساسية منها ترشيد الفكر الإسـتراتيجي الأمـريكي وإعـادة الاعتبـار للقوة الناعمة وترويض القوى الدولية الصاعدة بدلاً مـن اسـتعدائها والبحـث عـن الهيمنة الرضائية.[5]

---

(1) ووبن، الصينيون المعاصرون، ترجمة د. عبد العزيز حمـدي، الكويـت، سلـسلة عـالم المعرفـة رقـم 210،ط 1, حزيران 1996، ص8.

(2) بايتس غيل، النجم الصاعد: الصين دبلوماسية أمنية جديدة، ترجمة دلال أبـو حيـدر، بـيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2009، ص48 وما بعدها.

(3) وو بـن، الـصينيون المعـاصرون، ترجمـة د. عبـد العزيـز حمـدي، الكويـت سلـسلة عـالم المعرفـة رقم211،ط 1, تموز 1996، ص19.

(4) منير شفيق، الإستراتيجية والتكتيك، مصدر سبق ذكره، ص95.

(5) بشير عبد الفتاح، تجديد الهيمنة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص99.

ونظراً لأهمية الموضوع وثقله في التأثير على النظام رئينا تناوله في محاور هي:

أولاً:محركات التأثير الجديدة.

ثانياً:روسيا استعادة لدور جديد.

ثالثاً:الصين الإفصاح عن قطبية.

رابعاً:الهند قوة بثقة جديدة.

خامساً:اليابان تحول في الفكر الإستراتيجي.

أولاً: محركات التأثير الجديدة

لعل من بديهية القول يتوزع القاسم المشترك لكل القوى الصاعدة ولا سيما الصين والهند واليابان والنمور الآسيوية وربما روسيا بمشتركات تقوم عليها:

1- الموروث الثقافي الإمبراطوري الديني التراثي الباعث إلى النهضة والتفوق والقوة.

2- الرغبة في التأثر والانتقام من عقدة الذنب الاستعمارية أو التهميش, فالصين عانت من سياسات الدول الأوربية إزائها قديماً,واليابان عانت من العزلة وعقدة الحرب ونتائج ما بعد الحرب العالمية الثانية، والهند عانت من الاستعمار البريطاني، وروسيا كإمبراطورية سابقة، ودول النمور من سياسة الغرب والولايات المتحدة.

3- عدم الانجراف نحو سياسات التوسع والحرب والتهديد(السلم أجدى وأنفع).

4- عدم التدخل في الشؤون العالمية لتقليل الأعباء عليها (وعدم الإفصاح عن دور أعظم إلا بحدود تكامل التأثير).

5- الاعتماد على نظام سياسي كفء قادر على التجديد وتحديد المخاطر.

6- أثر التعامل البشري في قوة العمل والمهارة والتقنية الرفيعة.

7- **عدم** المواجهة مع الولايات المتحدة عسكرياً واقتصار المواجهة بالتنافس فقط بالدور[1] كما إنه من المفيد القول إن التوحد الجديد في التأثير يتمثل في المعادلات التالية:

أ- بروز هياكل جديدة للتأثير الاقتصادي والسياسي بصيغ تجمعات أقرب إلى التكتلات الاقتصادية الجديدة كتكل البر يكس ومجموعة العشرين.

ب- سيطرة الطابع الاقتصادي على هذه المجموعات بينما تأتي الأجندة الأمنية والإستراتيجية في ترتيب تال أو متأخر نسبياً, بمعنى آخر إن تلك المجموعات لم تبلور أجندة أمنية أو إستراتيجية متكاملة تجاه النظام الدولي. والتركيز على النمو المتوازن والمستدام كمفهوم قائد لتلك الدول, والتركيز على التكامل الإقليمي ومشاركة القطاع الخاص لها في عملية التنمية.

ج- ضعف التحدي الإستراتيجي في برامجها لمناوئيها كالولايات المتحدة أو أوربا أو غيرها من خلال تبنيها لسياسات سلمية إلا في حدود الأمن القومي كحالة روسيا والصين.

د- التشابه بين أهداف مجموعة البر يكس ومجموعة العشرين, ودخول دول البر يكس في تجمع العشرين لا لشئ وإنما للفوز بمغانم أكبر وليس انتشال الاقتصاد الرأسمالي المنهار تدريجياً.

---

(1) قارن مع أحمد داود أوغلو,العمق الإستراتيجي:موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية,ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل بيروت,الدار العربية للعلوم-ناشرون,ط1 ,2010,ص35-52.

هـ- التحول في القدرة المالية الدولية, ففي السابق كانت الولايات المتحدة هي من تقرر مصير العالم واتجاهاته المالية,لكن الحال تغير بعد الأزمة المالية عـام 2008 إذ أصبح المقرر للسياسة المالية الدول الصناعية الناشئة في الـشرق,[1] فالـصين وحـدها تملك أكبر احتياطي نقدي من الدولار يقدر بتريليوني دولار حتى عـام 2008. وهـو ما يربو على ثلثي إجمالي الناتج السنوي للـصين عـام 2008. فمـن مـصلحة الـصين عدم تقويض الدولار لأنه سيعصف باحتياطيها للدمار,لهذا كان من مـصلحتها حـل معضلة الدولار وبـنفس الوقـت تقليـل الاحتيـاطي المخـزون قـدر الإمكـان, لـذلك تبحث الصين حالياً عن تنمية الأسواق الداخليـة وعـن مـصادر نمـو جديـدة، وعـن عصر جديد ودولار جديد.

أما الديناميكيات الجديدة فقد عبرت عنهـا هياكـل التجمعـات عـبر تجمـع البر يكس ومجموعة العشرين, والتي تتمثل سمات كليهما بالتالي:

أ- استنادها على المؤسسية المرنة القابلة للاستيعاب لأعضاء جدد والتعامل بمرونـة عالية دون الاستناد إلى البيروقراطية.

ب- الفلسفة المؤسسية المرنة في الأهداف واتخـاذ القـرارات ودون اعـتماد العمـل بصيغ الاتفاقيات أو المعاهدات وإنما الأهداف المشتركة، أو المشتركات.

فضلاً عن تأثيرها البالغ والكبير في الاقتصاد والإنتاج العالمي.

وتسعى مثلاً دول البر يكس المكونة من كل من روسـيا – الـصين – الهنـد – البرازيل – جنوب أفريقيا, إلى فك ارتباطها بالدولار في تعاملاتها التجارية البينية.

فحينما كانت دول البر يكـس تتكـون مـن كـل مـن روسـيا والـصين والهنـد عـام 2001كـان نـصيبها مـن النـاتج المحـلي الإجـمالي العـالمي 18% في عـام 2010

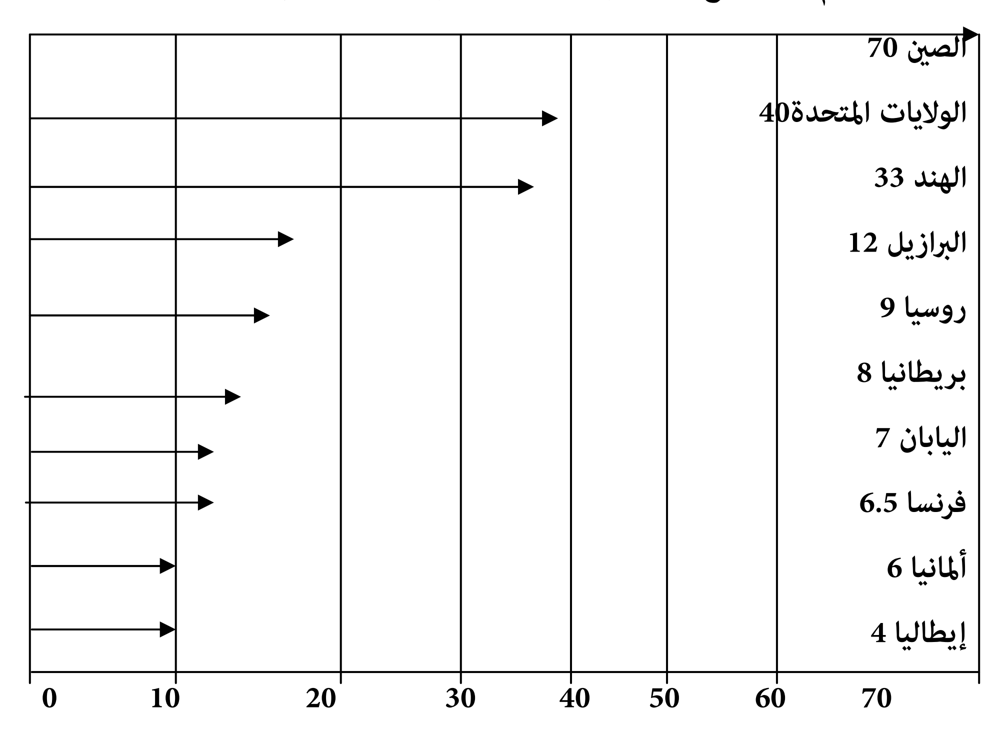
(1) Central Intelligence Agency(CIA)WorldFactbook,2008,Washington D.C:CIA,2008

وصلت إلى 27% أي بزيادة قدرها 9% خلال عشر سنوات بينما تراجعت حصة الدول الصناعية السبعة الكبار للفترة ذاتها من 65% إلى 56%. [1]

علماً إن دول البر يكس ستضم دولاً أخرى مثل إندونيسيا ومصر بعد انضمام البرازيل لها عام 2008 وجنوب أفريقيا عام 2011.كما من المتوقع أن تنضم لها دول من أوربا الشرقية أيضا كما بينا سابقاً.

والجدولين أدناه أكبر دلالة على قوة التجمع:

جدول رقم (1) الناتج لدول البر يكس مقارنة بالدول الصناعية المتقدمة [2]



(1) د.سيار الجميل,وجهات نظر في حكاية بريكس وأطروحة التفوق,صحيفة البيان الإماراتية, 2011/11/12.

(2) التقديرات عن مجلة التحليل الإستراتيجي الباكستانية,ع 4,كانون أول 2011,ترجمة الباحث .

التوقع لعام 2050 م بمليار الدولار.

جدول رقم (2) ترتيب دول البر يكس عالمياً الأربعة عدا جنوب أفريقيا [1]

الفئات	البرازيل	روسيا	الهند	الصين
المساحة	5	1	7	3أو4
السكان	5	9	2	1
الناتج المحلي الإجمالي	10	8	12	3
الصادرات	21	11	23	2
الواردات	27	17	16	3
الميزانية	47	5	169	1
ديون خارجية	24	20	27	19
استهلاك الكهرباء	10	3	7	2
مستخدمي الهاتف	5	4	2	1

أما مجموعة العشرين التي تبلورت بعد الأزمة المالية العالمية في عام 2008 فإن جذورها اسبق من ذلك،كنوايا نشأت في مجموعة حوارية عام 1975 (على غرار نشأة مجموعة السبعة الكبار)بعد الأزمة النفطية الأولى ,وأشير إليها في مؤتمر أبيك في تشرين الثاني 1997 في فانكوفر الأمريكية،وبرزت في البداية كمجموعة ال22 واجتمعت مرتين في واشنطن ثم توسعت إلى ما عرف بمجموعة ال33 عام1999 .وتوصلت إلى قرار وزراء مالية مجموعة الثمانية في أيلول عام 1999 والتي قررت إنشاء مجموعة العشرين في صيغة دعوة موجهة

(1) المصدر نفسه.

إلى وزراء المالية ومدراء المصارف المركزية في الدول المعنية إلى الحوار حول سبل حماية الاقتصاد العالمي من الأزمات .ومنذ ذلك الوقت كانت المجموعة تلتقي بانتظام على هذا المستوى إلى أن تبلورت عام 2009، وكان أول لقاء قمة لها في 1-2009/4/2 ثم في 24-2009/9/25 وتضم المجموعة[1] دولاً كباراً هي (ألمانيا-ايطاليا-فرنسا-بريطانيا-اليابان -كندا-الولايات المتحدة)والإتحاد الروسي,و(11)دولة ناهضة وهي (الصين-الهند-استراليا-كوريا الجنوبية-البرازيل-الأرجنتين-المكسيك-جنوبأفريقيا-إندونيسيا-تركيا-السعودية).

ثم الإتحاد الأوربي وتمثله الدولة التي تتولى رئاسة الإتحاد دوريا, إذا العدد الحقيقي للمجموعة يبلغ (42)دولة مع الإتحاد من أصل (192) دولة في العالم, وتضم القارات الستة فيها أفريقيا تمثيلها قليل إذ يشمل جنوب أفريقيا فقط, واستراليا تمثلها استراليا،والبقية هي قارات آسيا وتمثلها سبعة دول – وأمريكا الجنوبية دولتان،وأوربا أربعة دول،وأمريكا الشمالية ثلاث دول .(7) وبهذه الهياكل الجديدة للقوة لابد وإن تتغير سياسات وتفاعلات النظام الدولي،إذ ستتشكل هياكل جديدة للقوة وآليات بديلة عن القديمة وسياسات جديدة.

ثانياً: روسيا استعادة لدور جديد

دور روسيا في النظام الدولي الحالي ليس البحث عن دور جديد وإنما استعادة دور فقدته،فقد كانت وريثة إمبراطورية ودولة عظمى سواء في الحقبة القيصرية أم في الحقبة السوفيتية الشيوعية ,لقد فقدت روسيا إمبراطورية مترامية

---

(1) مجموعة العشرين تتعهد بدعم النمو والمصارف,صحيفة الوسط المصرية,العدد3304 في2011/9/24.

الأطراف، وهي الآن تبحث عن دور جديد بصيغ استعادة الدور [1] وقديماً أشار المؤلف الفرنسي الشهير" ألكسي دو توكفيل "في كتابه الشهير،الديمقراطية في أمريكا والذي نشر جزءه الأول عام 1832 والثاني 1843 قال فيه (ليس ثمة أمم تتحكم بمصير العالم في الحاضر أو المستقبل مثل أثنين هما الأمة الأمريكية والأمة الروسية)[2] فما تزال روسيا تكافح لإيجاد مكان لها في العالم , فبعد فترة من التأكيد على التعاون ودور الشراكة مع الولايات المتحدة والغرب،أصبحت سياستها الآن أكثر قومية وحنين للماضي وإثبات للذات, ولعل عودة العلم الأحمر،والاعتماد على التوجهات الدفاعية السابقة التي أعتمدها العسكر في الحقبة السوفيتية كأولويات للسياسة الروسية تأكيد لذلك. [3]

وهناك من يؤكد وبشحنة عاطفية إن مصائر مواجهة القرن الجديدة ستتقرر في روسيا ليس فقط لأن روسيا مالكة لأكبر مساحة في العالم ومواردها تؤرق المخصخصين العولميين بل أيضا لأن روسيا تمتلك تقاليد ثقافية هي الأسمى روحياً والأنبل والأكثر حكمة. [4]

---

(1) نيكولاي زلوبن,الخليج في سياق السياسة الخارجية الروسية ,في كتاب:المصالح الدولية في منطقة الخليج,لمجموعة باحثين ,أبو ظبي,مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ط1, 2006, ص81.

(2) نقلاً عن د.وائل محمد إسماعيل,الإستراتيجية الروسية بين تحديات الواقع وآفاق المستقبل,جامعة بغداد-كلية التربية أبن رشد,مجلة الأستاذ,ع69, 2008,ص811.

(3) فرتيز أيدمارث,روسيا,في كتاب:التقييم الإستراتيجي,لمجموعة باحثين,أبو ظبي ,مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ط1, 1997, ص89.

(4) الكسندر بانارين,التوازن الإستراتيجي المفقود في القرن الحادي والعشرين,دمشق,اتحاد الكتاب العرب,ط1, 2006, ص356.

وجوزيف أس. ناي مساعد وزير الدفاع الأمريكي سابقاً وهو أستاذ في جامعة هارفارد قال:" إن روسيا حالياً صحيح إنها قليلة الفعالية لكنها تؤثر في توازن العالم" [1]بسبب قوتها النووية المترسبة،ورأسمالها البشري الضخم ومساراتها في تكنولوجيا الفضاء وموقعها في كل من أوربا وآسيا ,ورونالد ريغان الرئيس الأمريكي الذي حكم حتى نهاية أوج الحرب الباردة أو الذي وضع الإسفين لنهاية الإتحاد السوفيتي للفترة (1980-1988) بعث المخاوف حين صرح قائلاً في خريف عام 1984 ما يأتي :"هناك دب سائب في الغابة بعض الناس يسهل عليهم أن يروه،وآخرون لا يرونه على الإطلاق ,بعض الناس يقولون إن الدب أليف،وغيرهم يقولون إنه ضار وخطير،ولما كان من الصعب أن نعرف أيهم على صواب ألا يكون من الفطنة أن تكون قوتنا مساوية لقوة الدب – إن كان للدب وجود ؟".[2]

لذلك يرى البعض إن غياب الدب السوفيتي عن الأحداث بعد عام 1991 لم يكن طويلاً إذ سرعان ما أعاد الرئيس بوتين للأذهان عودته ثانية روسيا أو رسمياً الإتحاد الروسي، كجمهورية تصنف رئاسية تعتمد النظام الفيدرالي،إذ تعد روسيا أكبر دولة في العالم من حيث المساحة،التي تقدر ب 17,75,400كم , وهي تقريباً ضعف مساحة كندا ثاني دولة في العالم من حيث المساحة ولديها موارد هائلة من النفط والغاز الطبيعي والحديد والنيكل والمآسي

(1) نقلاً عن صحيفة الديلي ستار الأمريكية في صحيفة الأيام اللبنانية ,ع5279 في 2010/9/24, ص14.

(2) لستر ثارو,الصراع على القمة:مستقبل المنافسة الاقتصادية بين أمريكا واليابان,ترجمة أحمد فؤاد بلبع ,الكويت,سلسلة عالم المعرفة رقم204, كانون أول 1995 ,ص5.

والفوسفات والفضة والرصاص والذهب والأحجار الكريمة والأخشاب عدا الزراعة والصناعة الثقيلة الحديثة,فضلا عن ترسانتها من الأسلحة النووية والتقليدية ,وثمة توجهات ثلاث في روسيا تحكم الدور الروسي في النظام الدولي:

الأول: ويمثله الأحرار في روسيا الذين يؤيدون إن روسيا صحيح هي كبرى، ولكن ينبغي أن لا تستعرض قوتها كقوة كبرى،والتوقف عن منافسة الولايات المتحدة والدخول في تكامل مع أوربا الكبرى ,ذلك لأن أوربا هي حليف طبيعي وشريك إستراتيجي لأوربا،وهو رأي مثالي يتناقض مع حقيقة الوضع السياسي الدولي القائم .

الثاني: ويمثله المتشددون ومفاده إن روسيا وإن تدهورت قوتها لها مقومات اقتصادية وعسكرية يمكن إن تكون فاعلاً مهماً،وإنها قوة أولى في أوربا الآسيوية،وإن من مصلحة روسيا تعزيز مكانتها العالمية في العالم .

الثالث: ويمثله البراغماتيون برئاسة فلاديمير بوتين،الذين يعتبرون إن حجم الناتج الإجمالي الروسي يساوي واحد إلى عشرة مثيلتها في الولايات المتحدة،فلابد من البحث عن طريق خاص لإعادة المكانة الروسية ففي 31 كانون الأول عام 1999 أي قبل يوم من وصول بوتين إلى كرسي الرئاسة كتب كرئيس وزراء آنذاك قائلا "لن يحصل ذلك أبداً تحول روسيا إلى طبعة للولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى،بالنسبة إلى الروس،الدولة القوية لا تمثل شذوذاً ينبغي التخلص منه،بل العكس تماماً،إنهم يرون فيها ضامناً للنظام وقوة محركة أساسية لأي تغيير" وبعد تنصيبه في آبار 2000رسمياً قال بالإشارة للموروث الإمبراطوري الروسي في خطاب التنصيب "يتعين علينا معرفة تاريخنا،معرفته كما هو فعلاً،واستخلاص الدروس منه ونتذكر أولئك الذين دافعوا عن كرامتنا

وجعلوها دولة عظيمة قوية وجبارة " [1] لذلك شكلت إدارة الرئيس فلاديمير بـوتين نزعات خليطه من القومية الروسية والحنين الإمبراطـوري والانتقـام لـلإذلال الـذي لازال يستبطن السايكولوجيا الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي .فروسـيا بـوتين لا تشغلها الديمقراطية والليبرالية المروج لها حسب المفاهيم الغربية بل ستدعم لما يعرف بالديمقراطية السيادية تلك الديمقراطيـة الوطنيـة التـي لا تـسمح للأطـراف الأجنبية التأثير في السياسة الداخلية.[2]

وجاء بـوتين بجملـة مفـاهيم لتـشكيل سياسـة خارجيـة تقـف بالـضد مـن الهيمنة الأمريكية وتقف بالضد من سياسة أحادية القطب في الأسس التي ارتكزت عليها لخلق روسيا كفاعل من فواعل التأثير في النظـام الـدولي لـذلك عرفـت بمبـدأ بوتين منذ عام 2000 والقائم على:

أ. تعميق التوجه الأورآسي لروسيا في سياستها الخارجية .

ب. التركيز على بـرامج الإصـلاح الـداخلي لـيس عـلى حـساب الـسياسة الخارجية .

ج. التركيز على تطوير دور روسيا في عالم متعدد الأقطاب ورفض القبول بعالم تحكمه هيمنة قوة أحادية.

د. العمل على استعادة دور روسيا في آسيا والشرق الأوسط بشكل تدريجي .

(1) هنري كيسنجر,هل تحتاج الولايات المتحدة إلى سياسة خارجية؟ترجمـة عمـر الأيـوبي,بـيروت ,دار الكتاب العربي,ط1, 2002, ص69.

(2) خالد الحروب,في الفكر السياسي الأمريكي الجديـد:عـودة التـاريخ ورابطـة الـديمقراطيات,بـيروت, مجلة المستقبل العربي,ع 357 تشرين الثاني 2008 , ص27.

ه. عدم السماح للغرب بتهميش الدور الروسي في العلاقات الدولية .

و. التحذير من سياسة حلف الناتو للاقتراب من روسيا أو تطويقها لأن عودة روسيا معناه عـودة الرابطـة مـع الجمهوريـات الـسوفيتية للـدفاع عـن نفسها .

ز. مع معارضة روسيا لنظام القطبية الأحادية لكن لا تعني عـدم اسـتمرارية التعاون مع واشنطن في قضايا عالمية كالحد من التسلح وحقوق الإنسان وغيرها.

ح. تقوية روابطها مع بيئتهـا الأمنيـة في الـشرق مـن الـصين والهنـد واليابـان وكازاخستان ومنغوليا .[1]

فبدت السياسة الروسية أكثر وضوحاً وصلابة منذ اسـتلام الـرئيس بـوتين مقاليد الحكم وظهر ذلك مـن خـلال مواقـف بـلاده في تأييـد القـانون الـدولي والشرعية الدولية ومعارضة محاولات الهيمنـة الأمريكيـة .[2] والغـرب عـلى مـا يبدو يعرف قدر روسـيا جيـداً إذ كـل مـا عملتـه في مقاومـة أفعـال الولايـات المتحدة والغرب لم يكن سوى تأثير تلطيفي أو تأخيري على المبـادرات الغربيـة

---

(1) أيمن طلال يوسف,روسيا البوتينية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولويات الجيوبوليتيكية الخارجية2000-2008, بيروت, مجلة المستقبل العربي,ع 358 كانون أول 2008, ص82-83.

(2) وليم نصار,روسيا كقوة كـبرى,بـيروت,المجلـة العربيـة للعلـوم الـسياسية,ع 20, خريـف 2008, ص46.

في الأمم المتحدة وسواها سواء بأحداث إيران أو العراق أو كوسوفو .[1] كما يفهم أو يصور الدور الروسي كمحصلة لانشغال الولايات المتحدة والغرب بحربي العراق وأفغانستان والأزمة المالية إلا إن الرئيس بوتين كان جاداً في أبعاد المصالح الأمريكية والغربية عن روسيا وأمنها القومي إذ سعى بكل جهد أولاً لتطهير الدولة الروسية من مراكز القوى "المؤمركة والمتصهينة" على حد تعبيره وبناء الجيش والأجهزة الأمنية وإعادة إمكانية الردع الروسي في النظام الدولي, والاستفادة من الزيادة في أسعار النفط لبناء الاقتصاد الروسي الذي حقق عام 2007م 8% من النمو,[2] كما أعاد إلى الذاكرة الروسية الوطنية ببعض الرموز القديمة للدولة السوفيتية كمستشارين له ومنهم بريماكوف وغيره من العسكر وبروز العلم الأحمر كرمز للجيش الروسي والنجمة السوفيتية المذهبة والنشيد الوطني القديم بعد تعديل بعض كلماته مع الاحتفاظ باللحن القديم الذي يرمز لعظمة روسيا,[3]وعموماً مرت عملية نهضة روسيا في عهد بوتين في ثلاث مراحل هي:

أ- **مرحلة الانتشال من عام 2000-2004م:** والتي هي مدار فترة رئاسة بوتين الأولى وكانت أقرب إلى استعادة الدور والدولة القوية بكل جوانبها

(1) بال دوناي وزدزسلو لاتشوفسكي, الأمن والمؤسسات الأورو-أطلسية,في كتاب:التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي,الكتاب السنوي 2007, بيروت –مركز دراسات الوحدة العربية, ط1 تشرين الثاني 2007, ص603.

(2) منير شفيق,الإستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب,بيروت ,الدار العربية للعلوم-ناشرون,ط1, 2008, ص94-95.

(3) د.حميد حمد السعدون, الدور الدولي الجديد لروسيا,جامعة بغداد-مركز الدراسات الدولية,مجلة دراسات دولية ,ع 42 تشرين أول 2009, ص1-2.

السياسية والاقتصادية والعسكرية بعد حالة التفكك والفوضى التي خلفها انهيار وتفكك الإتحاد السوفيتي ,وكانت العقيدة العسكرية هنا دفاعية أكثر مما هي هجومية.

ب- **مرحلة بناء الدولة القومية العابرة للقارات -عقيدة فرض الاحترام- من عام2005-2009م:** إذ أتبعت العقيدة العسكرية توجه جيد سياسي عالمي بتأسيس جيش قوي وقدرات عسكرية دفاعية وهجومية إستراتيجية قادرة على كبح التهديدات الخارجية, أولاً بمواجهة التهميش الأمريكي الغربي لروسيا وكبح التدخلات الغربية الأمريكية في الدول السوفيتية السابقة ,وإبعاد القواعد العسكرية الأمريكية عن الجمهوريات السوفيتية السابقة بمختلف الوسائل, إذاً العقيدة هنا كانت عقيدة مواجهة وهجوم واستفزاز للغرب والولايات المتحدة والحرب الجورجية عام 2008 كانت الدليل على ذلك.

ج- **مرحلة تأكيد المكانة العالمية- عقيدة التوازن الإستراتيجي:** والتي تبدأ تطبيقاتها من عام 2011-2015م وأكد ذلك سكرتير مجلس الأمن القومي" نيكولاي باتروشيف" في 2009/11/19 كرد على إستراتيجية الأمن القومي الأمريكية,[1] وملامحها المؤثرة والتي أثرت وستؤثر بالنظام الدولي هو التالي:

أولاً: بروز مبدأ مدفيديف - الرئيس الروسي الحالي- والذي حدد فيه السياسة الخارجية الروسية في خمس نقاط منذ تبوئه الحكم في عام 2008 وهي:

(1)اعتراف روسيا بأولوية المبادئ الأساسية للقانون الدولي .

(2)يجب أن يكون العالم متعدد الأقطاب ورفض الأحادية والهيمنة .

---

(1) محمد بن سعيد الفطيسي, رؤية إلى العقيدة العسكرية 2011-2015 .
http://mostakbaliat.blogspot.com/2010/09,2011-2015

(3)مع تجنب روسيا المواجهة لكنها ترفض العزلة لها من العالمالخارجي.

(4)إن حماية أرواح المواطنين أينما كانوا من صميم الأمن القومي الروسي .

(5)هنالك أقاليم لروسيا فيها مصالح وامتيازات ودول جوار ينبغي حمايتها.[1]

ثانياً: زيادة الدور الروسي في تجارة السلاح الدولية .

ثالثاً: إعادة تنشيط دورها في الصراع العربي الإسرائيلي .

رابعاً: دورها في ملفي كوريا الشمالية وإيران النووية .

خامساً: دورها في أزمات البحر الكاريبي .[2]

سادساً: تفعيل روسيا لمعاهدة الأمن الجماعي مع جمهوريات الإتحاد السوفيتي السابق والتي وقعت في 1992/5/17 كمعاهدة أمن جماعي مع ست جمهوريات وزيادة عدد الموقعين لإحياء الرابطة بإطار جديد .

سابعاً: أتفاق الرئيسين الأمريكي أوباما والروسي ميدفيديف في نيسان2009 على معاهدة جديدة لخفض الأسلحة الإستراتيجية الهجومية علماً إنه وفق إحصاء عام 2009 تملك روسيا رؤوس نووية أعلى من الولايات المتحدة إذ إنها تمتلك (4834) رأساً نووياً تليها الولايات المتحدة ب(2702) ثم فرنسا (300) فالصين(186) وبريطانيا (160) والهند(70) وباكستان (60) أي تمتلك روسيا أعلى من كل دول النادي النووي في العالم جميعاً .[3]

---

(1) جورج فريدمان,مبدأ مدفيديف والإستراتيجية الأمريكية,بيروت,مجلة المستقبل العربي,ع356, تشرين أول 2008, ص123-124.

(2) عاطف معتمد عبد الحميد,استعادة روسيا مكانة القطب الدولي:أزمة الفترة الانتقالية, بيروت, الدار العربية للعلوم- ناشرون,ط1, 2009,ص7-143.

(3) عن كتاب التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي, الكتاب السنوي 2009, بيروت مركز دراسات الوحدة العربية,ط1 تشرين الثاني 2009, ص648.

ثامناً: فضلاً عن تعزيز النفوذ الروسي في مجال الطاقة في السوق العالمي .

تاسعاً: إعادة تفعيل السياسة الروسية في أفريقيا .

عاشراً: تدعيم النفوذ الروسي في منطقة أمريكا اللاتينية .[1]

حادي عشر: تعزيز التحالفات الثنائية والجماعية لروسيا مع الصين والهند وغيرها وتعزيز العمل في منظمة شنغهاي وتجمع البر يكس كجزء من إعادة الدور وإثباته في النظام الدولي,لذلك يفسر البعض الحركة الأمريكية للسيطرة على النفط لمواجهة أكبر تحديين وهما روسيا والصين وذلك في قوسين للنفط والفحم والغاز.[2]

ثاني عشر: إن التمكن الروسي في مجال الفضاء يُعٌد مفصلاً أساسياً آخر لمقومات القوة الروسية تضاف للمقومات الأخرى في النظام الدولي.

ثالثاً: الصين الإفصاح عن قطبية

ظلت الصين لعقود لم تفصح عن نفسها كقوة عظمى أو كبرى أيضاً بل تطرح نفسها كقوة إقليمية بارزة, إلا أن ثمة متغيرات جديدة أفرزت عن إستراتيجية صينية ساعية لقطبية جديدة أو نفوذ في النظام الدولي والصين كحال روسيا ,التي لازال ينتابها حنين إمبراطوري تسعى حياله لتصحيح التاريخ في الإقليم والعالم,هنالك الفخر الصيني كتأصيل حضاري إذ عانت من

(1) استمرار سياسات إثبات الوجود الروسية,التقرير الإستراتيجي2008-2009, القاهرة-مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأهرام,ط1, 2010, ص53-58.

(2) محمد عبد الشفيع عيسى,شبكات نقل النفط والغاز:الاستنفار العالمي والإقليمي في الأسواق الدولية للطاقة,بيروت, مجلة المستقبل العربي, ع370 كانون أول 2009, ص136.

الإذلال الذي تعرضت له أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على أيدي مشروع اليابان الإمبراطوري أو القوة الغربية,[1] والصين دولة ولكنها حضارة بذاتها كما إنها عالم قائم بذاته, ومهما كانت خبرة المرء ومهما كانت معلوماته ستظل قاصرة عن استيعاب الكثير والكثير من جوانب حضارة عريقة وديناميكية بنمط الحضارة الصينية, فهي عريقة في تاريخها الرسمي المدون لأكثر من 5000 عام. وهي ديناميكية لأن تطورها عبر تلك السنوات لم يقضِ على وحدتها وتماسكها الحضاري كما حدث في مناطق أخرى من العالم , ولذلك ظلت الدولة والحضارة في شبه تطابق, كما إنها ديناميكية لأنها تقدم الجديد والمبتكر في التجارب الثورية وفي الفكر السياسي وفي النظم السياسية,[2] وسابقاً حذر نابليون بقوله الشهير عن الصين " الصين مارد نائم , فدعوه نائماً لأنه إذاً أستيقظ هزَ العالم ".[3] والمفهوم الصيني للتحديث يبنى على خصائص صينية لا غربية. فهو يعني:

أ- إيمان رجل بالإصلاح يقابله تنازل رجل آخر عن الماركسية .

ب- نموذج التحديث الخاص بالصين والرافض للنموذج الغربي أو تقليده.

ج- إدماج المفهوم الصيني للاشتراكية مع المفهوم الغربي للرأسمالية لذلك كان سر من أسرار القوة الصينية وبروزها في الآونة الأخيرة,[4] هو نموذجها الرائد

(1) خالد الحروب,مصدر سبق ذكره, ص27.

(2) د.محمد نعمان جلال,تسليم الراية في القيادة الصينية:الأبعاد والدلالات,القاهرة,مجلة السياسة الدولية,ع152, نيسان 2003, ص26.

(3) ووبن, الصينيون العاصرون, ترجمة د.عبد العزيز حمدي,الكويت,سلسلة عالم المعرفة رقم210, حزيران 1996, ص9.

(4) المصدر نفسه,ص10.

في الإصلاح الذي يقوم على الإبداع وفق مقولة الرئيس الصيني الراحل دينغ سياو بنغ -رائد الإصلاح في الصين منذ عام 1979- " لا يعني لون القطة مادامت تصطاد الفئران" ,[1] المهم النتائج للإبداع والإنتاج, فضلاً عن نموذجها الناجح في التحديث ولاسيما في مناطق الصين الساحلية والتي تضم عدداً من المواقع الإستراتيجية والاقتصادية والسكانية والتي عرفت كقلاع اقتصادية كبيرة, منها: مدينة شنغهاي , وهونغ كونغ, ومكاو, والمناطق الاقتصادية الصينية الخاصة. إذاً أبدعت الصين في الثمانينات من القرن العشرين في إنشاء المناطق الاقتصادية الخاصة, والتي كان عددها خمسة مناطق .وأرتفع عددها في عام 2001 إلى إحدى عشر إقليمياً, ثم اثنا عشر إقليما فيما بعد,[2] كما تبنت الصين ومنذ أوائل الثمانينات في القرن العشرين مفهوم أو نموذج يمكن أن يحقق الوحدة الصينية والتطور, هو نموذج الدولة الواحدة ذات النظامين, كمقاربة للتوحيد ثم التطور بقبول التعايش بين نظام اقتصادي رأسمالي مع النظام الاشتراكي,[3] ومنذ ذلك الحين بدأ التفكير الصيني في التحول من دولة إقليمية إلى دولة كبرى في العالم وخاصة مرحلة ما بعد الحرب الباردة إذ بدأ مفهوم الدولة الصينية للقوة يعني القوة الوطنية الشاملة الذي اضطلعت الصين بناءه في المجالات كافة [4]

---

(1) الكسندر بانارين, مصدر سبق ذكره,ص63-64.

(2) الصين التجربة والتقدم,دار الإعلام والاتصالات الصينية ,التقرير السنوي 2011, ص55-65.

(3) متروك الفالح, النموذج الصيني للتوحيد,بيروت,مجلة المستقبل العربي,ع152 تشرين أول 1991, ص16-18.

(4) مايكل دي .سوين, في كتاب: التقييم الإستراتيجي ,مصدر سبق ذكره, ص218.

والصين أو جمهورية الصين الشعبية تعرف باسم الصين، هـي الدولـة الأكـثر سـكاناً في العـالم يبلـغ عـدد سـكانها حـوالي مليـار و(450) مليـون نـسمة, وتبلـغ مساحتها 9,6 مليون كيلو متر مربع , الثالثة بعـد روسـيا وكنـدا وتجـاور 14 دولـة, وهي دولة في حالة نمو منذ فترة طويلة تاريخياً .(1)

فضلاً عن مقومها السكاني البشري والجغـرافي بعمقهـا الـسوقي,فـإن الـصين قوة اقتصادية إذ يعد اقتصادها الذي يجمع بين النظامين الرأسـمالي والاشـتراكي (أو المشي على الساقين) أهـم الاقتـصاديات في القـرن الآن فقـد حققـت معـدل النمـو وصل لأكثر من 12% ويرجـع الـبعض إلى سياسـة المرونـة التـي اختطتهـا في سـبيل الإبداع والإنتاج والتي أرساها الرئيس الصيني الراحل دنغ سياو بنـغ (تـوفي 1997) فالليونة التي أقرها وأعتمـدها كليونـة حركـات التنـين وهـو رمـز الـصين الـسامي, فالصيني ليونته في التعامل مع الحقائق والمطلق أمر غاية في العجب بل إن كلمات مطلق أو منطق أو هرطقة كلمات ومفـاهيم طارئـة عليـه, ليـست مـن صـميمة . ومن الطريف في اللغة الصينية عـدم وجـود مفـردتي (لا ونعـم) أي عبـارة الإجابـة بنعم أو لا غير موجودة في عالم الصين اللغوي, لأن الإجابة ستكون حاسمة وقاطعة ونهائية بخلاف الحياة المتبدلة وغير النهائية . وفكرهم الـبراغماتي يقـوم عـلى الكُـر والفر, لهـذا قيـل أن أصـل البراغماتيـة - النفعيـة أو الذرائعيـة هـو الـصين ولـيس الغرب, فضلاً عـن المقومـات الأخـرى ومنهـا الثقافيـة، فميـزة القـوة الـصينية أنهـا مزجت بين ثلاث ثقافات وتجارب وهي:

أ. الثقافة الكونفوشيوسية .

---

(1) الموسوعة العربية العالمية,الرياض,ج15, ط2, 1999, ص265-266.

ب. الثقافة الماركسية .ج-الثقافة الليبرالية المعاصرة .

وجميع تلك الثقافات أكدت على عدم الخروج من الثوابت التالية:

أ. اعتبار إطاعة السلطات أمراً أخلاقياً واعتبار القانون أداة للتغيير.

ب .اعتبار النسق الاجتماعي أكثر ضرورة من النزعة الفردية

ج. المرونة وقبول المذهب البراغماتي في التعامل مع معطيات الواقع وهذا أدى بالنظام القانوني الصيني أن يكون من أرقى النظم في الضبط والالتزام مع أن 70%_80% من المجتمع الصيني مجتمع ريفي تقليدي صعب.

لذلك أحتفظ النظام القانوني الصيني بثلاث خصائص لرقيه هي:

أ. أولوية النظام على الحرية .

ب. أولوية الواجب على الحق .

ج. أولوية مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

لذلك فهم الصيني إن التعددية تعني الفوضى في الصين,وهنالك أقلية تدعم هذا لتوجه وهو السر الذي يجعل الكل يتنبأ باستحالة تمزق الصين إلى وحدات جغرافية وسياسية. [1]

أما عسكريا فالصين تتمتع بقدرات عسكرية عالية, فهي متميزة بالتسلح سواء الاستراتجي والتقليدي وقد دخلت النادي النووي منذ عام 1964,وتعد أكبر قوة عسكرية في آسيا وتنشر صواريخ نووية رادعة ضد الولايات المتحدة .

وهي ثالث أكبر مركب نووي بعد الولايات المتحدة وروسيا وتمتلك حسب التقديرات أكثر من 400 رأس نووي و2400 قنبلة نووية كما تمتلك صواريخ باليستية عابرة للقارات يصل مداها إلى 7 آلاف كيلو متر وصاروخ

(1) د.وليد سليم عبد الحي, المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي1978-2010, أبو ظبي-مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ط1, 2000,ص78.

DF-5 قادر على حمل رؤوس نووية متعددة ,كما تمتلك صواريخ متوسطة وقاذفات إستراتجية من نوع H–5 أو غواصات نووية حاملة للصواريخ النووية.[1]

فإضافة للمؤشرات والمقومات سالفة الذكر ما يجعل القلق يساور الولايات المتحدة والغرب هو إن الصين ستتجاوز الولايات المتحدة بنهاية القرن في ناتجها القومي الإجمالي , وإليك بعض من هذه المؤشرات.

السنة	**الناتج القومي الإجمالي (تريلون دولار)** [2]	
	الولايات المتحدة	الصين
2005	12	2
2010	14	4
2020	18	10
2030	24	22
2040	33	45
2050	44	82
2060	59	131
2070	80	178
2080	107	244
2090	144	335
2100	194	466

(1) عبد العزيز حمدي عبد العزيز, قوة الصين ووزنها الاستراتيجي في آسيا, القاهرة,مجلة السياسة الدولية,ع145 أيلول 2001, ص81.

كذلك قارن مع: الكتاب السنوي 2005,عن التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي, بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية,ط1 تشرين الثاني 2005, ص842-845.

(2) ألبرت كايرل, نهضة الصين الاقتصادية,بيروت ,مجلة المستقبل العربي,ع367 أيلول2009, ص235-236.

كذلك الصين هي الثالثة فضائياً بعد الولايات المتحدة وروسيا, وتحتل موقعاً إستراتيجياً يربط شرق آسيا بشرق أوربا وتتحكم بعدة طرق ملاحة بحرية وبرية وجوية . [1]

لذلك انطوت الصين من أجل مقاربة إستراتيجية للتأثير أكثر في النظام الدولي والإفصاح عن قوتها كدولة كبرى أو عظمى بدأت في المشاركة في منظمات إقليمية وتجمعات إستراتيجية كمنظمة شنغهاي التي انبثقت في شنغهاي في نيسان 1996 . وتجمع البر يكس الذي انبثق عام 2001 .[2]

كل ذلك يترجم صعود صيني صامت أفصح عن نفسه جديداً بلغة الأرقام كقوة صاعدة ومؤثرة في النظام الدولي.

العالم مقبل على صين كبرى, هل الصين الكبرى المحصورة في الكيان الذي عاصمته بكين؟ السؤال طرحه مؤخراً الباحث الأميركي تشارلز هورنير زميل معهد هيدسون ومؤلف كتاب «بزوغ الصين» في مقال طويل .

ولئن كان مصطلح "الصين الكبرى "استخدم في ما مضى للإشارة إلى أراض تشمل البر الصيني والتبت وهونج كونج ومكاو وتايوان، فإنه يستخدم اليوم داخل الدوائر الصينية الضيقة للإشارة إلى ما سبق مع إضافة كيانات أخرى من تلك التي تعود أصول غالبية سكانها أو نسبة معتبرة منهم إلى العرق الصيني، مثل سنغافورة وماليزيا وإندونيسيا. وهذا ينسجم مع النظرية الدارجة

---

(1) فوزي حسن حسين ,الصين واليابان ومقومات القطبية العالمية,رسالة ماجستير في العلوم السياسية, جامعة بيروت العربية-كلية الحقوق والعلوم السياسية,2009, ص83.

(2) بايتس غيل, النجم الصاعد:الصين دبلوماسية أمنية جديدة, ترجمة دلال أبو حيدر,بيروت -دار الكتاب العربي, ط1, 2009, ص56-71.

عند البعض بأن القرن الحالي هو قرن صيني بامتياز، بمعنى أن بكين سوف تنجح خلاله في بسط هيمنتها على البحار والمحيطات وموارد القارتين الأفريقية واللاتينية والتحكم بالتالي في اقتصاديات العالم[1] .

ولعل ما يغري بكين في إدخال سنغافورة وماليزيا وإندونيسيا ضمن مصطلح الصين الكبرى هو ثقتها بولاء سكان هذه الدول المنحدرين من أصول صينية لوطنهم الأم. هذه الثقة التي ربما عززها عاملان: الأول هو ما لوحظ على هؤلاء من محافظة شديدة على لغتهم وتقاليدهم الصينية وعدم قطع صلاتهم في أي وقت من الأوقات مع وطنهم الأم منذ هجرتهم إلى مجتمعاتهم الجديدة، وإنْ اعترفوا بأن ما وصلوا إليه من ثراء وعلم ونفوذ سببه الفرص التي أتيحت لهم في ظل حكم المستعمر الغربي.

والثاني هو حقيقة أن الصينيين الذين توزعوا في دول جنوب شرق آسيا منذ القرن الـ19 لم يبخلوا قط في مساعدة وطنهم الأم وقت الشدائد، بدليل ما قدموه من أموال إلى الزعيم الوطني «صن يات سين» من أجل الإطاحة بسلالة «قينغ» الإمبراطورية، ثم ما قدموه له بعد ذلك من تبرعات من أجل إقامة المؤسسات الدستورية الجمهورية. هذا ناهيك عما قدموه من دعم مادي وسياسي لاحقاً لمقاومة اليابانيين الذين احتلوا مساحات شاسعة من الأراضي الصينية خلال الحرب الباسفيكية[2] .

(1) أحمد النجار, الصين والقفزة الاقتصادية العملاقة, القاهرة, مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام, مجلة كراسات إستراتيجية,ع179, 2007.

(2)د.عبد الله المدني,الصين الكبرى,صحيفة الاتحاد الإماراتية، 2012/12/9.

فقد حذر هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق من إن الصين «قوة عائدة» إلى هيمنة عاشتها ألفي سنة.

فعلي المستوي الاقتصادي، صرح بن برنانكي، رئيس البنك المركزي الأمريكي، في محاضرة مهمة في نوفمبر 2010، بأن مجمل إنتاج الاقتصاديات الصاعدة، في الربع الثاني من عام 2010، قد زاد بنسبة 41% عما كان في بداية عام 2005 . وقد بلغت الزيادة نسبة 70% في الصين، ونحو 55% في الهند. أما في الاقتصاديات المتقدمة، فقد كانت الزيادة لا تتجاوز 5%. لقد تجاوزت الاقتصاديات الصاعدة الأزمة الاقتصادية بسهولة، ولكن آثارها كانت كارثية علي الدول المتقدمة.

تشكل هذه التحولات في القوة الاقتصادية والعسكرية، وما يصاحبها من نفوذ سياسي علي الساحة الدولية، ما وصفه أوباما ب-"الواقع العالمي الجديد"، الذي أصبح يهدد قواعد وأسس النظام الدولي الذي تشكل بعد نهاية الحرب الباردة. وقد وصف أستاذ التاريخ، نيل فيرجسون، هذا الواقع الجديد، في محاضرة ألقاها أخيرا، بأنه نهاية لعصر من السيطرة والصعود الغربي، في مقابل أكبر وأسرع ثورة صناعية شهدها العالم تجري علي أرض الصين، والتي من المقرر أن تتجاوز الولايات المتحدة كأكبر اقتصاد في العالم في المستقبل القريب .لقد كان من المتوقع أن تصل الصين إلي المركز الأول بحلول عام 2040، ثم تمت إعادة النظر في هذا التقدير، نظرا لسرعة الصعود الصيني، وأصبح التاريخ المقدر هو 2027 .والآن، تشير بعض الدراسات إلي أن ذلك قد يحدث خلال السنوات العشر القادمة.[1]

---

(1) للمزيد قارن مع كتابنا,التغيير في النظام الدولي,ج1,بغداد,مكتبة السنهوري,ط1, 2012.

وعلى الرغم مما تقدم ينبغي النظر إلى صعود الصين بـصفة عمليـة عمليـة مطولـة للغاية, ربما ستستغرق كل السنوات المتبقية من القرن الحالي على الأقـل.ونظـراً إلى طبيعة التحول التاريخي الذي تمثله هذه العملية,إلى جانب حجم الدولـة الـضخم, فإنها ستؤدي إلى تغييرات عميقة بشكل غير مسبوق في الـساحة العالميـة,وسـتكون أكبر جدا من التغييرات الناجمة من صعود الولايات المتحدة.

المهم المستقبل يحمل لنـا مفاجـآت عديـدة وحـالات يـصعب الجـزم بشأنها,بيد أن من المهم ملاحظة أن الأحداث تتحرك حالياً عـلى نحـو أسرع مما كان متوقعاً.(1)

إذا وضعت فهداً، ودباً، ونمراً، وباندا، معـاً فربمـا يكـون لـديك عـرض رائـع، ولكنك لن تحظى بحياة هادئة. أصبح تجمع بر يكس BRICs - البرازيل، وروسـيا، والهند، والصين – يمثل اختصاراً لنهضة الأسواق الناشئة في الاقتصاد العـالمي. وبعـد عقد نجمي إلى حد ما، واجهت بلدان بـريكس بـشكل رئيـسي أزمـة جيـدة، وهـي تخرج منها الآن سريعاً.

وتحتل مساحة دول البريكس 30% من مساحة العالم، ويشكل عدد سكانها 42% من عدد سكان العالم، ويفوق أجـمالي اقتـصادهم اقتـصاد الولايـات المتحـدة الأمريكية اكبر اقتصاد في العالم وتعتبر هذه الدول من أكـبر الاقتـصاديات الناشـئة، لـذا فـإن التعـاون بـين الـبريكس لـه آفاقـا واسـعة. وتـأتي الأطـراف المختلفـة

(1) مجموعة باحثين,مستقبل الصين في النظام الدولي,مجلة آفاق المستقبل,أبـو ظبـي,مركـز الإمـارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ع8, تشرين الثاني وكانون أول 2010, ص49.

إلى هذا اللقاء بتطلعاتها ومطالبها المختلفة حي تعتبر تلك القوي هي المرشحة لقيادة العالم عام 2050 [1]

وقد صاغ عبارة كتبها جيم أونيل في 2001 بعنوان" بناء أفضل بر يكس الاقتصادية العالمية ."اختصار قد دخل حيز الاستعمال على نطاق واسع باعتباره رمزا للتحول في القوة الاقتصادية العالمية بعيدا عن الاقتصاديات المتقدمة G7 تجاه العالم النامي.

يعتبر ظهور قوة كبرى جديدة على المسرح العالمي واحد من أحداث قليلة يمكن أن تحمل قدرا من الانتظام أو الفوضى في الحياة الدولية، والصين اليوم هي أهم قوة صاعدة على الصعيد العالمي في فترة ما بعد نهاية الحرب الباردة، وإذا كان وزن الصين الاقتصادي المتزايد يمكن ملاحظته بسهولة، فان معدلات النمو الصينية وتأثيرها على ميزان القوى العالمي هو ما يخيف القوى الكبرى في العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، وهو أحد أهم الاهتمامات البحثية المطروحة لدى الأوساط الأكاديمية حاليا.

تطور معدلات النمو في الفترة من(2007-2011)[2]

الدولة	2007	2008	2009	2010	2011
العالم	%5.4	%20.8	%0.6-	%5.3	%3.9
مجموعة الدول المتقدمة	%2.8	%0	%3.6-	%3.02	%1.6
الولايات المتحدة الأمريكية	%1.9	%0.3-	%3.5-	%3	%1.7

(1) د.نورهان الشيخ,العلاقات الروسية الأمريكية, القاهرة,مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام,مجلة كراسات إستراتيجية,ع205كانون أول2010.

(1) ImF-World development out look 2012,P.190-196

الإتحاد الأوربي	%3	%0.4	%4.3-	%1.9	%1.4
ألمانيا	%3.4	%0.8	%5.1-	%3.6	%3.1
فرنسا	%2.2	%0.2-	%2.6-	%1.4	%1.7
ايطاليا	%1.7	%1.2-	%5.5-	%1.8	%0.4
اسبانيا	%3.5	%0.9	%3.7-	%0.1-	%0.7
اليونان	%0.3	%0.1-	%3.3-	%3.5-	-
البرتغال	%2.4	%0	%2.9-	%1.4	-
مجموع دول آسيا الصاعدة	%11.4	%7.8	%7.1	%9.7	%7.8
الصين	%14.2	%9.6	%9.2	%10.4	%9.2
الهند	%10	%6.2	%6.6	%10.6	%7.2
البرازيل	%6.1	%5.2	%0.3-	%7.5	%2.7
روسيا	%8.5	%5.2	%7.8-	%4.3	%4.3

وهناك من يرى أن الصين تخطو على طريق التحول إلى قوة عالمية ستتربع على قمة النظام الدولي,ويعتقد هؤلاء إن الإخفاق في ملاحظة هذا الصعود والتكهن بأبعاده,عائد إلى استعمال معايير تقويم خطأ طورها الغرب لفهم حركة الدول والإمبراطوريات.

في حين إن للصعود الصيني قواعده ومساراته الخاصة,وفي المقابل يوجد من يقول إن هناك خللاً سياسياً بنيوياً,ومظاهر ضعف ديموغرافي وقضايا حقوق إنسان, ستجعل ارتقاء الصين إلى مستوى منافسة الولايات المتحدة أمراً مستبعداً.

بينما يشكك بالمقابل تلك القوة ويرها غير متمكنة أو مستمرة,وإنما محفوفة بالعقبات,فالاحتمالات تؤكد وترجح تباطؤ نموها الاقتصادي بشكل كبير,كما ستعمل طبيعة نموذج التنمية الاقتصادية فيها على تقييد حرية عملها على الجبهة الجيوسياسية.كما إن الوضع المضطرب للأقليات العرقية فيها والضغوط السياسية على دولة الحزب الواحد لإطلاق عملية سياسية ستحد من قدرتها السياسية على قيادة العالم.[1]

رابعاً: الهند قوة بثقة جديدة

أو بحيوية جديدة وناعمة فرضت نفسها بعد عقود من التدهور والتفكك والتدمير عاشتها في ظل الاستعمار البريطاني.

ومرت عملية نهضة الهند بعد عزلة فرضتها على نفسها بعد نيلها الاستقلال لتلتئم جراح المستعمر وبناء القدرة الداخلية للأمة لكنها أدت إلى إنماء ذهنية تفتقد للقدرة على المنافسة, وأخيرا كسرت طوق العزلة وواجهت بشجاعة تحدي العولمة وبالتزامن مع ثورة تقنية في الحواسيب ومع وجود عدد كبير ورخيص في الأيدي العاملة والمؤهلة استطاعت أن تكون معلماً رئيسياً في تصميم برمجيات الحاسب وتقديم الخدمات المرتبطة بتقانة المعلومات عالمياً.

بالتالي حجزت لها مكانة متقدمة في اقتصاد المعرفة في القرن الجديد .

لعل من أبرز مقومات النهوض الهندي المقومات التي تتمتع بها وأبرزها :

أ- **العامل الحضاري**: فهي دولة تختزل حضارة , تضم مجموعات عرقية ولغوية متعددة تشترك في خلفية ثقافية واحدة .

---

(1) مينكس باي, لماذا لن تهيمن الصين على العالم؟, المصدر نفسه,ص45.

ب- **العامل السياسي**: فالتجربة الديمقراطية التي أرستها تجربة تجديد وتسامح مستمرة وحساب للأخطاء فالمخطأ يحاسب أياً كان.

ج- **كفاءة النظام السياسي الفيدرالي وتوزيع السلطات:** فهي دولة ذات نظام سياسي برلماني فيدرالي , يعطي للمركز صلاحيات أقوى من الأقاليم بحيث لا تدعها للانفصال أو التفتت وقد أدخل البريطانيون ذلك النظام لأنهم لم يكن في خلدهم إنهم سيتركونها في يوم ما.

د-**العامل العسكري**: فهي تمتلك القوة والردع الكافيين في العلاقات الدولية أمام خصومها وجيرانها من باكستان أو الصين.

ه-**العامل التقني:** فهي تتفوق في علوم البرمجيات والحواسيب بشكل ملفت للعيان.

و-**العامل الاقتصادي**: فمعدلات النمو الواضحة لها فضلاً عن النمو الواعد في زراعة الأشجار المثمرة وتربية الحيوانات والأسماك[1] ودور الهند البارز جسدتها ثقتها بنفسها بناءاً على فلسفتها وموروثها الثقافي في إثبات نفسها بصورة سلمية ولعل أبرز مايجسد ذلك البروز تفاعل مواقع أو فواعل قوة لديها متمثلة بوزنها الجيوسياسي(الجيو بولتيكي) المتنامي لها مع المعول المرتفع لنمو الناتج القومي وفرص الأسواق الاقتصادية الوفيرة, فقد مثل صعود الاقتصاد الآسيوي بعد 2008 مؤشراً خطيراً على الفاعلين الرئيسيين في النظام الدولي وبصورة مذهلة لهم . فقصة الفقر المتوطن في آسيا قد تحولت إلى قصة ازدهار تعم إرجاء القارة, وسابقاً قدم عالم الاقتصادي السويدي الحائز على جائزة نوبل (جونال مردال) عام 1968 بحثاً عن فقر الأمم وخاصة في

---

(1) ديتمر روذرموند,الهند:نهضة عملاق آسيوي, بيروت,الدار العربية للعلوم –ناشرون,ط1, 2008, ص15-192.

آسيا .[1] معادلته وفروضه تغيرت ,فآسيا كانت عام 1820 تحوز على 60% من حصة الاقتصاد العالمي تدهورت بعد 125 سنة أي عام 1945 بحيث أصبحت متدهورة , ثم اليوم تحوز على 40% من الناتج العالمي أو إلى 60% عام 2050 وذلك كنتيجة لتصدر ثلاث قوى فيه القوة في العالم وحسب التسلسل – الصين – الهند- الولايات المتحدة – اليابان[2],إلا إن الهند تعاني من أزمات حقيقية بسياستها الداخلية إزاء المسلمين البالغ عددهم حوالي(300) مليون نسمة وتعتبرهم أقلية (ميكروية) فضلاً عن تحديات دول الجوار لها إذ تعاني من استبداد جغرافي لمحيطها الجغرافي غير الآمن وهو قوس من الدول الفاشلة وخاصة تفشي تنظيم طالبان الإرهابي وعلى غراره في باكستان ,[3] وكذلك من جوارها مع أفغانستان والخط القادم من ماينمار وبنغلادش من جهة الشرق ومن الجنوب سيرلانكا ومن الشمال نيبال التي يحكمها نظام ماوي.[4]

وهناك من يؤشر ثلاث أبعاد للريادية أو البزوغ الهندي وهي:

أ- البعد الاقتصادي والذي تنطق باسمه المؤشرات التالية :

- تسجيلها معدل نمو اقتصادي وصل 8/8% لعام 2009 .

---

(1)Gunner Myrdal,Asian Drama: An poverty of Nations (New York: pantheon, 1968).

(2)Kishore Mahbubani,The New Asian Hemisphere: The Irresistible (Shift of Global Power to the East) (New York: Public Affairs, 2008)

(3)Stanly A.Weiss, India,the Incredible and the Vulnerable: International Herald Tribune, April23-2008.

(4)World Policy Conference at:http://www.world policy conference.com,2008.

- استثماراتها العالمية التي وصلت في البلدان الخليجية فقط إلى 152مليار دولار .

ب- تقدمها المتنامي في إنتاج السيارات ومن المؤمل أن تكون المنتج الخامس لها عام 2015 .

- احتياطها النقدي الذي يصل إلى 289/99 مليار دولار .

- توقع تجاوز اقتصادها الاقتصاد الصيني عام 2030م.

- تفوقها على الصين في صناعة السوفت وير وتوظيفها الآلاف من المهندسين والفنيين المحليين أي الهنود بينما الصين لاتوجد فيها سوى العشرة مؤسسات التي توظف ألف عامل صيني فما فوق من المهندسين والسبب في ذلك يعود لتحرر الهند من البيروقراطية ودور اللغة الإنكليزية المتداولة في الهند.[1]

- تفوقها على الصين في النظام المالي المتين مقارنة بنظام الصين الكارثة .

- استثماراتها في صندوق النقد الدولي وصلت إلى 10 مليار دولار .

- شراءها 140 شركة أمريكية .[2]

ج- **البعد العسكري**:والذي تجسده المؤشرات التالية:

-ثاني أكبر قوة مسلحة بعد الصين وامتلاكها الأسلحة النووية والتي تطلق عبر صواريخ أو طائرات تحميل ويبلغ عدد قواتها الهندية 1,3 مليون جندي وشبه العسكري 1,1 مليون نسمة .

-امتلاكها سادس أكبر أسطول في العالم , وثامن أكبر قوة جوية في العالم.

---

(1) صحيفة البيان الإماراتية في2006/4/9.

(2) محمد حسين أحمد,أخبار الهند الاقتصادية: www.akhbar alhind.com

-امتلاكها لحـاملات طـائرات ومـدمرات وغواصـات نوويـة,وتعـود المعجـزة الهندية لعام 1991 حيـنما نفـذت إصلاحات اقتـصادية جذريـة وانتهجـت سياسة الانفتـاح الاقتـصادي عـلى العـالم والـسوق المفتوحـة وعملـت عـلى خصخـصة العديـد مـن الـصناعات المملوكـة للدولـة . وقـد أوردت تقـارير إستخبارية أمريكية وصول الناتج القـومي الإجـمالي لـلـهند إلى 3 تريليـون دولار وهــي بـذلك تكـون الرابعـة اقتـصاديا الآن وبعـد الولايـات المتحـدة والصين واليابان ,ويكفي الإشارة إلى قوتها الاقتصادية هو تطورهـا الملحـوظ في اقتصاد البرامجيات الذي يدر عليها 46 مليـار دولار سـنوياً , ناهيـك عـن تطورها في علوم الفضاء وإطلاق صـواريخ وأقـمار صـناعية ومراكـز لتحليـل البيانـات , وتعتـزم في عـام 2014 إطـلاق أول رائـد فـضاء لهـا , وفي إطـار الاستعدادات لذلك أطلقت أربعـة أقـمار منـذ عـام 2007 وهنـاك 16 قمـر هنـدي يـدور حـول الأرض للبـث التلفزيـوني والاتـصالات ومراقبـة الأرض والتوقعات الجوية والتعليم والرعاية الصحية عن بعد مـن خـلال الانترنـت ,وهي سـابع دولـة مـن حيـث المـساحة إذ تبلـغ مـساحتها 3,2مليـون كـم وتشترك بحدود بحرية مع 7 دول وحدود برية مع 5 دول.

يتوقع أن تتفوق بالسكان على الصين بحدود عام 2025 إلى مليار و 650 مليون نسمة ومع احتمالية حصولها على مقعد دائم ستكون فعلاً قطـب يـؤثر في النظام الدولي,[1] ومم يترجم البروز الهنـدي بثقـة جديـدة مفادهـا الـصعود النـاعم والـسلمي لدرجـة يـشبه الـبعض صـعودها بـالأعمى وبـلا أسـنان أي غير مؤذي لكنه مهم جداً فنظامهـا الـسياسي يقـف عـلى الأخطـاء ويـصححها

(1) مأمون سويدان, آفاق تحول الهند إلى قوة عالمية عظمى,مجلة سياسات-رام الـلـه,فلـسطين, ع10 خريف 2009.

دائماً ولا يتوانى في حساب المخطئين حتى وأن كان رئـيس الدولـة أو رئـيس الـوزراء فهم يقولون إن الإبداع هو بالخروج من القديم إلى الجديد-وهنا يبرز تحدي الأمم بالتحدي نحو مواكبة التغيير والتطور[1]

وتتجسد مرونتها أيضاً من خلال علاقاتها الدولية, فكونهـا قـوة آسـيوية مهمة تحاول إتباع سياسة تتعلق بالمنـاطق القاريـة متعـددة الاتجاهـات,ومـن أجل تطوير سياسات حيال جنـوب وشرق ووسـط آسـيا تهـتم بالتوازنـات ذات القياس القاري, فتضطر الهند إلى بناء علاقات مـع دول آسـيوية مهمـة يـأتي في مقدمتها باكـستان والـصين وروسـيا,تـستهدف احتـواء القلاقـل إليهـا مـن وراء المنطقة, ويلعب موقع الهند كدولة مركزيـة في المحـيط الهنـدي دوراً مهـماً في إتباعها إسـتراتيجية واسـعة المقـاييس في المحـيط الهـادي حتـى شرق وجنـوب أفريقيا.[2]

والهند بكل مقاييسها تعد قوة صـاعدة وصـعودها ترجمتـه الأرقـام سـالفة الذكر,فضلاً عن دخولهـا تنظـيمات إقليميـة سياسـية وأمنيـة واقتـصادية,كمنظمـة شنغهاي مـع الـصين وروسـيا وكـذلك تجمـع الـبريكس ومجموعـة العـشرين.كلهـا مؤشرات للأهمية والتفاعل,ولعل أسباب عـدم إفـصاحها عـن القـوة بلغـة الحركـة يعود إلى فلسفتها السلمية عدا خلافاتها التاريخية مع جارتهـا المـسلمة, الباكـستان وإلى إحاطتهـا بقـوس مـن الـدول الفاشـلة والاسـتبدادية التـي تـسعى بـشكل أو بآخر إلى تقويض ما تتمتع به الهند من علمانية وتعدد أثني وتعددية ثقافيـة.فـالي الغـرب تواجـه الهنـد قوسـاً مـن الأزمـات يترامـى مـن الأردن إلى باكـستان,وعـلى

---

(1) فريد زكريا,عالم مابعد أمريكا,بيروت ,الدار العربية للعلوم –ناشرون,ط1, 2009, ص140-146.
(2) أحمد داود أوغلو, مصدر سبق ذكره, ص218.

هـذا المحـور يمتـد حـزام متـصل مـن الاضـطرابات الـسياسية يمتـد مـن لبنـان إلى باكستان,مما يلقي بتداعياته البالغة الخطورة على الأمنيين الإقليمي والدولي.[(1)]

خامساً: اليابان تحول في الفكر الإستراتيجي

صحيح أن اليابان كنهضة وتطور اقتصادي وعسكري لم تكن بنـت اللحظـة التـي سـاهمت فيهـا باعتمادهـا عـلى الولايـات المتحـدة بعـد استـسلامها في 2 أيلول1945 خلال الحرب العالمية الثانية, فهي كانت دولة كبرى خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وتجربـة اليابـان لم تكـن مجـرد انبثـاق مفـاجئ لتطـورات أتـت بهـا حركـة(ميجـي) أو(أسرة ميجـي) عـام 1868م,إضـافة إلى مميـزات خاصـة لـدى الشخصية اليابانية أكسبتها تميزاً خاصاً.

لذا ينبغي دراستها كتجربة رائدة نهضوية, فرغم خـسارتها للحـرب العالميـة الثانية لم تتراجع عـن مـشروعها الحـضاري ونهـضت مـن رقادهـا وغـزت الولايـات المتحدة في عقر دارها في تكنولوجيا الـسيارات والأجهـزة الالكترونيـة المتقدمـة, ولم تسقط أو تستسلم أبدا . وتحولت إلى قوة اقتصادية وتكنولوجية يحسب حـسابها. وعناصر الثقة اليابانية قامت على أربع مرتكزات هي مزيج مـن الحكمـة بتطويـع أعدائها والاستفادة منهم, وبالعقل في القدرة العالية على الابتكار, وبالصبر بالقـدرة على التحمل التي فاقت التصور من اجل الريادية.

وبالإرادة وبالتصميم العالي على التحدي والثأر لما عانتـه إضـافة إلى مميـزات أخرى لدى الشخصية اليابانية والمتمثلة في :

---

(1) Atlantic Council,Needed:Acomperhensive U.S policy Toward Pakistan, Report of Task force Co-chaired by former Senator Chuck Hagel of Nebraska and Senator John Kerry Massachusetts(Washington ,D.C:The Atlantic Council,February2009)

أ- محدد ايكولوجي أكسب اليابانيين تفرداً وخلق ملامح الشخصية اليابانية التي تتميز بالانضباط والصرامة، وبالحس الجماعي المرهف.

ب- شعور أصيل بعدم الاستعلاء وهو أمر مختلف عما ساد لدى العرب والمسلمين والصين في القرن التاسع عشر، والذين اعتبروا أنفسهم أصحاب حضارات عريقة، مما عزز لديهم نظرة استعلاء إلى ثقافة الغير.

ج- توحيد الدولة، وتوافر بنية تحتية من خلال الطرق والمواصلات والاتصالات بين أركانها.

د- بناء بيروقراطي بدأ يستند إلى معايير الجدارة والكفاءة والإنجاز مع نمو اقتصادي وديموغرافي يناظر ما شهدته الدول الأوربية .

هـ- طبقة وسطى بدأت تتسع وتحظى بثروات هائلة مع قيام مجتمع يتميز بدرجة عالية من الانضباط والصرامة .

و- تطور علاقات اليابان بالخارج خصوصاً في مجالات الدفاع وإدارة علاقاتها مع العالم بشكل أثار الإعجاب والاحترام خاصة بعد تغلبها على أهم جيرانها الصين وروسيا[1].

اليابان نهضت منذ عام 1853 أو 1868م بولادة عصر الميجي أو بصعود (أسرة آل الميجي لحكم اليابان) التي كسرت عزلة اليابان الخارجية التي دامت 150 سنة وبدأت علاقاتها التجارية مع الولايات المتحدة أولاً وبدأت بريادية التعلم والعلم من أجل التفوق منذ ذلك الوقت.

---

(1) محمد أعفيف ,أصول التحديث في اليابان1568-1868,بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية,ط1, 2010,ص7-480.

واعتبرت الفترة منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين فترة انتعاش اليابان، حققت إنجازات للحاق بركب الحضارة الغربية .

وشكل الاحتلال الأمريكي لها إعادة صياغة اليابان بلباس اقتصادي أقوى مما كان في السابق، حتى أصبحت عملاق اقتصادي ولكن قزم سياسي.حيث استمرت كأنها شركة تجارية دون أن تكون دولة قوية سياسية مؤثرة .

إلا إن التحول في الفكر الإستراتيجي الياباني بدأ بالخروج من مرحلة الاحتكار الأمريكي لها إلى مقام الدولة القومية القوية.

فانهيار بناءات الحرب الباردة اضطرها لمواجهة تحديات بمفردها لا الاستناد على الولايات المتحدة وحدها , وخاصة بعد الأزمة المالية العالمية 2008.

واليابان باللغة اليابانية تعني نيبون كوكوأي (بلاد الشمس المشرقة) أكتشفها البرتغاليون عام 1542 وتتألف من 8604 جزيرة أهمها أربع جزر كبرى يقوم عليها النظام السياسي الياباني هي : هوكايدو – هونشو – تشيكوكو – كيوشو .

وهي دولة ذات حضارة قديمة أيضا، في عام 100 ق.م. كان الشعب الياباني مقسم إلى عشائر مستقلة لكل منها زعيم يدٌعي إنه من نسل الآلهة وتطور هذا الإدعاء حتى أصبح الإمبراطور يحتكر هذه الصفة لنفسه ,وقد أزال هذه الصفة الإمبراطور رقم (127) هيروهيتو منذ عام 1947 واكتفى باسم الإمبراطور .[1]

(1) حمد محمد السعيدان,العالم حقائق وأرقام,الكويت,1970, ص562.

مساحتها على الجزر الأربعة فقط تبلغ 377,80كم2 أي ما يساوي 7,1من مساحة الجزائر الإجمالية يبلغ عدد سكانها 127,8 مليون نسمة حسب إحصاء عام 2006م.

تحكم التجربة اليابانية والخصوصية في الإنماء ركائز أساسية استندت عليها، لعل من أبرزها:

أ- الشخصية الثقافية اليابانية سواء الإمبراطور أو الساموراي والاعتزاز بالتراث الحضاري وكذلك لنقاط أخرى أهمها :

- **تقديس العمل وتضخيم الإنتاج:** إذ لعب العامل الإنساني دوراً بارزاً في نجاح التجربة اليابانية فالعلاقات العامة قوية أسرياً وفي العمل مع روح المنافسة الشريفة مع المؤسسات الأخرى اليابانية ,إضافة إلى أن المعدل السنوي لساعات العمل في اليابان بلغ أعلى نسبة في العالم كله، إضافة إلى كره اليابانيين لأماكن اللعب واللهو والمقاهي وتكاد تخلو اليابان من تلك الأماكن، فضلاً عن انعدام سياسة نقل العمال من شركاتهم وبالتالي تقوية العامل بانتمائه وإخلاصه للشركة التي يعمل فيها .
- الجماعية في اتخاذ القرار والعمل كفريق متكامل وهي سمة من سمات شخصيتهم الوطنية .
- الإدارة اليابانية أو ما يعرف (بالريجنسي) المهارة التي تتميز بالعقلانية والعملية واعتماد الكفاءة والأقدمية والعلمية.
- مناهج التعليم التي تعتمد الجانب العملي بدلاً من النظري في الإعداد التدريس.
- دور الإعلام والصحف ومحطات التلفزة الباعثة على العمل والإنتاج والتطوير.

وعلى هذا المحتوى تسُّوق وتفهم اليابان النظام الدولي، فهي ترى إن النظام الدولي ما بعد الحرب الباردة ليس مباراة موزعة بين صديق وعـدو، فالمبـاراة هـي في آن واحد تنافسية وتعاونيـة وكـل بلـد يمكـن أن يظـل صـديقاً وحليفـاً دون أن يتعارض ذلك مع رغبته في الفوز.

وهناك نص بوذي لحكـم الريجنـسي اليابـاني مفـاده مـن يملـك ناصـية فـن الحياة لا يفرق كثيراً بين عمله ولعبه، بـين كدحـه وفراغـه، بـين عقلـه وبدنـه، بـين تعليمه واستجمامه، بين حبه ودينه، لا يكاد يعـرف هـذا مـن ذاك، وإنـه ببـساطة يتبع رؤاه للتفوق في أي شيء يفعله، تاركاً للآخرين أن يقرروا ما إذا كـان يعمـل أو يلعب، أما هو فإنه يفعل كليهما .[1]

فهم لا يتناسـون تعـاليمهم البوذيـة كـونهم ينتمـون لإمبراطوريـة، والرغبـة مستمرة لديهم للبناء وغزو الإمبراطوريات المجاورة وأن يكونـوا القـوة الاقتـصادية الأولى في العالم .

ب- الاعتبارات الجغرافية بحتمية الموقع والمكان فكونها جزيرة منعزلة عـن الأرض وتربتها جبلية ووعرة كفلت لها تحصيناً حمائياً وأمنياً طبيعيـاً وكرسـت عزلـة اجتماعية بشرية طويلة المدى,مـما أنـتج هويـة عرقيـة متجانـسة بـين أفـراد الشعب الياباني، حيث يكاد القـول إن مـن بـين أرقـى الـشعوب في الانـدماج الاجتماعي اليابان .

ج- الشعور القومي الطاغي في الضمير الجماعي الياباني بالتميز والتفرد بل التفـوق والأفضلية على الشعوب الأخرى عامة والآسيوية خاصة .

(1) لستر ثارو, مصدر سبق ذكره, ص20-139.

د- خصوصية تراثية لدى اليابانيين تقول بأن الآلهة هي التي صنعت اليابان قبل صنع البلاد الأخرى، فهي لها قداستها على الآخرين بنظرهم .[1]

هـ- القوة العسكرية المتنامية لليابان، ففي 2010/12/17 تم إقرار القواعد الإرشادية لبرنامج الدفاع الوطني لعام 2011 وما بعده لمدة عشر سنوات، وكذلك برنامج الدفاع على المدى المتوسط 2011-2015، وتضمنت الوثيقتين نقاط أساسية تتمثل في أسس الأمن الياباني والبيئة الأمنية المحيطة باليابان، والسياسات الأساسية لضمان الأمن الياباني وقواعد الدفاع في المستقبل، والقواعد الأساسية لتعظيم قدرات الدفاع،بالإضافة لعناصر أخرى ترسم ملامح السياسة الأمنية لليابان وقواتها الدفاعية,فضلاً عن مراجعة التشكيلات الدفاعية لليابان وانتشار قوات الدفاع الذاتي وتقوية الترتيبات الأمنية مع الولايات المتحدة[2].

وتمتلك اليابان ثاني اقتصاد في العالم من حيث سعر صرف العملات، وهي الثانية عالمياً من حيث المعرفة التكنولوجية وهي أول منتج للحديد والصلب في العالم وثالث قوة في تكرير البترول، وأول منتج للسيارات وتساهم ب40% من الإنتاج العالمي للسفن، وثالث قوة تجارية في العالم وتؤمن نصف الإنتاج العالمي من المعالجات الميكروبية مقابل 38% في الولايات المتحدة[3].

وتترجم الفاعلية اليابانية نحو آسيا والشرق لا بالارتباط والعلاقات وإنما لأنها دولة آسيوية ولها طموحات الدولة الكبرى أو العظمى مستقبلاً، وبالتالي ستؤثر في توازناته وهيكلية النظام الدولي تبعاً لذلك.

---

(1) د.نازلي معوض أحمد, الإدراك الياباني للنظام الدولي, القاهرة, مجلة السياسة الدولية,ع101 تموز1990, ص62.

(2) الموسوعة الحرة/اليابان والاقتصادhttp://ar.wikipedia.org .

(3) حمد محمد السعيدان ,مصدر سبق ذكره,ص240.



الفصـل العاشـر

مستقبل الهيمنة الأمريكية

في ظل أمواج التغيير

قال المفكر الشهير روجيه جار ودي": سنحارب حتى آخر نفس كل هؤلاء الذين يريدون أن يفرضوا علينا بقوة المليارات والصواريخ تاريخاً كاذباً ومستقبلاً أفرغ من معناه يريدون أن يفرضوا علينا الصمت على حقائقنا الجزئية والمضطربة"(1).

تواجه الهيمنة الأمريكية أمواج من التحدي والتغيير في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين وربما تبرز ملامح التحدي بصورة واضحة في العقدين اللاحقين وللوقوف على أبرزها تم الإشارة كأمواج بحر هائج لابد أن تجرف من يقف أمامها,وهي عديدة نتناول المهم منها:

أولاً:بوادر التحول في النظام الدولي الراهن

ثانياً:موج التغيير بتغير القوى الفاعلة في العالم

ثالثاً:موج التغيير بصراع محتدم بين القوى الفاعلة

رابعاً:موج تراجع قوة النظام الرأسمالي

خامساً:موج تضاؤل الدور الأمريكي

سادساً:موج تغير النظام الدولي

سابعاً:موطن التراجع الأمريكي

أولاً: بوادر التحول في النظام الدولي الراهن

فالمستقبل يقول في ملامحه الأولى إن العالم سيتغير وفقاً لرؤىً ثلاث هي:

(1) روجيه جارودي,كيف صنعنا القرن العشرين؟, القاهرة,دار الشروق, ط1, 2000,ص ص9-199.

الرؤية الأولى: وهي التقليدية: وترى إن العالم سيتغير بتغلب إحدى القوتين (الولايات المتحدة أو الإتحاد السوفيتي) [1]

وهو ما تحقق بانتهاء الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي أواخر عام 1991, وبروز الولايات المتحدة كقطب أحادي في النظام الدولي.

الرؤية الثانية: وهي تكنولوجية :وترى إن العالم سيتغير نحو التعددية في ظل التطور التكنولوجي المتسارع في العالم .[2]

وهو ما يحصل الآن تقريباً.

الرؤية الثالثة: وهي جيوسياسية: وتكونت ابتداءً من السبعينات في القرن العشرين ,إذ إن ثمة تغيرات جيوسياسية ستشهدها العلاقات الدولية,وستقرر مستقبل النظام الدولي ومن سيكون له الريادية في النظام الدولي .[3]

وهو ما سيتحقق في العقدين الثاني والثالث من القرن الحادي والعشرين.[4]

فقد شهد العقد الأول من القرن الحادي والعشرين جدلاً داخل الأوساط السياسية والأكاديمية الأمريكية والغربية بل والعربية أيضا حول مستقبل القوة الأمريكية ودورها في نظام ما بعد الحرب الباردة , الذي بدأ في التشكل ,مع انهيار الإتحاد السوفيتي أواخر عام 1991 وتركز الجدل حول جملة التحديات التي تواجه أسس ومقومات القوة الأمريكية من جهة والتحولات

(1) د.أنور عبد الملك, تغيير العالم,الكويت, سلسلة عالم المعرفة رقم95 تشرين الثاني 1985, ص31-33.

(2) المصدر نفسه, ص33-37

(3) المصدر نفسه, ص37.

(4) Robert Kagan,The Return of History and the End of Dreams, London : Atlantic Books ,2008.

والتغيرات في موازين القوى على الصعيد الدولي من جهة أخرى ,وقد تمحور هذا الجدل حول جملة تساؤلات من قبيل[1] هل ينزع النظام الدولي إلى التعددية القطبية أم يعود إلى الثنائية بدلالة الولايات المتحدة والصين مثلا ؟أم يسير إلى حالة من اللاقطبية يتساوي فيها نفوذ الدول الكبرى مع المؤسسات الدولية والدول الإقليمية؟

وكيف ستتعامل الولايات المتحدة مع هذا التغير الجوهري في بنية النظام الدولي الذي تتربع على قمته منذ انهيار الإتحاد السوفيتي ؟

هل ستظل الولايات المتحدة فاعلاً رئيسياً في هذا النظام أم سيتراجع دورها؟

وهل سيمكنها من المحافظة على إنفرادها بقيادته وإعاقة تقدم القوى الأخرى؟

وقد تزايدت حدة هذه النقاشات مع تزايد القادم في السياسة الأمريكية دولياً خلال السنوات الثماني لحكم الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الابن وعقب تفاقم حدة الأزمة المالية التي هزت الاقتصاد الأمريكي ,ومن ورائه العالمي في منتصف عام 2008.

ودلائل ذلك هي:

1- تبعات الرأسمالية التحررية الحديثة القائمة على كازينو القمار في أسواق البورصة ,وهي اقتصاد غير منتج لكن مؤثر في الاقتصاد العالمي ففي ثواني عديدة تتحرك تريليونات الدولارات من جهة لأخرى فضلاً عن النظام

(1) الصين والهند والولايات المتحدة:التنافس على موارد الطاقة, أبو ظبي, مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ط1, 2008,ص72-98.

الرأسمالي ذاته الذي يعتمد متراكمة الأرباح وليس توفير العيش الكريم للناس وتغييب القيم الإنسانية بالتالي وعلى حساب الفقراء وقوتهم , أن تجارة الأسهم والبورصات ما هي إلا مقامرة لا يستفيد منها إلا أصحاب رؤوس الأموال القوية. والأذكياء الذين يملكون القدرة على رفع الأسعار وخفضها من خلال ألاعيبهم في البيع والشراء حيث أصبحت الأسواق المالية أوكاراً للخداع والتضليل وهي المكان الذي يلتقي فيه الذكاء والجشع والطمع مع الغباء .[1]

2- موجه أللاستقرار التي تدفع بها بعض القوى الكبرى لأن الاستقرار لا يخدم مصالحها , وفي كل الحالتين القوى الفاعلة الاستقرار يعني حالة الفرض والإذعان من الآخرين إليها وهي تفرضها قسراً وحالة أللاستقرار هي تدفع بها حينما تشعر إن مصالحها باتت مهددة .[2]

3- هيمنة علاقات جديدة بين الكبار كنوع من أنواع الدبلوماسية ومنها خمسة أنواع هي:

أ- الحوار مع الأعداء ليس بصيغة الاسترضاء بل نوع من أنواع الدبلوماسية.

ب-الديمقراطية ليست شرطاً مسبقاً لتحقيق السلام المستمر ,فالدولة الأوتوقراطية قادرة علي بناء شراكات دائمة مع بعضها البعض.

---

(1) عبد الستار قاسم ,التحرر من إقتصادات القمار والخداع'ط1, 2010, عرض:محمد عصيدة, مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية,دمشق,أيلول 2011, ص1.

(2) د.سوسن العساف,إستراتيجية الردع,بيروت,الشبكة العربية للأبحاث والنشر,ط1, 2008, ص361-367.

ج-إن تحقيق السلام المستقر يعد مسألة سياسية بامتياز وليست اقتصادية على خلاف ما هو شائع بين الأكاديميين وصناع القرار.

د-الترتيبات و البني الاجتماعية المتشابهة بين الدول شأنها أن تسهل عملية بناء سلام مستقر بين الدول.

من شأن القواسم الثقافية المشتركة بين الدول أن تعزز من إمكانية تحقيق السلام, ولا يعني ذلك حتمية الصراع بين الدول والحضارات ذات الثقافات المختلفة [1].

ه-تزايد الاحتدام في الصراع بين القوى الاقتصادية الكبرى ,إذ يشهد العالم تراجع التفرد الأمريكي علي المستوى الدولي بعد الأزمة العالمية عام 2008 ,ويقر بنهاية العولمة والاعتماد المتبادل,فانهيار الازدهار والاستقرار الدولي اللذين ميزا عصر العولمة قد انتهى ,كما يقر بصعود الصين وانتقال مركز القوة الاقتصادية من الولايات المتحدة إلى القارة الآسيوية [2].

فضلاً عن ذلك فإن العالم سيواجه مزيداً من المشاكل والتحديات فيما يتعلق بالاقتصاد والمال والغذاء والأمن ولاسيما منذ عام 2012 وما بعدها [3].

4- التحديات الجديدة لمستقبل النظام الرأسمالي إذ سيواجه النظام الرأسمالي تحديات جديدة ثلاثة هي:

---

(1)Charles A. kupchan,The Sources of Stable Peace: How Enemies Become Friends? Princeton University Press,2010.

(2)Gideon Rachman ,Zero-Sum Future:American Power in an Age of Anxiety ,Simon&Schuster,New York,2011.

(3)John Major Jenkins,The 2012 Story:The Myths,Fallacies,And Truth Behind The most Intriguing Date in History,New York,Penguin Books,2009

أ-التغيرات الديموغرافية في الزيادة السكانية في بلدان العالم الفقيرة ,والثاني ارتفاع معدل الأعمار , وهذا سيؤثر في مسيرة الرأسمالية.

ب-**القيود البيئية:** فالبيئة مواردها محدودة وتتناقص مع الزمن وهو ما سيؤثر بالرأسمالية ومستقبلها في المدى المتوسط .

ج-**الاستقرار المالي:** إذ أصدرت المؤسسات المالية أصولا مالية زائفة أثناء الأزمات أي أصول بلا حساب مما يؤكد إن الرأسمالية تمر بمرحلة إفلاس حقيقية[1].

5- التغيرات الفجائية الناجمة عن الحروب والأزمات والكوارث الطبيعية وإسقاطاتها علي قوة وهيكلية النظام الدولي والتغيرات في النظام الدولي, والتغييرات هي نوعان في النظام الدولي الأولى فجائية ,وترتبط بثلاث حركات كبرى هي الحرب والثورة والأحداث الكبرى والأخرى تدريجية[2].

6- تأثير العولمة التي ساقتها الولايات المتحدة واستفادت منها وانقلبت عليها في الأزمة المالية العالمية عام 2008 إذ حدث انفجار في إجمالي ديون الرهن العقاري السكني لتقفز من 5 تريليونات دولار عام 2007 وساهمت بانتقال الأزمة المالية من الولايات المتحدة إلى العالم [3].

---

(1) حازم الببلاوي,النظام الرأسمالي ومستقبله ,القاهرة,دار الشروق,ط1, 2011, ص54.

(2) Bahgat Korany,The Changing Middle East:A New Look at Regional Dynamics,AUC Press,Cairo,2010.

(3) Joseph P.Quinlan,Super Power : The Retreat of Globalization and The End of American Dominance and what we can do about it,Mc Graw-297Hill,New York, 2011.

7- فقدان السيطرة علي محاور من العالم اقتصاديا وهي أوربا وروسيا واليابان أو الصين, وإن قوة الولايات المتحدة قبل عام 2050م ستشهد تراجعاً كبيراً لعوامل أهمها :

أ- تحول روسيا إلي ديمقراطية تجذب أوربا واليابان نحوها بدلاً من الولايات المتحدة وكذلك الصين .

ب- ضعف وتدحرج قوتها الاقتصادية ,

ج- تراجع مركز الولايات المتحدة الثقافي للجذب العالمي .

د- تراجعها سياسياً بفعل زيادة الكراهية لها.

ه- دوام الحال من المحال ,وإن أسوء الإمبراطوريات في التاريخ البشري تلك التي تجمع بين قوة العضلات وضعف العقل وهو ما ينطبق علي الولايات المتحدة حالياً.

ويشير بينيتو بيريث غالروس في كتابه-ما بعد الإمبراطورية - "تضمحل الإمبراطوريات وتنحط الأجناس ويضعف الأقوياء والجمال يتلاشى بين التجعد والشيب,,الحياة لا تتعطل وظيفتها الأزلية" وكتاب عديدون ألفواً كتباً تنبؤا بها بانهيار الإمبراطورية الأمريكية .من بين أبرزهم :

- بول كندي "نهوض وسقوط القوى العظمى ".

- المحللان الاقتصاديان هاري فيجي وجيرالد سوانسون "سقوط أمريكا قادم من يوقفه؟".

- رونالد هوايت "صعود وهبوط أمريكا كقوة عظمى".

- زبغينيو بريجنسكي "خارج نطاق السيطرة أو الانفلات".

- روجيه جارودي "أمريكا طليعة الانحطاط".

- إيمانويل تود "ما بعد الإمبراطورية "[1] .

8- تحول الهيمنة الأمريكية من القسرية إلي هيمنة رضائية وذلك بالاعتماد على إستراتيجية الولايات المتحدة الآن للتغيير من أجل توسيع النطاق الجيوإستراتيجي للهيمنة الأمريكية على العالم.

- فقدان الولايات المتحدة دورها كدولة عظمى تفسرها نظرية الاستقرار المهيمن,إذ بموجب النظرية إن رجحان الموارد المادية تضع الولايات المتحدة كقوة عظمى ,وهي المواد الخام

ثانياً: موج التغيير بتغير القوى الفاعلة في العالم

وجدت الولايات المتحدة إن من الصعوبة بمكان تحديد مصلحتها القومية,في غياب القوة السوفيتية,وحقيقة كوننا لا نعرف كيف نفكر بخصوص ما يعقب المواجهة الأمريكية-السوفيتية,أمر واضح من الإشارات المستمرة أي فترة ما بعد الحرب الباردة.ومع ذلك فإن مراحل انتقالية كهذه هي مراحل مهمة لأنها توفر فرصاً إستراتيجية, ففي هذه المراحل غير المستقرة يستطيع الفرد أن يؤثر في شكل العالم القادم.

قضايا القوة, أي ممارسة القوة من قبل الولايات المتحدة وقدرة الآخرين على ممارستها,مازال الكثير في الولايات المتحدة كما كانوا دوماً غير مرتاحين لمفاهيم سياسة القوة والقوى العظمى وتوازن القوى,وبصيغة متطرفة فأن عدم

---

(1) بشير عبد الفتاح, تجديد الهيمنة الأمريكية بين القوة الخشنة والقوة الناعمة, القاهرة, دار الأهرام,ط1, 2011, ص104.

الارتياح هذا يؤدي إلى المناشدة بالعودة إلى نظريات القانون الدولي والقواعد الدولية والاعتقاد بأن تأييد دول كثيرة أو بالأحرى تأييد مؤسسات مثل الأمم المتحدة هو أمر ضروري لإضفاء الشرعية على ممارسة القوة.وقد حل محل المصلحة القومية مفهوم المصالح الأساسية أو مصالح المجتمع الدولي,والاعتقاد السائد بأن الولايات المتحدة لا تمارس القوة بصورة مشروعة,إلا عندما تفعل ذلك لمصلحة شخص ما أو قضية ما.[1]

أضحى العالم يتغير بوتيرة سريعة نحو احتدام الصراع بين القوى الاقتصادية الكبرى"، هذه هي المقولة المركزية التي يطرحها "جيدون راتشمان" - المحلل الاقتصادي ومحرر قسم العلاقات الدولية بصحيفة فايننشال تايمز- في كتابه "المستقبل الصفري .. القوة الأمريكية في عصر القلق"، محذرا من مستقبل صراعي نتيجة لتداعيات الأزمة المالية العالمية منذ عام 2008، وسيادة منطق المباراة الصفرية علي تفكير وسياسات الدول الكبرى، لاسيما الصين والولايات المتحدة، بما جعل التعاون في مواجهة القضايا الدولية العابرة للحدود، مثل الاحتباس الحراري والإرهاب، غير مطروح رغم أهميته.[2]

والنظام الدولي الآن أكثر النظم السياسية اقتصارا إلى الاستقرار,لأنه يتألف من عدد لانهائي من الوحدات التي تتحرك جميعها باستمرار, بحيث تحول مركز الدولة القومية كوحدة أساسية إلى الضمور,وبرزت فواعل أخرى كالمنظمات الحكومية وشركات عابرة القومية وحتى الأفراد أنفسهم.

---

(1) كونداليزا رايس, تعزيز المصلحة القومية,مجلة الشؤون الخارجية,كانون الثاني -شباط,2000 .

(2) روجيه جار ودي,كيف صنعنا القرن العشرين؟,ترجمة ليلى حافظ,القاهرة,دار الشروق,ط2, 2001, ص23.

لقد بات العالم يعاني اختلالاً كبيراً,وفي عدة ميادين معاً,اختلالا فكرياً, اختلالاً مالياً,اختلالًا مناخياً,اختلالاً جيوسياسياً, اختلالاً أخلاقيا.

اليوم فسحت الانطلاق التكنولوجية الخارقة لقيام هيمنة اشد وثوقا على الساحة العالمية,ركزت الحكم في عدد قليل من العواصم,وحتى في عاصمة واحدة بصورة رئيسية.[1]

يرى "راتشمان" أن الأزمة المالية العالمية لم تكن مجرد تراجع مؤقت في مسار الاقتصاد العالمي، وإنما نقطة تحول جوهرية في تطور النظام الدولي لتمثل عودة لمنطق النظرية الواقعية حول حتمية الصراع الدولي، وأولوية المصلحة القومية علي المكاسب المتبادلة. ويطلق الكاتب على مرحلة ما بعد الأزمة المالية العالمية "عصر القلق"، كناية عن غموض مآل التفاعلات الدولية، وانهيار موجة التفاؤل الدولي التي سادت مرحلة التسعينيات.

ويعرف الكاتب "عصر القلق" بأنه مرحلة انهيار الازدهار والاستقرار الدولي الذي يميز عصر العولمة ومرحلة عودة الأيديولوجيات القديمة، ونهاية تفرد الرأسمالية.

ويدرج في إطاره عدة تحولات، أهمها:

1-تراجع القوة الاقتصادية الأمريكية والأحادية القطبية كأحد تداعيات الأزمة المالية العالمية.

2- انتقال مركز القوة الاقتصادية من الولايات المتحدة إلى القارة الآسيوية، لاسيما مع الصعود الصيني.

(1) أمين معلوف,اختلال العالم, ترجمة:ميشال كرم,بيروت,دار الفارابي,ط1, 2009,ص12 وص105.

3- موجات التراجع الديمقراطي وعودة السلطوية والأيديولوجيات القومية، خاصة في آسيا وأمريكا اللاتينية.

4- تصاعد التحديات الاقتصادية التي يواجهها الاتحاد الأوروبي واحتمالات انهيار تجربة التكامل الأوروبي، نتيجة عجز المنظمة عن احتوائها.

5-احتدام التحديات الدولية العابرة للحدود البيئية والأمنية والاقتصادية، وعجز المجتمع الدولي عن مواجهتها، نتيجة التنافس علي الموارد النادرة.

يشير الكاتب إلى أن هذه التحولات تعد بداية التغير في بنية النظام الدولي، وأن الولايات المتحدة لا يمكنها إجهاض تلك التحولات بإستراتيجية إستباقية للحيلولة دون فقدان مكانتها الدولية. بمعني آخر، فإن الاستجابة لمقتضيات الصراع الدولي ومنطق المباراة الصفرية لن تؤدي سوي للتبكير بفقدان الولايات المتحدة لمكانتها الدولية، وصعود القوي الجديدة، مع استمرار عدم الاستقرار والصراع علي المستوي الدولي.

تكمن الإستراتيجية الأفضل، من منظور الكاتب، في "الهدوء والاستمرار" علي حد تعبيره بمعني عدم الانجراف إلى الصراع مع القوي الصاعدة، والاستمرار في دعم التعاون الدولي، والاعتماد المتبادل لمواجهة التحديات الدولية.

هنالك اتجاهين حول مستقبل الدور الأمريكي في النظام الدولي,الأول يؤكد حتمية تدهور وأفول الدور وتدهور الهيمنة الأمريكية على العالم وتراجعها.[1]وهذا ما يؤكده ستيفن والت في تحليلاته حول ذلك.[*]

(1) Stephen M.Walt,The End of the American Era, The National Interest, October 2011.

(*) هو أستاذ العلاقات الدولية في مدرسة جون أف .كينيدي الحكومية بجامعة هارفارد,ويمثل الاتجاه الواقعي في السياسة الخارجية الأمريكية.

وبهذا الصدد يقول زبيغنيو بريجنسكي مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق والأستاذ في جامعة كولومبيا حالياً,يقول:"إنه سيكون من العمى التاريخي تجاهل علامات التحذير التي تقدمها الخبرة التاريخية لانهيار القوى العظمى بالنسبة لواقع الولايات المتحدة الراهن".(1)

فثمة بالفعل عدد غير قليل من أوجه الشبه الباعثة على الذعر بين الإتحاد السوفيتي قبيل سقوطه وأمريكا في السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين.

فضلاً عن الانتقال الدراماتيكي لمركز ثقل العالم من الغرب إلى الشرق,وللبروز المتسرع على السطح لظاهرة الصحوة السياسية العالمية القلقة,ولأداء أمريكا غير الكفء على الصعيدين الداخلي والخارجي منذ انبثاقها في 1990 بوصفها القوة العظمى الوحيدة في العالم.(2)

إذ يشهد النظام الدولي تحولات هيكلية باتجاه حالة فراغ,لا يمكن فيه لأي دولة كبرى أو تحالف دولي من مواجهة التبعات والتحديات اللازمة لقيادة العالم.فمهما كانت قدرة الدول لا يمكنها مواجهة تحديات دولية عابرة للحدود,مثل الانتشار النووي والأوبئة,والاحتباس الحراري,والأزمة المالية العالمية,وندرة الموارد,والتدخل الدولي لإنقاذ المدنيين في النزاعات,...الخ.(3)

---

(1)د.السيد أمين شلبي,الدرس السوفيتي/احتمالات الانهيار الإمبراطوري للولايات المتحدة,القاهرة ,ملحق مجلة السياسة الدولية-تحولات إستراتيجية على خريطة السياسة الدولية,العدد 189,تموز2012, ص18.

(2) زبيغنيو بريجنسكي,رؤية إستراتيجية:أمريكا وأزمة السلطة العالمية,ترجمة:فاضل جكتر,بيروت,دار الكتاب العربي,ط1, تموز 2012, ص12-13.

(3) Ian Bremmer,Every Nation for Itself:Winners and Losers in a G-Zero World,New York:Penguin Group/Port Folio,2012.

ومن جهة أخرى يقول ناي:"الكل بات يكره أمريكا,وقد عبر عن ذلك طبيب ديني باكستاني أسمه أنوار الحق بذلك حين قال:إنكم عميان عن رؤية أي شخص آخر في ما وراء حدودكم..فأمريكا هي أكبر متنمر مستكبر في العالم,فهل هناك من عجب في أن كثيرين يسرهم أن يدمى أنف هذا المتنمر أخيراً.[1]

فلاشئ يدوم إلى الأبد في السياسة العالمية برأي ناي,لأن فترات القوة التي لا نظير لها يمكن أن تنتج استقرارا,أما إذا شعرت البلدان الصاعدة بالغيظ من السياسات التي تفرضها الدولة الأكبر,فإنها قد تتحدى الدولة القائدة وتشكل تحالفات للتغلب على قوتها.[2]

الإمبراطوريات في ذرى توسعها:

1- الإمبراطورية البريطانية1920م 000, 000, 34كم2

2- الإمبراطورية المغولية 1309م 000, 000, 24كم2

3- الإمبراطورية الروسية 1905م 23,000,000كم2

4- الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية الثانية 1920م15,000,00كم2

5- سلالة المانشو-كنغ في الصين 1800م 15,000,000كم2

6- الإمبراطورية الأسبانية 1800م 14,000,000كم2

7- الخلافة الأموية 720م 11,000,000كم2

8- سلالة يوان في الصين 1320م 11,000,000كم2

9-الخلافة العباسية 750م 11,000,000كم2

---

(1) جوزيف س.ناي الابن,مفارقة القوة الأمريكية,ترجمة:د.محمد توفيق البجيرمي, السعودية, مكتبة العبيكان, ط1, 2003, ص30.

(2) المصدر نفسه,ص29 وص2.

10-الإمبراطورية البرتغالية 1815م 10,400,000كم2

11-الإمبراطورية الأخمينية,فارس 480 ق.م 8,000,000كم2

12-الإمبراطورية الرومانية 117م 6,500,000كم2 (1)

والاتجاه الثاني,يرى العكس بأن المركز الفريد للولايات المتحدة لا يضاهيه أي مركز في العالم من حيث الثقل الجيواستراتيجي الذي تتمتع به, وبالتالي سوف تستمر في قيادة العالم لأمد غير منظور.[2]وهذا الاتجاه أو التصور مثله روبرت كاجان.(*)

إذ يرفض كاجان الإقرار بتراجع دور الولايات المتحدة في قيادة النظام العالمي,ويرى إن الحديث عن مثل هذا التراجع ليس حتمياً,وإنما هو اختيار له مخاطره على المستوى الدولي.فحب قوله من الناحية الاقتصادية لا يزال الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة يشكل نحو25% من إجمالي الناتج المحلي العالمي,أي نفس الرقم الذي كان عليه على العقود الثلاثة الماضية,كما لا تزال الولايات المتحدة تتمتع بالتفوق التكنولوجي والعسكري,ولكن تبقى الصين هي الأقرب إلى المنافسة,لكنها تعاني ضعفاً إستراتيجياً كونها محاطة بحلفاء الولايات المتحدة.(3)

---

(1) زبيغنيو بريجنسكي,رؤية إستراتيجية:أمريكا وأزمة السلطة العالمية,مصدر سبق ذكره,ص18.

(2) Robert Kagan,Not Fade A Way: Against the Myth of American Decline, The New Republic,Brookings,17 Jan 2012.

(*) هو مؤرخ أمريكي من أصول يونانية ينتمي إلى التيار الأمريكي شارك في مشروع القرن الأمريكي الجديد,ومقرب من تيار المحافظين الجدد.

(3)Robert Kagan,The World American Made, New York:Vintage,2013,p.160.

وقد عبر وزير الخارجية الفرنسي هوبير فيدرين عن ذلك عـام1999 بقولـه أن الولايات المتحدة قد تخطت مرحلة القوة العظمى في القرن العـشرين إلى أكـبر مـن ذلـك "فالهيمنـة الأمريكيـة امتـدت إلى كافـة النـواحي الاقتـصادية والماليـة والعسكرية العالية لتطال طرق الحياة واللغة والنتـاج الفكـري والثقـافي للآخـرين، لتعيد تشكيل الأفكار وتسحر حتى أعدائها "ليصف الو.م.أ بمصطلح القوة الخارقـة أو المفرطة ويؤكد جوزيف ناي أن النظام الـدولي اليـوم لم يعـد يقـوم عـلى تـوازن القوى كـما كـان عليـه الأمـر سـابقا وإنمـا أصبح نظـام القطـب الواحـد والهيمنـة الأمريكية.

وللدلالة على ذلك, هو إن ما تريـده أميركـا تفعلـه,وإذا أرادت شيء تفعلـه كما يحلو لها وتهندس ما تهنـدس مـن العـالم,فهـي كانـت أشـد نقمـة عـلى ألمانيـا وفرنسا وروسيا المعارضين للحرب على العراق في 2003.

وقد عبرت عن ذلك كونداليزا رايـس مستـشارة الأمـن القـومي آنـذاك,عـن غضبها عليهم وكذلك وزيـر الـدفاع دونالـد رامـسفيلد,وطالـب تومـاس فريـدمان بطرد فرنسا من مجلس الأمن وقال في مقال له,:"لـو لم تتـدخل أمريكـا واضـطرت أوربا للاعتماد عـلى فرنـسا لكـان معظـم الأوربيـين اليـوم يتكلمـون أم الألمانيـة أو الروسية".[1]

حين طالب أوبامـا في 27 تـشرين الثـاني 2010 أخـذ رأي كـولن بـاول وزير الخارجيـة الأمـريكي في عهـد إدارة الـرئيس بـوش الابـن الأولى(2002-2004)وكان يشغل منصب رئيس هيئة الأركان المشتركة في زمن أبيه جـورج بوش (1989-1992)عن الأوضاع في أفغانـستان وهـل تتطلـب زيـادة عـدد

(1) ديفيـد كـين, حـرب بـلا نهايـة:وظـائف خفيـة للحـرب عـلى الإرهـاب,ترجمـة:معـين الأمـام, السعودية,مكتبة العبيكان,ط1, 2008, ص290.

القوات الأمريكية هناك ,قال له باول: "لست مضطراً لتحمل كل هـذا أنـت القائـد الأعلى, هؤلاء الضباط يعملون تحت أمرتك,وإذا كانوا مجتمعين على رأي جنرالات آخرون غيرهم,أما القائد الأعلى فواحد".[1]

أما تشارلز كروثامر فقد رأى أن" : انهيار الاتحاد السوفيتي ولد شيء جديـد تماما عالم أحادي القطب تسوده قـوة عظمـى غـير مهـددة مـن قبـل أي منـافس، وذات نفوذ حاسم في أي بقعة من الأرض، إنه انعطاف حاسم في التاريخ، لم يـشهد له مثيل منذ انهيار روما، إنه تحول جديـد، غريـب تمامـا إلى حـد أننـا لم نملـك أي فكرة عن كيفية التعامل معه.

والرئيس أوباما في خطاب له عن حالة الاتحاد الأمريكي في 24 كـانون الثـاني 2012 قال بصدد قوة أمريكا: "إن من يحدثك عن أن القوة الأمريكية في انهيـار, لا يعرف بالضبط عما يتحدث عنه".

إلا أن الرؤية القائمة عـلى بقـاء الهيمنـة الأمريكيـة والحفـاظ عـلى الوضـع الجيوبوليتيكي المتشكل بعد الحرب الباردة لم تخلو من عراقيل تقف في مواجهتهـا، أبرز هذه العراقيل هي المخاطر والتهديدات الأمنيـة الجديـدة التـي ترافقـت مـع وضع أمريكا الجديد في العالم، والتي خلقت إرباكا على مستوى الأهداف المرسومة، وهو الأمر الذي يؤكده ريتشارد هـيلمس –مـدير CIAمـا بـين1965-1973 حـين قال :"في العمق الشيء الجيد في الحرب الباردة أنه كان لنا أعـداء معـروفين، في الحاضر الواقـع أصـبح صـعب الإدراك وأهـدافنا جـد مجـردة"، هـذا مـا يقـر بـه مـدير CIA الأسـبق جـيمس وولـسي عنـدما قـال" :نعـم إننـا

(1) بوب وودورد، حروب أوباما: الصراع بين الإدارة المدنيـة ووزارة الـدفاع الأمريكيـة , ترجمـة: هـاني تابري , بيروت , دار الكتاب العربي , ط1, 2011, ص 391.

ذبحنا الديناصور الكبير، ولكننا نعيش اليوم في غاية تمتلئ بتشكيلة محيرة من الأفاعي السامة.

ذلك لأن الأمن القومي الأمريكي ينطوي على امتدادات عالمية، بسبب الانتشار الواسع للمصالح الأمريكية في العالم، ما جعل عملية تحديد المخاطر التي تمس الأمن القومي والمصالح الأمريكية أمرا معقدا، ومع ذلك، -وبشكل تبسيطي- يمكن ترتيب المخاطر والتهديدات التي يتعرض لها الأمن القومي الأمريكي إلى ثلاثة مستويات مرتبة ترتيبا تنازليا من أكثرها خطورة إلى أقلها خطرا.

المستوى الأول: ويشمل التهديدات التي تعترض وجود الولايات المتحدة كالقوى المرشحة كبدائل لها: كالصين، وروسيا الاتحادية.

المستوى الثاني: ويشمل المخاطر التي تهدد المصالح الأمريكية وميدانها ألعملياتي هو آسيا، الصين، روسيا الاتحادية، منطقة آسيا الوسطى والقوقاز، شبه الجزيرة الكورية، والشرق الأوسط.

المستوى الثالث: ويشمل مناطق لا تهدد الوجود والمصالح الأمريكية تهديدا مباشرا إلا أن وجودها يعتبر مقلقا من الناحية الأمنية: كالبلقان، الصومال.

كما أن ضمان عدم انسحاب أمريكا من العالم، وإبقاء زعامتها عليه، بحاجة إلى ذريعة وظيفية أو محفز استراتيجي كافي لإقناع العالم بذلك، وهذا ما عبر عنه هنتنغتون حينما تساءل" :إن السؤال الأكثر عمقا الذي يهم الدور الأمريكي في عالم ما بعد الحرب الباردة يتلخص فيما يلي" من دون الحرب الباردة ما هي الغاية من أن تكون أمريكيا".

فبنهايــة الحــرب البــاردة فقــدت القيــادة الــسياسية الأمريكيــة المحفــز الاســتراتيجي الــذي كــان يمثلــه الاتحــاد الــسوفيتي وتهديــده المحتمــل، لــذلك قــال الدبلوماسي السوفيتي السابق غوركي أربا تـوف للأمـريكيين لحظـة انتهـاء الحـرب الباردة" :نحن على وشك أن نعمل بكم أمرا فظيعـا، نحـن سـنقوم بحرمـانكم مـن عدو"،[1] وأهمية هـذا المحفـز في دولـة ديمقراطيـة أنـه أمـر حيـوي لإبقـاء الإرادة الداخلية متماسكة ومتمسكة بالحفاظ على سياسة التسلح والمحافظة عـلى مواقـع القوة، والقبول بسياسة مـلء الفـراغ في المنـاطق الحيويـة، ومـا يتـصل بـذلك مـن سياسات الاحتواء، والمواجهة والحرب بالوكالة وغيرها... وقد عبر عن هـذه الأزمـة أكثر من مسئول، مثل الجنرال كولن باول عندما قال :فكروا بجدية عن الأمـر، فإنـه لم يبق لدي وحوشا، لم يبق لدي مجرمين "ورئيس لجنة مجلس الـشيوخ للعلاقـات الخارجية السابق إذ قال :منذ أن أنهى سقوط الاتحـاد الـسوفيتي الحـرب البـاردة والولايـات المتحـدة تبحـث عـن سياسـة خارجيـة شـمولية تـستبدل بهـا مواجهـة الشيوعية لتلك الفترة، وقد نكون وجدناها في مواجهة الإرهاب، ولكن لم نجد بعد خليفة لسياسة الاحتواء التي طبقـت عـلى الاتحـاد الـسوفيتي في مرحلـة الحـرب الباردة "هذه السياسة وصفها أحد الكتاب بقوله":إعادة صنع الحرب الباردة [2]."

أغلب الدراسات والبحوث التاريخيـة التـي اطلعـت عليهـا طيلـة أكـثر مـن خمسة عشر عام الأخيرة تؤكد بما لا يقبل الشكل على الحتمية التاريخية التي مرت بها كل الإمبراطوريات والحضارات.

---

(1) نقلاً عن كتابنا الجزء الأول ,التغيير في النظام الدولي,مصدر سبق الإشارة إليه.
(2) نقلاً عن:ستيف فرايزر, الطبقة الحاكمة في أمريكا, ط1, 2006,ص47.

أيضاً دون استثناء فهي مراحل صعود وهبوط وانهيار قـد يكـون واضـحاَ أو قد يكون مفـاجئ وهـو مـا توقعـه جـير دايمونـد Jared Diamond للإمبراطوريـة الأمريكية حيث يؤكد إن انهيارها سيكون توقيت مفاجيء وصامت وسريع ومؤكـد وتطـرق في كتابـه: "الانهيـار: كيـف تختـار المجتمعـات النجـاح أو الفـشل"، عـدّة "حضارات تتقاسم ميلاً حاداً للانحدار،في الحقيقة، قـد يبـدأ زوال مجتمـع مـا بعـد عقد أو عقدين من بلوغ ذروته في القوّة والـثروة وعـدد الـسكّان"، نيـل فيرغـسون Neil Fergusonمن جامعة هارفارد،وهو أحد أهمّ المؤرّخين الماليين في العالم، يردّد تحذير جير دايموند: "ربما يأتي الانهيار الإمبراطوري على نحو مفاجئ جداً أكـثر مـما يتخيلـه العديـد مـن المـؤرخين فـاجتماع عجـوز الميزانيـات الماليـة والاسـتنزاف العسكري يفترض أنّ الولايات المتحدة قد تكون الإمبراطورية التالية في بلوغها شفير الهاوية".

الـدكتور سـتيفن والـت Dr.Stephen Walt - أسـتاذ العلاقـات الدوليـة بجامعة هارفارد- طرح هذا السؤال في مقاله "انتهاء العصر الأمريكي The End of the American Era." بمجلة The National Interest في عدد نـوفمبر /ديـسمبر 2011م، وسعى للإجابة عليه مـن خـلال دراسـة التحـديات التـي تواجـه الهيمنـة الأمريكية في العالم، أهمية هذا المقال تأتي من انه تـم اختيارهـا مـن ضـمن أفـضل عـشرة مقـالات لـشهر نـوفمبر، وفـق الاسـتطلاع الـذي أجرتـه "مجلـة المـستعرض The Browser" الإلكترونية البريطانية، يبدأ ستيفن والت في مقاله بالتطرق إلى الهيمنة الأمريكيـة عـلى العـالم والتـي قـد بـدأت عقـب انتهـاء الحـرب العالمية الثانية في العـام 1945م - وذلـك عقـب ثلاثـة قـرون مـن الـسيطرة الأوروبية علي الأوضاع الدولية، تخلـلـها حربان عالميتان أنهكتا قـوى القـارة العجوز، وهناك عوامل أخرى لابد من أن نطلـع عليهـا ففـي عـام 1945 م

عززت من تلك الهيمنة الأمريكية، منها: إنتاج الاقتصاد الأمريكي لنحو نصف الناتج العالمي - أصبحت الولايات المتحدة قوة دائنة رئيسية - وامتلاك الولايات المتحدة لأكبر قوة بحرية وجوية، وعدد كبير من القواعد العسكرية المنتشرة في العديد من الدول، وأنها القوة النووية الوحيدة في العالم، بالإضافة إلى ذلك، وضعها الجيو-سياسي على المستوى العالمي، حيث إن اقتصاد المنافس اللدود - الاتحاد السوفيتي السابق - لا يتمتع بنفس الكفاءة، ولا قوة جيشه تقارب قوة الجيش الأمريكي، ولقد عمل الزعماء الأمريكيون منذ ذلك الحين على الحفاظ على تلك المكانة التي جلبت لهم العديد من المكاسب، من أهمها : خلق وقيادة نظام اقتصادي و سياسي وأمنى في مختلف بقاع العالم "باستثناء المنطقة التي تتمتع بالنفوذ الروسي "، ودور أساسي في إنشاء وإدارة العديد من المنظمات الدولية كالأمم المتحدة والبنك الدولي، وتقديم "خطة مارشالThe Marshall Plan " التي ساعدت على إنعاش الاقتصاد الأوروبي، والعمل على تعزيز ثقافة حقوق الإنسان. ولكن دوما كان هناك هاجس لدى الأمريكيين من انحسار تلك الهيمنة،وقد بدأ ذلك الهاجس في الظهور بداية من عام 1950م، فقد أوضح تقرير صادر عن "مجلس الأمن القومي الأمريكي National Security Council "أن امتلاك الاتحاد السوفيتي لأسلحة نووية من شأنه إحداث تغير جوهري في الخريطة الجيوسياسية العالمية لمصلحة السوفيت، وأن تصريحات الرئيس السوفيتي نيكيتا خروشوف "بدفن الرأسمالية الغربية" يمكن أن تتحقق، أضف إلى ذلك، رؤية كل من الرئيسين الأمريكيين، جون كنيدي وريتشارد نيكسون - فالأول كان يعتقد أن الاتحاد السوفيتي السابق يمكن أن يصبح أغنى من الولايات المتحدة، والثاني رأى أن أمريكا بدأت في أن تصبح "عملاقا بلا أنياب". وقد تجسد ذلك الهاجس بعد ذلك بعقد من الزمان،

بعد الهزيمة في الهند الصينية، وحدوث مشاكل اقتصادية خطيرة أدت إلى اختيار رونالد ريغان رئيسا في عام 1980م، وصدور العديد من الكتب، من أهمها كتاب بول كنيدي Paul Kennedy - وهو أستاذ التاريخ وبالخصوص تاريخ العلاقات الدولية في جامعة يال Yale University - تحت عنوان "صعود و هبوط القوى الكبرى The Rise and Fall of the Great Powers "، حيث أشار إلى أن الولايات المتحدة من الممكن أن تلقى نفس مصير المملكة المتحدة التي أنفقت أموالا طائلة على مصالح بعيدة وحروب لا فائدة منها، ذلك أنها تسير على المسار نفسه،أما جوزيف صاموئيل ناي Joseph Samuel Nye، فقد كانت له وجهة نظر مختلفة، حيث أكد في كتابه المهم "الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية The Changing Nature of American Power" نقاط القوة التي تتمتع بها الولايات المتحدة، وأنها ستكون القوة الكبرى الرائدة على مستوى العالم لسنوات عديدة قادمة. وهناك عدد آخر من الكتاب كانت لهم وجهة نظر ثالثة، عندما تحدثوا في مؤلفاتهم عن الفترة الزمنية للهيمنة الأمريكية على العالم. إن انحسار الهيمنة الأمريكية قد بدأ مبكرا، نظرا لوقوع عدد من الزعماء الأمريكيين في أخطاء قاتلة. من أهم تلك الأخطاء: الوقوع في مستنقعي العراق وأفغانستان، والذي ساعد على تقويض الهيمنة الأمريكية،وكذلك التدخل الأمريكي في آسيا الوسطى قد أضعف العلاقات مع حليفتها باكستان، وزاد من العداء للولايات المتحدة، عدم توقع واشنطن لثورات الربيع العربي، ورد فعلها تجاهها يشير إلى تضاؤل الدور الأمريكي في رسم الأحداث كما يشاء -حسب ادعاء جوزيف ناي-. فمثلا، بعد عدد من المحاولات الفاشلة لدعم مبارك، قامت الإدارة الأمريكية بتغيير موقفها، وقامت بدعم القوى المؤيدة للتغيير. بل ألقى الرئيس أوباما خطابا للتأييد، ولكن أحدا لم يلتفت إليه. فشل الولايات

المتحدة المتكرر في إيجاد حل عادل للصراع العربي- الإسرائيلي، أو أن تكـون وسـيطا كفء لحل الأزمة، وذلك على الرغم من مرور نحو عشرين عاما على توقيع اتفاقية أوسلو في سبتمبر 1993م. وبـالرغم مـن الأمـل الـذي تجـدد بعـد إعـلان أوبامـا في القاهرة عن ضرورة قيام دولتين، فإنه سرعان ما تبـدد، نتيجـة للـضغط الإسرائـيلي. وبالتالي، فقد ظهر جليا فشل خطابات الرئيس الأمريكي في تجميل صورة بلاده، بـل وازدياد العداء لواشنطن في منطقة الشرق الأوسط. فشل سياسة الاحتـواء المـزدوج التي تبنتها الولايات المتحدة في التعامل مع كل من العراق وإيران، هـذه الـسياسة التي تـم تبنيهـا لطمأنـة إسرائيـل أجـبرت واشـنطن عـلى الإبقـاء عـلى الآلاف مـن جنودها في الأراضي السعودية، وقد تمادت واشنطن في ذلك الخطأ عقـب أحـداث 11 سبتمبر بتبنيها إستراتيجية "التحولات الإقليمية" الأكثر غباء، وفق تعبير الكاتـب الأمريكي. يرى ستيفن والت أن الأمـر لا يتعلـق بـسقوط الهيمنـة الأمريكيـة وإنمـا بمدى قدرة الولايات المتحدة على أن يبقى لها ذات التأثير على العالم،لذا، فمـن رأى الكاتب أن على واشنطن إعـداد إسـتراتيجية تعـترف بتلـك الحقيقـة الجديـدة مـن جانب، وتحافظ على الثوابت الأمريكية من جانب آخر، وذلك بغية حماية المصالح القومية الأمريكية هناك عدد من التحديات التي يجب أن تتعامل معها واشـنطن، من بينها: وظهور عدد من القوى الإقليمية خلال العقدين الـسابقين، وتعـد الـصين أبرز تلك القوى، فقد حققت نموا اقتصاديا مرتفعا أذهل العالم. فعلي الرغم من أن اقتصاد الولايات المتحدة يعد الأقوى على المستوى العـالمي منـذ عـام 900 م، فإنـه من المتوقع أن تحتل الصين تلك المكانة بحلـول عـام 2025م كـذلك، فـإن الميزانيـة العسكرية للصين تزداد بنـسبة 10% سـنويا، ومـن المتوقـع زيـادة تلـك النـسبة في المـستقبل. و بالتـالي، يجـب أن تقـيم الولايـات المتحـدة علاقـات إسـتراتيجية مـع

الدول الآسيوية بشكل عام، نظرا لتطورها الاقتصادي السريع، ومع الصين بشكل خاص، نظرا لأنها المنافس الوحيد لواشنطن.

نحن لا نقول إن أمريكا في عام 2020 ستنهار وأنها ستكون من بين الدول الضعيفة لكننا نؤكد بأن النظام الأمريكي السياسي والاقتصادي والإنساني يحمل في طياته بذور فنائه، وأن سنن الكون تؤكد شيخوخة الدول ثم فناءها، وأمريكا ليست استثناء.

وضع أستاذ التاريخ، الكاتب الأميركي، ألفرد ماكوي، على موقع «صالون»، 4 سيناريوهات لكيفية انتهاء الإمبراطورية الأميركية بين عامي 2020 و 2025، هي:

1ـ **انحدار اقتصادي**: وهو بدأ حالياً مع التراجع الأميركي الكبير في الصادرات وفي مجالات الإنتاج والتطور التكنولوجي. الكاتب يكشف عن تفوّق الصين مثلاً في الاختراعات التكنولوجية في كافة المجالات، وأخيراً في التكنولوجيا العسكرية. أضف إلى ذلك تراجع مستوى النظام التعليمي الأميركي الذي لم يعد يخرّج مبدعين في المجالات العلمية. والعامل الثالث سيكون اهتزاز قيمة الدولار بين العملات الباقية وانعدام الثقة العالمية بالاحتياط المالي للدولار الأميركي. وابتداءً من سنة 2020 لن تعود الولايات المتحدة قادرة على دفع فواتيرها وديونها، فيما عملتها تتدهور، ما سيدفعها إلى تقليص حجم ميزانيتها العسكرية الضخمة وسحب قواتها من مختلف بقاع الأرض، الأمر الذي سيؤدي إلى جدل وانقسام سياسي كبير داخل الولايات المتحدة. ومع ازدياد حدّة البطالة والأزمة الاقتصادية، ستنشب خلافات عنيفة بين مختلف المجتمعات على الأراضي الأميركية. وفي هذه الأثناء، سيكون العالم مشغولاً بصعود

الصين والهند وروسيا وإيران كقوى عالمية جديدة، ولن ينتبه لسقوط الإمبراطورية الأميركية التي تتخبط بمشاكلها الداخلية.

2 ـ **أزمة نفطية**: ينطلق هذا السيناريو من واقع اعتماد الولايات المتحدة كثيراً على النفط لغاية اليوم، ويشير كذلك إلى أن روسيا وإيران ستكونان قريباً أكبر منتجين للغاز في العالم. الكاتب ينطلق أيضاً من فرضية تراجع الدولار الأميركي في ظل الأزمة المالية المستفحلة وتحوّل المملكة العربية السعودية ودول الخليج المصدرة للنفط إلى توقيع عقود طويلة الأمد مع الصين، لا مع الولايات المتحدة. كذلك ستعاني الخزينة الأميركية ازدياد سعر استيراد النفط بالدولار. يضاف إلى ذلك زوال نظرية ضرورة الحماية الأميركية لحقول النفط الخليجية، ما سيضطر أميركا إلى سحب أساطيلها من الخليج. بدورها، ستطلب بريطانيا من الولايات المتحدة سحب أسطولها أيضاً من المحيط الهندي. ومع حرمانها النفط والغاز واهتزاز عملتها وسحب أساطيلها من البحار وتعثر تجارتها البحرية، ستكون الولايات المتحدة قادرة على الاستمرار بطاقاتها البديلة فحسب، التي ستوفر لها 12٪ فقط من الطاقة التي تحتاج إليها.

3ـ **مغامرة عسكرية غير محسوبة**: هذا السيناريو يطرح حروباً عسكرية تفتعلها الولايات المتحدة في ردّ فعل على أزمتها الداخلية وتتكبّد فيها خسائر كبرى، إن في أفغانستان أو في الشرق الأوسط.

4ـ **حرب عالمية ثالثة:** الكاتب يعرض في هذا السيناريو تصاعد حدة التوتر العسكري بين الولايات المتحدة والصين. والحرب العالمية الثالثة التي ستنشب في عام 2025، ستكون حرباً تكنولوجية. وفي أحد الأيام ستتعطل فجأة كل الشاشات في مركز القوات الجوية الأميركية، كما في قاعدة التحكم الإلكتروني... والسبب؟ فيروسات إلكترونية صينية ستهاجم الأقمار الصناعية

والأنظمة الأميركية فتشلّ مفاصل القوة الدفاعية والهجومية الأميركية. وعندما يحاول الجيش الأميركي استخدام قواته الحربية التقليدية ستستبق الصين ذلك بتعطيل عملياته عبر محطاتها الفضائية وراداراتها وأجهزة الروبوتات التي طورتها لصدّ هجوم مماثل. وهكذا ستفوز الصين في الحرب من دون سقوط أي ضحية بشرية.

ثالثاً: موج التغيير بصراع محتدم بين القوى الفاعلة

لقد أصبح النظام الدولي اليوم على المستوى الجيوسياسي- في نظر صاموئيل هنتنغتون -مؤسسا على نظام هجين ومركب بشكل غريب فالأنماط التقليدية للتفاعلات الدولية –أي الأحادية و الثنائية والتعددية القطبية- لم تعد تجسد واقع السياسة الدولية، حيث أصبحت بنية النظام الدولي قائمة على أساس نظام أحادي- متعدد الأقطاب يتسم بوجود قوة عظمى منفردة هي الولايات المتحدة، تتفاعل مع مجموعة من القوى الرئيسية.

لو نظرنا إلى القوى الفاعلة في النظام الدولي الراهن، وبسبب غياب المعطى الإيديولوجي المضاد، وبسبب كون العديد من هذه القوى تدين بنفس الإيديولوجية التي تحملها الولايات المتحدة، لوجدنا أنها قوى متنافسة أكثر من كونها قوى متصارعة، صحيح أننا لا نستطيع نكران وجود خلافات فيما بينها، إلا أن هذه الخلافات ذات طبيعة تنافسية يصعب وصفها بأنها خلافات إيديولوجية أو مذهبية-عقائدية ذات طبيعة تصارعية، وبالتالي فإن الغالبة التي

تتميـز بهـا قواعـد إدارة العلاقـات بـين هـذه القـوى هـي سـمة التنـافس ولـيس الصراع[1].

القوة النووية قلصت خيارات المواجهة العسكرية مباشرة بين القوى الكبرى، إلا أن الإقرار بذلك ينفي بأي حال من الأحوال احتمالات المواجهة بين هذه القـوى بشكل مطلق، إذ تتعدد آليات المواجهة ومنطق المجابهة بين هـذه القـوى، ويـصير منطق المجابهة لا رجعة فيه في اللحظة التي تصل فيها هذه القوى إلى قناعة تامـة بعجز آليات التعاون والمشاركة في تسوية الخلافات التي تتضارب فيها مصالح هذه القوى بشكل متناقض، هذا ما عبر عنه هنتنغتون حينما قال أنه" :مـن الممكـن أن نهاية الحرب الباردة ستعوض بمجموعـة واسـعة ومتعـددة مـن الحـروب البـاردة الصغيرة بين القوى الكبرى".

لا يمكن بأي حال من الأحوال تشكيل تصور وفهـم متكامـل لمنطـق سـلوك خارجي لدولة معينة تجاه قضية أو منطقة محددة، ما لم يتم التعرف على السياق الاستراتيجي العام الذي جـاء في إطـاره هـذا الـسلوك لاسـيما عنـدما يتعلـق الأمـر بسلوك خارجي لدولة كبرى، أين يكـون أي تـصرف خـارجي لهـا مـضبوطا بقواعـد محددة مسبقا، ومتماشيا مع التطورات الكبرى لهذه الدولة تجـاه العـالم ومناطقـه الحيويـة، وهنـا تتحـول هـذه الـسلوكيات كتكتيكـات مدروسـة مكرسـة لخدمـة الإستراتيجية الكبرى لهذه الدولة الفاعلة.

ينـسحب الـشيء ذاتـه عـلى لعبـة الجيوبوليتيكـا, فالمحـافظون الجـدد في الولايات المتحدة من أمثال "روبرت كاغـان" ينظر نظرة دونيـة للأنوثـة, إن كوكـب الزهـرة لديـه مثلـه مثـل أوربـا، سـاخرا بـذلك مـن نـزعتهم النرجـسية ببنـاء جنـة

(1)فريد هاليداي, مئة وهم حول الشرق الأوسط,الأردن , دار مجدلاوي, ط1, 2006,ص22-281.

بيروقراطية ما بعد حداثية. الولايات المتحدة، بخلاف ذلك, تلبس رداء المريخ الذكوري, وتسعى بجرأة لفرض الحرية في كل أقاصي العالم, ولكن من خلال الاستعانة بالقوة القهرية, ومع ذلك، فإن الواقع يقول أن الاتحاد الأوربي أصبح أكثر فعالية في تجسيد هذا الهدف في كواليس العمل الدبلوماسي. إذن موعدنا مع أوربا جديدة. أول قوة عظمى متأنقة, والمتأنقون يعرفون دوما ما يرتدوه لمختلف المناسبات.(1)

أصبحت أوربا مثل علامة تجارية تفرض نفسها تدريجيا, فمواقفها من قضايا كالاستدامة البيئية، والقانون الدولي، والتنمية الاقتصادية، و الرفاه الاجتماعي، أكثر استساغة لدى أطراف المجموعة الدولية من المواقف الأمريكية. وحتى الإستراتيجية الجديدة لإدارة بوش الخاصة بالشرق الأوسط الكبير يقوم على نموذج "هلسنكي"، والذي يعبر عن الرؤية الأوربية حول دمج معايير حقوق الإنسان في منظومة مؤسسة الأمن الجماعي. وأكثر من ذلك, قامت المنظمات الإقليمية "آسيان, ميركوسور, والإتحاد الإفريقي" بإعادة تشكيل مؤسساتها على الطريقة الأوربية. كما أن الرمز الأوربي الجديد الباهر للقوة, إيرباص 380، ستغزو قريبا الأجواء الآسيوية. وزيادة على ذلك، فان عملة الأورو يتم تداولها حتى في المناطق التي لا تقبل بطاقات الائتمان "أميريكان إكسبريس".(2)

إن القرن الحادي والعشرين يشهد عودة آسيا إلى ما قد نعتبره النسب التاريخية المستحقة من سكان العالم واقتصاده. ففي عام 1800 كانت آسيا تمثل

(1) روبرت كيكن,عن الفردوس والقوة أمريكا وأوربا في النظام,ط1, 2004,ص21-117.
(2) ستيفن هيات, لعبة قديمة بعمر الإمبراطورية, ط1, 2008,

أكثر من نصف سكان العالم وناتجه. وبحلول عام 1900، كانت تمثل 20% فقط من الناتج العالمي ـ ليس لوقع حدث جلل في آسيا، بل لأن الثورة الصناعية نجحت في تحويل أوروبا وأميركا الشمالية إلى ورشة عمل العالم.

ولقد بدأ تعافي آسيا باليابان، ثم انتقل إلى كوريا الجنوبية وجنوب شرق آسيا، بداية بسنغافورة وماليزيا. والآن يتركز التعالي في الصين، وعلى نحو متزايد الهند، حيث يتم انتشال مئات الملايين من الناس من براثن الفقر في خضم هذه العملية.[1]

ولكن هذا التغيير يخلق أيضاً نوعاً من القلق والانزعاج إزاء تحول علاقات القوة بين دول العالم. ففي عام 2010 تجاوزت الصين اليابان لتصبح صاحبة ثاني أضخم اقتصاد على مستوى العالم. بل ويتوقع بنك جولدمان ساكس للإستثمار أن يتجاوز إجمالي حجم الاقتصاد الصيني نظيره الأميركي بحلول عام 2027.

ولكن حتى لو تساوى مجمل الناتج المحلي الإجمالي الصيني مع نظيره في الولايات المتحدة في عشرينيات القرن الحالي، فلن يتساوى الكيانان الاقتصاديان في تكوينهما. فسوف تظل المناطق الريفية في الصين متخلفة إلى حد كبير. وإذا افترضنا أن الناتج المحلي الإجمالي الصيني سوف يسجل نمواً بنسبة 6% سنوياً بعد عام 2030، وأن الناتج المحلي الإجمالي الأميركي سوف يسجل نمواً بنسبة 2% فقط سنوياً بعد ذلك التاريخ، فإن الصين لن تتساوى مع

(1)جوزيف س. ناي هل تتخطى الصين أميركا؟,2011/5/11.

الولايات المتحدة من حيث نصيب الفرد في الدخل ـ وهو مقياس أفضل لتطـور أي اقتصاد ـ قبل وقت قريب من النصف الثاني من هذا القرن.

وأثناء العقد الماضي، انتقلت الصين من كونها تاسـع أكـبر دولـة مـصدرة إلى الدولة المصدرة الأولى على مستوى العالم، بعد أن أزاحـت ألمانيـا مـن عـلى القمـة. ولكـن نمـوذج التنميـة الـصيني القـائم عـلى التـصدير سـوف يكـون في حاجـة إلى التعديل والتكيف مع إثارة التوازنات التجارية والمالية العالمية المزيد مـن الخـلاف. والواقع أن الخطة الخمـسية الثانيـة عـشرة التـي أقرتهـا الـصين مـؤخراً تهـدف إلى تقليص اعتمادها على الصادرات وتعزيز الطلب المحلي. ولكن هل ينجح هذا؟

ويزعم بعض المحللين أن الصين تهدف إلى تحدي مكانة أميركا بوصفها القوة المهيمنة على مستوى العالم. وحتى لـو كـان هـذا تقيـيم غـير دقيـق لنوايـا الـصين (فحتى أهل الصين لا يستطيعون أن يطلعوا عـلى وجهـات نظـر الأجيـال المقبلـة)، فمن المشكوك فيه أن تتمكن الصين من اكتساب القدرة العسكرية اللازمـة لجعـل هذا التكهن حقيقة ممكنـة. لا شـك أن الإنفـاق العـسكري الـصيني، الـذي ارتفـع بنسبة تتجاوز 12% هذا العـام، كـان في نمـو مـستمر وربمـا بـسرعة أكـبر مـن نمـو الاقتصاد الصيني. ولكن قادة الصين سوف يكون لزاماً عليهم أن يتعاملوا مـع ردود أفعال بلدان أخرى، وأيضاً مـع القيـود التـي يفرضـها الاحتيـاج إلى أسـواق ومـوارد خارجية من أجل تلبية أهداف النمو الاقتصادي.

وحتـى لـو لم تتعـرض الـصين لنكـسة سياسـية داخليـة، فـإن العديـد مـن التوقعات الحالية المستندة إلى نمو الناتج المحلي الإجمالي وحـده تعتمـد عـلى بُعـد أحادي: فهي تتجاهل المزايا التي تتمتع بها الولايات المتحـدة في المجـال العـسكري وأيضاً مجال القوة الناعمة، فـضلاً عـن أوجـه القـصور الجغرافيـة الـسياسية التـي

تعاني منها الصين فيما يتصل بتوازن القوى داخل آسيا. وطبقاً لتقديراتي فإن السيناريوهات الأكثر ترجيحاً من بين الاحتمالات المستقبلية الممكنة هي تلك التي تباري فيها الصين الولايات المتحدة على الصعيد الاقتصادي، ولكنها لا تتفوق عليها في القوة الإجمالية في النصف الأول من هذا القرن.[1]

لم يطرح أحد بعد تصوراً واضحاً ونهائياً لشكل العالم بعد سقوط الإمبراطورية الأميركية، لكن دولاً كالصين والهند وروسيا وإيران تطرح كأجزاء أساسية في التركيبة الدولية الجديدة. مستشار الأمن القومي السابق، المحلل السياسي، زبيغنيو بريجينسكي، يجزم بأنه لن تكون هناك قوة عظمى بديلة تحلّ محلّ الولايات المتحدة في قيادة العالم، بعد سقوط الأخيرة. وبنظره، كل أسماء الدول المطروحة لن تكون جاهزة لأداء دور ريادي في السياسة والاقتصاد الدوليين، مثلما فعلت الولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

بريجينسكي يرى للعالم مستقبلاً مظلماً؛ إذ «يتبخّر الحلم بعالم ديمقراطي لحساب مزيج من السلطوية والقومية والدين».

السياسي الأميركي ــ البولندي يعدد ثماني دول متضررة من انحسار النفوذ الأميركي في العالم، ومنها يذكر إسرائيل والشرق الأوسط الكبير. وهنا يحذّر من أن انحدار دور الولايات المتحدة في هذه المنطقة سيؤدي إلى تصاعد الضغوط الشعبية الداخلية في الدول، وحدوث اضطرابات اجتماعية وبروز التطرف الإسلامي. الكاتب يرى مواجهة عسكرية كبيرة بين إيران وإسرائيل، ويحذّر من دور حزب الله وحركة «حماس» فيها. وبالتالي يتوقّع أيضاً حصول أزمة نفطية، فيما تضعف الدول الحليفة للولايات المتحدة في الخليج.

---

(1) محمد عبد الهادي,الدبلوماسية في زمن الهيمنة الأمريكية:مفاهيم,ط1, 2006.

عن المخاوف من الصعود الروسي مجددا، يؤكد "فريدمان" أن روسـيا حاليـا لا تمثل تهديدا حقيقيا لموقع الولايات المتحدة عالميا، ولكن هنـاك احتماليـة وجـود تعاون مع أوروبا، وبصورة خاصة ألمانيا، وهو ما قد يصبح التهديـد الأكـثر خطـورة للولايات المتحدة في هذا العقد.

فعلي المستوي الجيوسياسي (الجغرافيا الـسياسية)، سـوف تتعـاون كـل مـن روسيا والولايات المتحدة اقتصاديا وسياسـيا في أمـاكن أخـري مثـال آسـيا الوسـطي والقوقاز، وسوف تقتصر المواجهة علي مستوي بولندا ومنطقة الكاريبي. ومـن ثـم، فإن التهديد من قبل روسيا وأوروبـا (خاصـة ألمانيـا) لايـزال قائمـا، ولكـن لـيس في العقد القادم مباشرة وإنما فيما بعد.

في هـذا الـسياق، يـشير فريـدمان إلي أهـم ملامـح التوازنـات خـلال العقـد القادم، والذي سوف يشهد استمرار الاتحـاد الأوروبي ولكـن لـيس كلاعـب رئيـسي، وهي: تقـارب ألمانيـا مـع فرنـسا وروسـيا، بيـنما التقـارب بـين بريطانيـا والولايـات المتحدة سوف يظهر بشكل أكثر وضوحا.

ويشير "فريدمان" إلي أن الاقتصاد الصيني سيشهد اختبـارات قاسـية، بيـنما ستتعافي اليابـان مـما لحـق بهـا مـن خـسائر، وأن الهنـد لـن تـصبح أحـد اللاعبـين الأساسيين في العقد القـادم. ويتحـدث عـن عـودة كوبـا مـرة أخـري تحـت التـأثير الأمريكي، واصفا إياها بسياسة أكثر عقلانية علي المدى الطويل، في حين تمثل بوليفيا التهديد الكـامن للولايـات المتحـدة. وبـشأن بالمكـسيك، أكـد ضرورة بـذل الجهـود المختلفة من قبل الولايـات المتحـدة لوقـف الهجـرة غـير الـشرعية وتهريـب المـواد المخدرة. وستتسم العلاقة مع كندا بالاستقرار.

قدم فريدمان في نهاية كتابه رؤية شاملة للسياسة الخارجية الأمريكية، ومـا يجب أن تكـون عليـه خـلال العقـد القـادم، مـشيرا إلي أهميـة أن تقـوم الولايـات

المتحدة بتنظيم حالة الفوضى في العالم الإسلامي، وبناء التحالفات والتوازنات الإقليمية التي تخدم مصالحها، والبحث عن مسار للخروج من الأزمات الاقتصادية الراهنة، في ظل أن الاقتصاد الأمريكي يمثل نحو 25% من اقتصاد العالم.

وينهي فريدمان كتابه بالمقولة التالية "الوضع لا يزال بعيدا عن اليأس، ولكنه يتطلب عملا مضاعفا، وإرادة قوية لتحقيق النمو لصالح البلد".(1)

هناك ما يشبه الاتفاق بين المحللين على أن النظام السياسي العالمي في مرحلة التحول من القطبية الأحادية إلى شكل جديد، لم تتضح معالمه بعد، توجد فيه إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية وقوي آسيوية وأوروبية تقليدية، قوى صاعدة جديدة، على رأسها الصين والهند.(2)

وفي هذا السياق، يتفق فريد برج مع المنطق "الواقعي الكلاسيكي" بأن التغير في علاقات القوة حتما سيولد منافسة، ولكنه يعتقد أنه من المهم أولا أن نعرف ماذا تريد الصين؟.

ويجيب بأنه لمعرفة ماذا تريد الصين، ينبغي تجميع آراء المفكرين الصينيين الذين يكتبون في المجلات السياسية الصينية التي تشبه تقريبا مجلة "فورن أفيرز"، وكذلك في وسائل الإعلام الأخرى، وكذلك تحليل آراء الضباط العسكريين الذين يعملون في وظائف تسمح لهم بأن يكتبوا مقالات وكتبا للجمهور. وهذه المواد تعكس التيار الأساسي للرأي السائد بين النخبة الصينية.

---

(1)George Friedman,The Next Decade:Where Were Going and Weve Been,New York,Doubleday,2011. Where

(2)Raghav Bahl, “Super Power? The Amazing Race Between China’s Hare and India’s Tortoise”, New York, Portfolio-Penguin, 2010.

ومن خلال تحليل هذه المواد، يرى فريد برج أن المسئولين الصينيين يريدون أن تصبح الصين الدولة رقم 1 في العالم، وهناك بعض الكتاب يرون أن التحالف بين الصين والولايات المتحدة هو تحالف كاذب.

ولكن وفق هذا المنظور، فإن التركيز على كتابات المسئولين الصينيين تشوبه ثغرات، لأن الكثير من الكتاب له آراء مختلفة، وبعضهم يكتب للفت الانتباه والشهرة، وبعضهم يكتب بشكل منفعل.

ولكن بعيدا عن وسائل الإعلام ومحاولة التركيز على النوايا، فإن الصين تبدو متعثرة داخليا، ومضطربة آسيويا، فضلا عن أن بكين تكرس أغلب مواردها الهائلة للجانب العسكري لكي تضمن السيطرة على خمسي المنطقة التي تضم إقليم شينجيانج الذي يضم حركة الإيجور المسلمة والتبت الكبرى، وتسعى لعرقلة استقلال تايوان، وإرساء سيطرة النظام المدني في "مملكة هان"، (في إشارة لسيطرة عرق "هان" على بقية الأعراق الأخرى في الصين) غيرة المستقرة اجتماعيا، والمضطربة سياسيا.فالصين محاطة بنوعين من الدول، الأول هي الدول غير المستقرة، والتي إذا حدث بها أي تغيير، فسيجعل الحياة أكثر صعوبة على الأوضاع في الصين مثل كوريا الشمالية والدول الضعيفة بآسيا الوسطي، والطرف الآخر هو الدول التي تريد أن تصبح أقوى قوة في المستقبل، وتنافس الصين، مثل الهند واليابان وفيتنام .كما تواجه الصين الوجود القوى للولايات المتحدة، فقيادة المحيط الهادي الأمريكية تعد أبرز مراكز القوة في قيادات الجيش الأمريكي الستة بعد القيادة المركزية.

ويرى فريدبرج أنه "لو استمرت الصين في نموها، فستصبح علاقاتها بالولايات المتحدة متوترة، ولكن العلاقة ستحكمها قواعد الخلافات والتنافس وليس الصراع.

ولكن الكاتب يرى أنه من غير المرجح أن تثبت صحة هذا الافتراض على المدى الطويل، لأن النموذج الاقتصادي والسياسي للصين يواجه العديد من نقاط الضعف. كما أن الهدف النهائي للإستراتيجية الأمريكية هو التعجيل بالثورة, ولو السلمية في الصين، فمن شأنها أن تمحو الصين دولة الحزب الواحد السلطوي، وهذا يساعد علي تفسير لماذا يجعل الزعماء الصينيون الناس يعيشون في الصين، وكأنهم تحت الحصار؟.

وحتى لو بقيت الصين على هذا المسار, فإنه لا يمكنها أن تأمل بأي شيء يمكن أن يسمي السيادة أو حتى السيادة الإقليمية, إلا إذا تراجعت الولايات المتحدة بشكل جذري.

ومن غير المعقول, كما تنبأ فريد برج، أن تختار دول آسيا في النهاية أن تحذو حذو الصين الصاعدة، وبالتالي فإن معظم جيران الصين يسعون لتوازن مع الولايات المتحدة وليس ضدها.

مع تزايد التجارة الصينية وتزايد الطلب علي الطاقة، أصبح تطوير القدرات البحرية محور اهتمام القادة الصينيين. وكان لهذا الاهتمام ثلاثة مؤشرات واضحة، هي:

1- تزايد ميزانية الدفاع الصينية خلال السنوات الأخيرة، وتخصيص جزء كبير منها لدعم الإمكانات البحرية، حتى يتسنى لها الحفاظ علي مصالحها الاقتصادية وتأمين مسارات الطاقة.

2- تكريس الوجود الصيني في المحيط الهندي وغرب المحيط الهادي، بما يتيح لها التغلب علي معضلة مضيق ملقا ويجعلها تتحرك بأريحية في الإقليم.

3- تقويض محاولات التمدد الهندي عبر إقامة علاقات سلمية متعددة الأطراف، فالصين لها علاقات متميزة مع باكستان. ويشير تطوير ميناء

جوادر الباكستاني من جانب الصين إلي المدى الذي وصلت إليه الوشائج بين الدولتين، كما ترسخ الصين علاقاتها مع بعض الدول كبورما، وسيريلانكا، وبنجلاديش، فضلا عن دول إفريقية.

يري "كابلان" أن الهند لديها ما يجعلها قوة عالمية بارزة، فهي من الديمقراطيات الراسخة بما مكنها من ترسيخ دعائم الاستقرار المجتمعي. وبالتوازي، تشهد ازدهارا اقتصاديا أفضي إلي تزايد معدلات استهلاك الطاقة، حيث يتوقع أن تصبح الهند أكبر رابع دولة علي المستوي العالمي في استهلاك الطاقة، عقب الولايات المتحدة والصين واليابان، ويمثل النفط أكثر من90% من احتياجات الطاقة الهندية.

وفي هذا السياق، حاولت الهند التعاطي مع مصالحها عبر التمدد أفقيا. ويري كابلان أن القوة البحرية أداته الرئيسية. وتستند هذه الإستراتيجية إلي ثلاث ركائز رئيسية.

1- تعزيز القدرات العسكرية خاصة القدرات البحرية، فالهند تنفق نحو 20% من ميزانية الدفاع علي تطوير أسطولها البحري.

2- دعم أواصر التعاون مع دول مجلس التعاون الخليجي وإيران، بما يكسبها مجالا أوسع للتمدد البحري، لاسيما أن الخليج العربي يعد المورد الرئيسي لاحتياجات الهند من النفط. كما أن التعاون الإيراني - الهندي اكتسب بعدا جديدا خلال السنوات الأخيرة، عقب توقيع اتفاقية عام 2005 لتصدير الغاز الإيراني للهند.

3- تقديم المساعدات والتعاون مع دول كبورما وإندونيسيا وفيتنام، فضلا عن الدول الإفريقية المطلة علي المحيط الهندي بما يتواءم مع المصالح الهندية. فهو من ناحية، يهيئ لها تأمين مسارات بحرية لأسطولها، خاصة أن قدرا

من تعاونها مع هـذه الـدول ينـصب عـلي تطـوير المـوانئ، واحتـواء التوسـع البحري الصيني بالإقليم.

ومـن خـلال اسـتعراض أهـم خـصائص النظـام الـدولي الجديـد في مرحلتـه المعاصرة يتبين أننا على أعتاب مرحلة جديدة تبدو فيهـا الولايـات المتحـدة بيـدها خيوط التأثير الدولي إلا أنها في الوقت نفسه تؤمن بضرورة إفـساح المجـال للقـوى الصاعدة اقتصاديا لا لتزاحمهـا في مجـال الـصدارة بـل لاحتوائهـا وطيهـا في ركابهـا والأيام القادمة ربما تكشف عن ملامح مرحلة جديدة من النظام الدولي تشهد نوع من القطبية المتعددة ولكن من طراز مختلف.[1]

رابعاً: موج تراجع قوة النظام الرأسمالي

أن النظام الرأسـمالي يواجـه عـدة تحـديات تهـدد وتقلـص كـل منهـا فـرص بقائـه واستمرار يته، يجملها الكتاب في ثلاثة تحديات، هي:

1- التغيرات الديموغرافية، والتي تتمثل في أمرين، الأول في الزيادة السكانية الكبرى في بلدان العالم الثالث الفقيرة. أمـا الأمـر الثـاني، فهـو ارتفـاع معـدل الأعـمار، وهما الأمران اللذان سوف يؤثران في المسيرة الرأسمالية.

2- القيود البيئية، فالبيئة ومواردها محدودة، وتتناقص بمرور الـزمن، وهـذا ينفـي الفكرة التي كانت سائدة بأن البيئة المحيطة هي مصدر لانهائي لتـوفير المـواد الأوليـة. والحقيقـة أن أول مـن طـرح فكـرة حـدود الطبيعـة والبيئـة كـان

(1) عبد الكريم محمود برم, التقنية في الحرب:البعد الالكتروني, أبو ظبـي, مركـز الإمـارات للدراسـات والبحوث الإستراتيجية'سلسلة دراسات عالمية, تموز2010.

الاقتصادي الإنجليزي "توماس مالتوس"، وهو ما سوف يؤثر بشكل كبير في مستقبل الرأسمالية.

3-الاستقرار المالي، حيث أصبحت مسألة الاستقرار المالي هي الأخرى في خطر، وهذا ما كشفت عنه الأزمات الاقتصادية الأخيرة، حيث قامت المؤسسات المالية بالإسراف في إصدار أصول مالية زائفة وغير مستندة إلى اقتصاد حقيقي. وبالتالي، فإذا استمرت تلك المؤسسات في إصدار تلك الأصول بلا حساب، فسوف تكون الأزمات المالية وشيكة وغير مأمونة العواقب.(1)

على الرغم من أن صدور الكتاب بفترة قصيرة من اندلاع الثورات العربية التي عصفت بثلاثة أنظمة عربية، ولا تزال مستمرة في بلدان عربية أخري، واعتراف محرره "د.بهجت قرني" بأنه لم يكن يتوقع ثورة الخامس والعشرين من يناير التي حدثت فجأة، فإن الكتاب يعرض للأسباب الكامنة التي أدت إلى تلك الثورات والديناميكيات الإقليمية للتغيير في الشرق الأوسط، خلال فصوله الثمانية التي كتبها كوكبة من الباحثين والمتخصصين.

ويصنف الكتاب التغيير إلي نوعين، الأول فجائي، يرتبط بثلاث حركات كبري، هي: الحرب، والثورة، والأحداث الكبرى. والآخر تدريجي. وقد ركز الكتاب علي عملية التغيير التدريجي، والتي قد ينتج عنها حركات تغيير كبيرة مفاجئة Big Bangs، وهو ما يفسر أسباب اندلاع الثورات العربية التي يعود جزء كبير منها إلي البطالة، والقمع، واستشراء الفساد، الذي أصبح جزءا من الحياة اليومية، مما عمق الشعور بالاستياء الذي دفع إلي القيام بالثورة.(2)

---

(1) د.حازم الببلاوي,النظام الرأسمالي ومستقبله,القاهرة,دار الشروق,ط1, 2011.

(2)Bahgat Korany (Editor)The changing Middle East: A New Look at Regional Dynamics Cairo: AUC Press,2010.

أن المـشكلة التـي تواجههـا الولايـات المتحـدة، والمتعلقـة بـالأمن القـومي الأمـريكي، ليـست في القـوة الأمريكيـة في حـد ذاتهـا، ولكنهـا في كيفيـة اسـتعادة واستخدام تلك القوة بعد اختطافها مـن قبـل الليبراليـين والمحـافظين الـذين ظلـوا لسنوات طويلة وإلي يومنا هذا يحاصرون القادة الأمريكيين ويجبرونهم علي اتخـاذ قرارات خاطئة، وأيضا علي تقديم تنازلات وتعهدات غير قادرين عـلي الإيفـاء بهـا، مما جعل القوة الأمريكية أحد محاور الجدل الأيديولوجي علي الـساحة الـسياسية الداخلية الأمريكية - بل وعلي الصعيد العالمي أيضا - أكثر من كونهـا أداة لتحقيـق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية.

ويتبني "جيلب" المفهوم الكلاسيكي للقوة، وهو "القدرة علي جعل الشعوب (الدول) تفعل مالا تريد أن تفعله". والقـوة عنـده مـصدرها سـيكولوجي وضـغط سياسي، ومكوناتها قوة عسكرية اقتصادية دبلوماسية وأخلاقية، والتـي تعـد أدوات الضغط لتحقيق القوة الأمريكية أهدافها. والقوة -حسب "جيلب"- تفقد فاعليتهـا عند استخدامها بطريقة غير حكيمة، كما أن الاستخدام غير الحكـيم لهـا يـؤدي إلي الحروب.

وللدور الجلي للقوة الاقتصادية علي المسرح الـدولي بمـا تمنحـه للدولـة مـن قدرات علي ممارسة دور دولي، وأنهـا تحقـق مكاسـب وفاعليـة أفـضل مـن القـوة العسكرية في كثير من الأحيان، أضحت تتقـدم عـلي الأخـيرة في وقـت لم تعـد فيـه القوة العسكرية تتحكم في ميزان القوي بين الدول وبعضها بعضا.

هـذا لا يعنـي أن "جيلـب" ينكـر أهميـة التفـوق العـسكري الـذي لا يـزال العنصر الرئيـسي في عنـاصر القـوة الأمريكيـة، كـما أن "جيلـب" ضـد التخفـيض في ميزانيـة الـدفاع الأمـريكي. ولكـن يجـب أن تكـون القـوة العـسكرية في خدمـة

السياسة الخارجية والدبلوماسية، وليـست هـي المـسيطرة، حيـث إنهـا بمفردهـا لا يمكـن أن تحقـق أهـدافها إلا نـادرا. وفي هـذا الـسياق، ينتقـد إدارة "بـوش الابـن" لاقتـصار تعريفهـا للقـوة عـلي مكونهـا العـسكري وعـسكرتها للـسياسة الخارجيـة الأمريكية.

وينتقد الكتاب عديدا من الأفكار والأطروحات التي احتوتهـا الكتـب الأكـثر رواجا داخل الولايات المتحدة، مثل فكرة "عالم ما بعـد أمريكـا" ل- "فريـد زكريـا"، و"العالم مـسطح" ل- "تومـاس فريـدمان". حيـث يـري "جيلـب" أن العـالم هرمـي الشكل من حيث توزيع القـوة، وأن الولايـات المتحـدة تـأتي عـلي قمتـه، وتليهـا في المرتبة الثانية دول خصها بالاسم وهي: الصين، واليابان، والهند، وروسيا، وبريطانيـا، وألمانيا، وفرنـسا، والبرازيـل. ويـلي تلـك الـدول طبقـات أخـري مـن دول وكيانـات وشعوب تملك من مقاليد القوة (التأثير والنفوذ) ما يمكنها من مقاومة نفوذ الدول ألكبري. ولكن موقع الولايات المتحـدة عـلي قمـة هـرم القـوة لا يعنـي أنهـا القـوة المهيمنة، وأن تلك القوة لا تمكن الولايات المتحـدة مـن فـرض وجهـة نظرهـا عـلي الآخرين.

وينتقد أيضا مفهـوم عـالم الـسياسة بجامعـة "هارفـارد" "جوزيـف نـاي" ل "القوة الناعمة"، حيث يري "جيلب" أن القيم الجيدة والإقناع لـن تـدفع قيـادات الدول الأجنبية لعمل ما تريده الولايات المتحدة، ولذا ف "القـوة الناعمـة" ليـست الأساس في تحقيق السياسة الخارجية الأمريكية وليست شيئا حقيقيا، ولكن لابد أن يصاحبها الجانب العسكري للقوة. وهو بـذلك يقلـل مـن أهميـة الـدعم الأمـريكي للقيم والمبادئ الغربية وحقوق الإنـسان والديمقراطيـة واقتـصاديات الـسوق التـي تبنتهـا الولايـات المتحـدة، والتـي شـجعت الملايـين مـن الأوروبيـين في دول أوروبـا الشرقية علي الثورة علي الهيمنة السوفيتية عام 1989.

ويخلص إلي أن قوة الولايات المتحدة المستقبلية مبنية علي مبدأ "الحاجة المتبادلة" بينها وبين دول المجتمع الدولي، بمعني أن الولايات المتحدة هي القادرة علي حشد التحالف الدولي وقيادته لحل المشكلات الدولية الرئيسية، في وقت تدرك فيه دول العالم ذلك، وأنها في حاجة أكبر لدور أمريكي. ولذا، فعلي واشنطن أن تحدد مواضع التقاء المصالح المشتركة في الوقت الذي تسعي فيه إلي استعادة مكانتها ودورها الذي تراجع خلال سنوات حكم "بوش الابن" الثماني.

وأفضل طريقة، من وجهة نظر "جيلب"، لأن تمارس الولايات المتحدة قوتها، هي أن تتحالف مع القوي التي هي بالقرب منها في هرم القوة الذي صاغه. وقبل أن تمارس واشنطن قوتها، فإن عليها صياغة إستراتيجية شاملة لتعظيم قوتها، يكون من أولوياتها فهم موضوعي وعميق لمشاكل وقضايا الدول الأخرى، وأن تعلم حقيقة العلاقة بين القوة والسياسة، مع عدم التهويل من قدرات الخصم. مشيرا في هذا الصدد إلي التهويل الأمريكي من القدرات الصاروخية السوفيتية، وأنها تتقدم علي الولايات المتحدة بأشواط كبيرة في مجال القذائف الصاروخية، علي عكس حقيقة الأمر، حسبما يري "جيلب".

وينتهي إلي أنه ليس من إستراتيجية لدي الولايات المتحدة لتعظيم قوتها ومكاسبها في الوقت الراهن، ولكن يمكن النظر إلي إستراتيجية الأمن القومي التي أصدرتها الإدارة في السابع والعشرين من مايو 2010 علي أنها الإستراتيجية التي تستعيد القوة والمكانة الأمريكية، والتي أكدتها الوثيقة التي تبنت النهج الذي دعا إليه "جيلب" في كتابه.

ويرجع إخفاق الساسة الأمريكيين في صياغة إستراتيجية للقوة الأمريكية يتوافر إجماع جمعي عليها داخل الولايات المتحدة إلي ثلاثة أسباب رئيسية.

يتمثـل أولهـا في تحويـل المبـادئ إلي عقيـدة تفـرض عـلي الآخـرين لإتباعهـا دون مناقشة. ثانيها: ضغوط السياسة الخارجية. وآخرها: توهم الولايات المتحدة قـدرتها علي فعل أي شيء.

وفي التحليـل الأخـير، يلاحـظ المتـابع للـسياسة الخارجيـة الأمريكيـة، خـلال العامين المنصرمين علي تولي إدارة "أوباما" وفريقه سدة الحكم في الولايات المتحدة، أن سياساتها الخارجية جاءت مترجمة لكثير من النصائح التي ذهب إليها "جيلـب" في كتابه هذا. فعلي الصعيد الدولي، انطلقت سياسة "أوباما" الخارجيـة مـن قناعـة بأنه ليست هناك قوة مهما بلغت قوتها - في إشارة إلي الولايـات المتحـدة - قـادرة علي حل المـشكلات الدوليـة بمفردهـا، ولـذا توجـه للعمـل الـدولي التعـاوني لحـل المشكلات الدولية المستعصية علي الحل، مثل قضية الاحتباس الحراري.[1]

أن العولمة التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية، والتي اقتصرت فوائـدها عليها وعلي الدول الغربية، ساعدت علي تعجيل حدوث الأزمة المالية لعـام 2008، والتي ارتبطت بشكل خاص بقطاع العقارات السكنية في الولايـات المتحـدة، حيـث حدث انفجار في إجمالي ديون الـرهن العقـاري الـسكني لتقفـز مـن 5 تريليونـات دولار في 2000 إلي 11 تريليون دولار في 2007.

وقد ساعدت العولمة أيضا علي انتقال تـأثيرات الأزمـة الماليـة مـن الاقتـصاد الأمـريكي إلي الاقتـصاد العـالمي. فبعـد رصـده في الفـصل الأول لعمليـة صـعود

---

(1)Gelb .Leslie H,Power Rules: How Common Sense Can Rescue American Foreign Policy, Collins Harper, March 2009..

العولمة تحت قيادة الولايات المتحدة، وكيف بدأت بتحرير أسواق رأس المال العالمية، مع محدودية القيود علي تدفقات رأس المال، مما شجع التجارة والاستثمار العابرين للحدود، أجمل الكتاب أهم مؤشرات انتقال الأزمة للاقتصاد العالمي في أربعة مؤشرات رئيسية عرضها الكتاب في فصله الثاني الذي حمل عنوان "العاصفة المتراكمة".

أول تلك المؤشرات: تدهور الموقف المالي للولايات المتحدة التي أبدت سلوكا غير حريص في الاقتراض من الدول الأخرى، وفي الإنفاق. وثانيها: زيادة التدفقات المالية العابرة للحدود بين دول العالم المختلفة، علي نحو غير آمن. أما ثالثها، فهو تزايد الصادرات الصينية للولايات المتحدة وإصرار الصين علي تكريس هذا الوضع عبر شراء الدولار والعمل علي رفع قيمته. وآخرها تمثل في تكرر حدوث الأزمات المالية علي مستوي العالم.

وعلي العكس مما كان يعتقد عديد من المستثمرين وصناع السياسة من أن الأزمة لن تتجاوز الحدود الأمريكية، والحديث عن فك الارتباط بين الاقتصاد الأمريكي والاقتصاد العالمي، أكد الفصل الثالث من الكتاب -من خلال تركيزه علي الصدمات المترتبة علي الأزمة المالية في الدول المختلفة- انتقال الأزمة لمختلف دول العالم، مع انخفاض الطلب العالمي علي الصادرات، وهبوط الأسعار وتدفق رأس المال.

وفي فصله الرابع، رصد الكتاب خمسة متغيرات من المتوقع أن تختبر قدرة الولايات المتحدة الأمريكية علي التكيف في المستقبل، وهي: تبلور مكانة مجموعة العشرين باعتبارها اللجنة التنسيقية الجديدة لإدارة شئون العالم، صعود دور الدولة علي حساب القطاع الخاص، صعود التوجهات الإقليمية في

العلاقات الدولية، ظهور قوي جديدة كلاعب علي المسرح العالمي (الصعود الاقتصادي للصين).[1]

أكد "فريدمان" أن كل نمو اقتصادي غالبا ما ينتهي بأزمة يقودها قطاع بعينه، تمثل في قطاع الإسكان في أزمة عام 2008، وكانت بوادرها نتيجة استجابة الرئيس بوش لأحداث 11 سبتمبر وكيفية إدارته للأزمة. وتنطوي هذه الأزمة علي عدد من النتائج المباشرة علي المستويين الجيوسياسي (الجغرافيا السياسية) والسياسي.

فيري أن الأزمة أكدت أهمية إبراز السيادة الوطنية والاتجاه نحو القومية الاقتصادية. وبالانتقال إلي التأثير في المستوي السياسي، فإن أبرز ملامحه هو النضال لفصل النخب السياسية عن الاقتصادية، كما هو حادث في الصين، وروسيا، وأوروبا وكذا الولايات المتحدة. وبالنظر إلي التأثير المباشر للأزمة علي المستوي الاقتصادي وبالمقارنة مع الكساد العظيم، يجد "فريدمان" أن الناتج القومي الإجمالي للولايات المتحدة إبان الكساد العظيم، انخفض بنحو 50%، بينما انخفض بنسبة 4.1% ما بين عامي (2007 و2009) ولكنه لا يزال مؤثرا في الاقتصاد الأمريكي، ولكن التأثير الأكبر لن يحدث في العقد القادم، وإنما فيما بعد.

تضافرت خلال السنوات الأخيرة عوامل عدة في استنزاف القوة الأمريكية الأحادية، والتي تتواري تدريجيا، فيما ينحو النظام العالمي تجاه

(1)Joseph P. Quinlan, The Last Economic Superpower: The Retreat of Globalization, The End Of American Dominance, And What We Can Do About It, New York: McGraw-Hill،2011.

التعددية القطبية. ويساير كابلان تلك الفرضية عند التعرض للوجود الأمريكي في المحيط الهندي.

فالاهتمام الأمريكي بمنطقة المحيط الهندي يستند لاعتبارات الجغرافيا بكل ما تتضمنه من مغزى اقتصادي وسياسي وعسكري. وقد ترجم هذا الاهتمام عبر وجود أمريكي في المنطقة، وبصورة أوضح من خلال الأسطول الأمريكي. وعطفا علي ذلك، فإن التوسع البحري لبعض القوي الإقليمية في المحيط الهندي يعني الخصم من نفوذها.[1]

ويشير كابلان إلي أن البحرية الأمريكية أدركت خلال السنوات الأخيرة أن المحيط الهندي سيمثل تهديدا مركزيا وساحة لتنافس دولي، لاسيما في ظل الصعود الهندي والصيني. فالعلاقات الهندية -الأمريكية هي علاقات متميزة تحقق مصالح الدولتين، ولكن هذا لا ينفي أن الهند لها حرية اختيار تحركاتها الإستراتيجية بعيدا عن واشنطن، ويعبر التعاون الهندي - الإيراني عن هذا الأمر.

ورأي كابلان أن الصين باتت تشكل تحديا للنفوذ الأمريكي في المحيط الهندي، فهي قوة اقتصادية واعدة. وبالرغم من مساعيها لتطوير القدرات البحرية، فلا يزال البون شاسعا بين قدراتها والقدرات الأمريكية. ولكن المعضلة تتمثل في تسارع وتيرة الصعود الصيني بالتزامن مع استنزاف القوي الأمريكية إبان العقد الأخير.

ويخلص إلي أن المستقبل سينطوي علي نمط من العلاقات الأمريكية - الصينية، يتضمن التنافس والتعاون في آن واحد. فالصراع لن يكون المقاربة

---

(1) فريزر كاميرون,السياسة الخارجية للولايات المتحدة,غضب الحرب الباردة:مهيمن عالمي أم شرطي متردد؟,الإمارات العربية المتحدة,مركز الخليج,آذار 2009.

السائدة، لاسيما أن مجريات الأمور أثبتت إمكانية التعاون، كما حدث علي خلفية الأزمة الاقتصادية العالمية .

وختاما، يمكن القول إن مستقبل المحيط الهندي مرهون بتراتبية فكرية وإدراكية تفرض علي الدول، وعلي وجه الخصوص الولايات المتحدة والهند والصين، في بادئ الأمر، إدراك أن المحيط الهندي ساحة لتنافس قوي شبه متماثلة في إطار التعددية. وبناء عليه، يصبح التعاون البناء هو السبيل الأمثل لتضييق الهوة بين الفرص والتحديات المشتركة، فمساحة التشارك تدفع نحو مستقبل تتعاون فيه أقطاب متعددة.[1]

وبدلا من الاستناد إلي مقولات تقليدية خاطئة لتحقيق السلام العالمي، يطرح الكاتب خمسة مرتكزات رئيسية لأي سياسة خارجية تطمح لتحقيق السلام العالمي، وتتمثل في:

- الحوار مع الأعداء، وهو ليس نوعا من "الاسترضاء"، بل نوع من أنواع الدبلوماسية. فالعداء بين الدول لا ينتهي عن طريق العزل والاحتواء، بل علي العكس من خلال المفاوضات وتسوية الخلافات.
- الديمقراطية ليست شرطا مسبقا لتحقيق السلام المستقر. فالدول الأوتوقراطية بدورها قادرة علي بناء شراكات دائمة مع بعضها بعضا، ومع غيرها من الدول الديمقراطية. ومن ثم، علي الولايات المتحدة الأمريكية أن تبني

(1)Robert D. Kaplan, Monsoon: The Indian Ocean and the Future of American Power, New York: Random House,2010.

علاقاتها الخارجية علي سلوك السياسات الخارجية للدول الأخرى، وليس علي أساس طبيعة نظمها السياسية.

- إن تحقيق ما يمكن تسميته ب"السلام المستقر" يعد مسألة سياسية بامتياز وليست اقتصادية، علي خلاف ما هو شائع بين الأكاديميين وصناع القرار من أن الخطوة الأولي لتحقيق السلام تتمثل في الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول، الأمر الذي من شأنه أن يفتح الباب أمام حل الخلافات السياسية. ويقدم الكاتب رؤية مضادة، فالتوافق السياسي من وجهة نظره لابد أن يأتي أولا، لكي يحقق الاعتماد المتبادل تداعياته الجيوبوليتيكية النافعة.
- الترتيبات والبني الاجتماعية المتشابهة بين الدول من شأنها أن تسهل عملية بناء سلام مستقر بين الدول، كما أن النظم الاجتماعية غير المتشابهة من شأنها أن تعيق تحقيق هذا السلام. ومن ثم، علي صناع القرار أن يولوا مزيدا من الاهتمام للترتيبات الاجتماعية داخل الدول، بدلا من طبيعة نظامها السياسي، وأن يعملوا علي تبني سياسات لتشجيع التغيير الاجتماعي، بدلا من التركيز المفرط علي الديمقراطية.
- من شأن القواسم الثقافية المشتركة بين الدول أن تعزز من إمكانية تحقيق السلام، ولا يعني ذلك حتمية الصراع بين الدول والحضارات ذات الثقافات المختلفة، كما تشير نظرية صدام الحضارات التي بشر بها المفكر الأمريكي "صمويل هنتنغتون". بل كل ما هنالك -بحسب الكاتب- أن القواسم الثقافية

المشتركة تلعب دورا لا يمكن إغفاله في بناء السلام بين الـدول، وغيابهـا لا يعنـي بالضرورة صعوبة أو استحالة تحقيق السلام.[1]

دور منهج الرئيس الأمـريكي بـاراك أوبامـا الـذي اضـطلع بـه مـن برنامجـه الانتخـابي وصـولاً لتكريـسه في الـسياسة الخارجيـة الأمريكيـة إزاء العـالم,ألا وهـو التغيير,[2]

فعبر أدوات القوة الناعمة التـي اعتمـدها كبـديل للقـوة الخـشنة,لم يخفي أوباما المخالب الأمريكية سراً,بل زاد التركيـز عليهـا مـن خـلال صـنع التغيير عبر آليات دعم حلفائه الغربيين لمنهجه وتنشيط حلف النـاتو لـدور الإنابة لما مطلوب منه.[3]

خامساً: موج تضاؤل الدور الأمريكي

وسنتناول ذلك بصيغ مؤشرات نتجت عن مقدمات وعن سياسـات معينـة ويمكـن تلمسها كما يأتي:

1- وكمؤشر سياسي تمثـل في الفـشل في إدارة الـصراع أو النـزاع في الـشرق الأوسـط, واندلاعه كحرب في 2006 و 2009, وتراجع الدور والتأثير الأمريكي في منـاطق عديدة من العالم, لذلك فكرت في اللجوء إلى الخيـار العقـلي واعـتماد التغيـير كخطوة ذكية.

---

(1)Charles A. Kupchan, How Enemies Become Friends: The Sources of Stable Peace, New Jersey: Princeton University Press, 2010 .

(2) قارن مع:شعبان رشاد,أوباما:قناص الديمقراطية وإعادة الثقـة,الوكالـة العربيـة للنـشر,ط1, 2009, 119صفحة.

(3) قارن مع:جوزيف س.ناي,القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية,ترجمة :محمد توفيـق البجيرمي, السعودية, مكتبة العبيكان, ط1, 2004,ص63-112.

2- فشل سياسة مكافحة الإرهاب الدولي, والتحول نحو حصر المواجهة بدلاً من الإسلام السياسي إلى تنظيم القاعدة فقط, وهو ما أعلن في إستراتجية الأمن القومي للرئيس أوباما في 27/أيار2010 باللجوء إلى التعاون مع الدول الكبرى في مواجهة المشاكل العالمية, وكأنه إقرار أمريكي بتعددية الهياكل في النظام الدولي والتلميح إلى ضرورة إصلاح الأمم المتحدة بزيادة العضوية للدائمين وغير الدائمين إشارة للإعلان عن بدأ التحول من نظام الحرب الباردة القديم إلى نظام دولي تعددي جديد[1] .

ويورد هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق في مقال له بعنوان "تحولات القوة" عن الواقع العالمي الجديد من منظور إستراتيجي إذ يقول "أن النظام العالمي الذي ساد في السبعينات كان من السهل تحديد خط إستراتيجي واضح بين القوى الدولية, أي بعبارة أخرى بين العظمى والكبرى والمتوسطة والصغرى, إلا أن الجديد الآن هو الصعوبة في هذا التحديد فالقياسات للقوة تغيرت وتداخلت ونتيجة ذلك يجعل من مسألة الأمن الجماعي عملية شاقة وصعبة, وكذلك النظرة للمشاكل الأمنية بازدواجية فالولايات المتحدة تنظر إلى الانتشار النووي من ناحية تقنية, ولكن الدول الأخرى تنظر لها من زاوية مغايرة لأمريكا." .[2]

---

(1) د.حسن نافعة,إصلاح الأمم المتحدة,جامعة القاهرة, مركز البحوث والدراسات السياسية, 1995,ص98-101.

(2) نقلاً عن :كارن أبو الخير,عالم بلا أقطاب :الحقائق الإستراتيجية الجديدة في النظام الدولي,القاهرة,السياسة الدولية-التحليل الآن,الجمعة 2 آذار2012.

3-تنامي العجز في الميزانية الأمريكية للسنة المالية 2009 إلى 1,6 تريليون دولار وبزيادة 9% عن 2008[1] وآثار ذلك على قدرة الولايات المتحدة على إعادة نشر قواتها وإدارة شؤون العالم كما كانت في السابق لذلك أولى الرئيس الأمريكي أوباما في السنتين الأولى والثانية من إدارته إلى معالجة الأزمة المالية الاقتصادية وإيجاد السبل الكفيلة لإشراك دول فاعلة في معالجة المشاكل العالمية

4- إن الأزمة المالية التي حدثت في عام 2008كانت الأعنف عليها منذ عام 1929 (تاريخ الأزمة الاقتصادية العالمية آنذاك) وحسب ما يقال أن لكل عصر نهاية, وكلما كان العصر أكثر بريقاً وتوهجاً, وكلما كانت نهايته أشد اشتعالا, إذ أفضى الانهيار إلى تباطؤ اقتصادي وضياع 40 تريليون دولار من قيمة الأسهم في الاقتصاد العالمي, وتأميم أكبر مؤسسات الرهن في الولايات المتحدة, وكان أضخم إفلاس في التاريخ , واختفاء البنك الاستثماري ناهيك عن أن خطط الإنقاذ والتحفيز المالية بلغت قيمتها تريليونات الدولارات, وكان من نتيجة ذلك تحول الولايات المتحدة إلى زيادة ديونها الداخلية على الناتج القومي الإجمالي إذ وصلت عام 2011 إلى أكثر من 16,5 تريليون دولار مقابل دخل إجمالي لا يتجاوز الـ 16 تريليون دولار وكان إجراء اختطه الرئيس أوباما لمعالجة الإنفاق الحكومي بالاستدانة بدلاً من تقليل الإنفاق .[2]

5- بروز نظريات جديدة كتعبير عن إفلاس إستراتيجي رغم فائدتها للولايات المتحدة بالأفق المحدد لها , لكنها حتماً ستغير من نفوذها وتأثيرها فيما بعد ,

(1)Council National Intelligence, Global Trends2025 :Transformed World, Foreign Affairs,Vol.89,Nov/Dec.2010.p.8

(2) فريد زكريا ,عالم ما بعد أمريكا, مصدر سبق ذكره,ص7 وص12.

إذ اعتمدت على التكهن باللامتوقع واللامحسوب أحياناً, فأزاحت نظريات اعتمدت عليها كالواقعية الجديدة أو السلوكية أو مدرسة القوة أو نظرية الاحتمالات أو نظرية اتخاذ القرار أو نظرية المباريات, وحلت نظريات جديدة مآلها الفوضى كنظرية التعقيد المركب ونظرية الاحتمالات الجزئية ونظرية المباريات الجديدة وفق منطق الفوضى, ومفهوم البجع الأسود أو السير العشوائي والفوضى الخلاقة أو البناءة, ومنهج التفكير خارج الصندوق ونموذج كومة الرمل ونموذج الأجسام الثلاثة كلها نظريات وأفكار للرد على حالة اللايقين التي سادت العلاقات الدولية,[1] أي بعبارة أخرى إخفاء المرسوم والمطلوب ورسم معادلات جديدة غير متوقعة وممارسة شيء من أجل شيء غير متوقع, ورسم معادلات متضاربة تنهي الطرفين وتحل مناخ جديد وعناصر جديدة.

وحقيقة إن أصحاب نظرية الفوضى قد ساقوا أفكارهم على ظواهر مغايرة لما اعتادوا عليه علمياً, مثل الفشل المحتوم وحركات أمواج البحر والتذبذب في عمل القلب والدماغ, ويعدونها ثورة ثالثة في علم الفيزياء بعد ثورتي نيوتن وأينشتاين.[2]

6- تلاشي النظام الأحادي القطب. بظهور فاعلين جدد إضافيين كالصين وروسيا واليابان, والبرازيل والإتحاد الأوربي,وكذلك بسبب متغيرات العولمة الاقتصادية الآخذة في تكثيف العلاقات السياسية والاجتماعية في الاعتماد المتبادل بين الدول عالمياً, فضلاً عن المصالح والطموح والتوترات

(1) ملحق السياسة الدولية ,ع 85, مصدر سبق ذكره,ص1-24.

(2) للمزيد أنظر :جيمس غليك,نظرية الفوضى:علم اللامتوقع, بيروت,دار الساقي,ط1, 2010, ص5-384.

التي ستصوغ العلاقات بين الدول الكبرى بشكل فردي مما سيكون له تأثير على التفاعلات كما كان الأمر بالنسبة للقوى الأوربية في القرن التاسع عشر أي التحول لنظام تعددي الأقطاب. [1]

7- زيادة التهديدات بفعل الإرهاب الدولي والتغير المناخي وزيادة السكان, والهجرة, والحروب الأهلية, والأمراض المعدية, وانتشار أسلحة الدمار الشامل بفقدان الضابط لها وهي الولايات المتحدة.[2]

8- فقدان الولايات المتحدة بعد احتلال العراق 2003 لأوراق اللعبة الدولية كلها, إذ أصبحت أقل مما كانت عليه منذ عام 1945 ـ2000.

9-اتجاه التفكير الإستراتيجي الأمريكي لا للتوليد والإبداع والخلق, وإنما إلى عرقلة المنافسين, ومواجهة التهديدات الآنية لا المستقبلية وكأنه إيذان للمرحلة القادمة من القرن, والإفلاس لما ستؤول إليه المتغيرات من أحداث.

10- فقدان الولايات المتحدة دورها الفاعل في تحديد الأجندة الدولية , كما كانت قبل خمس سنوات أو أكثر, وأصبح التأثير في تحديد ذلك إلى الحراك الاجتماعي والسياسي بفعل تأثير قوى العولمة والثورة التكنولوجية في وسائل الإعلام والاتصال.

11- تضاؤل وتراجع دور الدولار كعملة عالمية وهنالك من يرى أن مجرد تنوع دول نفطية لاحتياطاتها يفقد الدور وظيفته كعملة مرجعية عالمية.[3]

---

(1) علي حسين باكير,أمريكا تفقد زعامة العالم في 2020 لصالح الصين,من الموقع الالكتروني: http://www.akhbar al alam.net.

(2)Rohan Gunaratna,New Terror Threats in2012,The National magazine,20-Jan.2012.

(3) عبد الحليم فضل الله,النظام الدولي أمام خيارين أمريكيين:الانكفاء أو الشراكة, صحيفة الأخبار المصرية,ع782 في2009/3/28, ص14.

سادساً: موج تغير النظام الدولي

وبسب المشاكل المتجددة ومنذ التسعينات للقرن المنصرم , يتوقع أن ينـوء النظـام الدولي بمشاكل جديدة لربما تكون أكثر خطورة.

في هذا الإطار يعتقد البعض إن الأطر النظرية التقليدية لم تعد قـادرة عـلي تفسير الحقائق الدولية التي أصبحت تتسم بالتعقيـد ,إذ إن العـالم يعـيش مرحلـة انتقالية ويفتقر للنظام والمعنى ولطبيعة التشتت المرافقـة لـه,ومـن هنـا فمجـال العلاقات الدولية لم يعد قائماً عـلى أي منطـق أو نظـام منـسق وموحـد .ولـذلك لا يمكن في الوقت الحاضر بناء تـصور عقـلاني يتـيح فهـم وإدراك التفـاعلات الدوليـة فالعالم الاحتمالي المتقلب الذي نعيش فيه الفـارق بـين الأزمـة والاسـتقرار, النجـاح والفشل والتراجع سيتضاءل أكثر فأكثر ,وهذا ما سينهي كل الترتيبات الكـبرى التـي يكون طموحها هو ضمان السلم والتوازن في العالم لسنوات طويلة[1] .

وفي مقاله "الحركة نحو عالم ما بعد الحرب "يلقي سـيمون سـيرفاتي , أسـتاذ العلاقات الدوليـة ,نظـرة شـاملة عـلى اللاعبـين الرئيـسين في عـالم مـا بعـد الحـرب والعلاقة بينهم , فيقرر الكاتب في البداية إن عصر الأحادية القطبية قد ولى إلي غير رجعة ,كما يستبعد أن يعود العالم إلى حالة مـن الثنائيـة القطبيـة ,فـرغم تراجـع القوة الأمريكية ,فإنه ليست هناك أي قوة دولية أخرى ,قادرة على فـرض الهيمنـة عليها أو حتى الوصول إلى موقع النِديّة معها..

(1) محمد سعدي,مستقبل العلاقات الدولية,مصدر سبق ذكره,ص66-67.

الواقع العالمي الجديد إذاً يتسم باللاقطبية ,حيث تتعدد فيه القوى الصاعدة بشكل غير مسبوق ,بالإضافة إلي العديد من الدول التي وإن كانت أقل حجماً, فإنها تكتسب, لأسباب مختلفة ,نفوذاً متصاعداً على الساحة الدولية ,وإن وجود عدد من الفواعل وغياب أشكال القيادة في عالم متعدد القوى سيوجد مناخاً من الفوضى ,وربما يكون محفوفاً بالمخاطر .فهنالك مصالح متشابكة قد تدعم التعاون فيما بين الأقطاب المتعددة ,لكن اختلاف الرؤى والمناهج فيما بين هذه الأقطاب يجعل الخريطة الجيوسياسية حافلة بالتناقضات وعدم الوضوح ,وسوف تصبح عملية اختيار الحلفاء والأصدقاء وردع الخصوم , وتفادي النزاعات ,في ظل هذا الوضع العالمي الجديد شديدة الصعوبة [1].

إزاء ذلك ماذا سيكون النظام الدولي في المستقبل القريب والمتوسط والبعيد؟هنالك رؤى عديدة ,لعل أبرزها:

1.استمرار الولايات المتحدة كدولة زعيمة ومهيمنة في العالم ,ولكن ليست مهيمنة علي كل العالم ,وحول ذلك يقول شكسبير "بأن بعض الدول خلقت عظيمة وبعض الدول تسعى إلي العظمة ,وبعض الدول ألقيت على كاهلها العظمة والولايات المتحدة جمعت الأمور كلها",[2]ولكن مقدمات العظمة

---

(1) جان بركنس, التاريخ السري للإمبراطورية الأمريكية, ترجمة المحامي حسين علي, دمشق – دار الطليعة الجديدة, ط1 ,2010, ص139-143.

(2) د.حسين كنعان,مستقبل العلاقات العربية الأمريكية ,بيروت ,دار الخيال,ط1, 2005, ص190.

التي تتباهى بها طيلة تاريخها هـي فقـط كتابـات ومواقـف الآبـاء المؤسـسين بمـا تجسده من أخلاق حميدة للمفاهيم الاجتماعية والسياسية.

وإن مستقبل النظام الدولي سيضل مقروناً بالولايات المتحدة لمدى أكثر مـن 50 عاماً وذلك لأنها ستبات القوة الرئيسية فيه لمدى أربعة عقود قادمة [1].

لذلك تنتقد تلك الرؤية كل الكتابات التي تتنبأ بزوال القوة الأمريكيـة مثـل كتابات د.فريد زكريا في كتابة "عالم ما بعد أمريكـا" أو "العـالم المـسطح "لتومـاس فريدمان وكذلك تنتقد كتابات ومفـاهيم جوزيـف نـاي في فرضـية القـوة الناعمـة حيث تراها غير مجدية كما في تأثير القوة العسكرية .[2]

2.وترى إن العالم وكما أسلفنا سابقاً سيكون عالمـاً بـلا أقطـاب ,إذ سـوف لا تتوفر القدرة عـلى تحقيـق الاسـتقطاب أو إيجـاد الأقطـاب كـما كانـت في الحـرب الباردة, بيد إن الولايات المتحدة ستبقى المركز الأول مع وجود فارق كبير في عناصر القوة بينها وبين من يليها من الأقطاب .[3]

الدبلوماسي الأمريكي السابق ريتـشارد هـاس تحـدث عـن مـا أسـماه "عـالم اللاقطبيـة"NON Polarity بمعنـى عـدم وجـود طبقـة عليـا مـن الـدول الكـبرى يمكن النظر إليها باعتبارها أقطاب العالم , ويقارن ذلك بمـا شـهده العـالم في القـرن التاسـع عـشر والنـصف الأول مـن القـرن العـشرين مـن تعدديـة قطبيـة ,وبعـد

(1) روجيـه جـار ودي,الولايـات المتحـدة:طليعـة الانحطـاط,ترجمـة مـروان حمـوي,سـوريا ,دار الكتاب,ط1, 1998,ص14 وما بعدها.

(2)Leslie H.Gelb, Powers,Rules;How Common Sense Can Rescue American Foreign Policy,(Collins Harper,March,2009) p,69.

(3) أحمـد جميـل عـزم,النظـام الـدولي في عـالم مـا بعـد الأحاديـة القطبيـة,أبـو ظبـي,مجلـة آفـاق المستقبل,ع1 أيلول-تشرين أول 2009, ص91.

الحرب العالمية الثانية من ثنائية قطبية ,ثم الأحادية القطبية بعد إنتهاء الحرب الباردة .ويشير هاس إلى إن ثمة أمرين جديدين تطوراً خلال العقود القليلة الماضية,الأول هو نشوء دول إقليمية ذات تأثير كبي, ولكنها أقل قوة من قائمة الدول العظمى المعروفة, ويورد هاس هنا قائمة ببعض الدول الإقليمية مثل البرازيل, نيجيريا,جنوب أفريقيا ومصر وإيران وإسرائيل والسعودية والباكستان, واستراليا, وإندونيسيا وكوريا الجنوبية, وهذه الدول تنافس القوى العظمى في الإطار الإقليمي وعلى مستوى بعض القضايا في العالم.

والتطور الثاني هو بروز لاعبين فاعلين على الساحة الدولية, لكنهم لا يصنفون كدول مثل المنظمات العالمية الاقتصادية وغير الإقتصادية, والروابط شبه السيادية, والمنظمات الغير حكومية, والهيئات الإقليمية والمؤسسات الإعلامية الكبرى ذات التأثير المعولمة[1].

وتتفق معظم الكتابات الأمريكية المحايدة على إن الولايات المتحدة ستظل القوة الفاعلة في النظام الدولي الذي لا يزال في طور التشكيل إلا إن اختلاف موازين القوى بين الولايات المتحدة والقوى الصاعدة سيضيق, كما تتفق على قدرة الولايات المتحدة علي الخروج من أزمتها واستغلالها كفرصة لتعزيز نفوذها الدولي[2].

ويشبه معظم الباحثين ما تمربه الولايات المتحدة الآن بما مرت به القوى البريطانية في القرن العشرين, إذ ينطلق أصحاب الرأي الأول على إن الولايات المتحدة قد صاغت سياسات جديدة لمعالجة النهوض بالاقتصاد ومما يشجع

(1) د.السيد أمين شلبي,من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد,القاهرة,مجلة السياسة الدولية,ع179 كانون الثاني 2010, ص36.

(2)Richard N.Hass ,The Age of Nonpolarity:What Will Follow U.S Dominance, Foreign Affairs,No.3,May-June,2008.

زيادة المدخرات وزيادة الدورات التدريبية في مجال العلوم والتكنولوجيا وتطوير أساليب جديدة في استغلال الطاقة [1].

كما تتفوق الولايات المتحدة على باقي الدول بالإنفاق على التعليم العالي, ففي عام 2010 جاءت سبعة عشر جامعة أمريكية ضمن أفضل عشرين جامعة, كما أن لمواطني الولايات المتحدة العدد الأكبر في الحصول على جوائز نوبل, وهي أعلى دولة في معدل النشر العلمي [2].

3.وترى تلك الرؤية إن هناك أشبه بالاتفاق لدى مجموعة كبيرة من الكتاب بأن النظام الدولي الذي سيتبلور سوف يكون جديداً ولم تتضح معالمه بعد ,فربما ثنائي على غير الثنائي في الحرب الباردة, أو ثلاثي القوة عماده الولايات المتحدة والصين والهند أو تعددي ليشمل قوى أخرى [3].

إذ يعتقد الكثيرون أن النظام العالمي الناشئ متعدد المراكز, فالصين ستبقى في الأساس قوة إقليمية ,واليابان ستؤكد نفسها قومياً وواقعياً والإتحاد الأوربي سيفتقد للتأثير في ما وراء منطقته المباشرة, والهند ستصعد لمنافسة الصين, وروسيا ستعاود الانطلاق, وسابقاً وصف السياسي البريطاني الراحل ونستون تشرشل بأنها "لغز مغلف بالغموض داخل أحجية أكبر ألغاز العالم المحيرة"[4].

---

(1)pape Report,A National Interest,Empire ,Falls,22 January,2000 .

(2)Joseph S.Nye,The Future of American Power,Foreign Affairs ,Issue6, Vol.89, Nov/ Dec,2010.

(3)Raghav Bahl,The Amazing Race Between Chinas Have and Indias Tortise,Protfolio Peguin,New York,2010.

(4) باراج خانا,العالم الثاني:السلطة والسطوة في النظام العالمي الجديد, ترجمة دار الترجمة,بيروت, الدار العربية للعلوم –ناشرون,ط1, 2009, ص23 وص49.

ويرى هنري كيسنجر ,إن التهديد الكبير سيكون من القوى الكبرى أو العظمى في آسيا وهي أكبر حجماً وأكثر سكاناً بكثير من أمم أوربا في القرن التاسع عشر ,وهي الهند والصين واليابان وروسيا وكذلك كوريا الجنوبية ودول جنوبي شرقي آسيا ,وأي ائتلاف بينهما قادر على تهديد الأمن القومي الأمريكي (1).

ويرى روبرت كابلان إن الهند لديها ما يجعلها قوة عالمية بارزة, وهي رابع أكبر دولة في استهلاك الطاقة عقب الولايات المتحدة والصين واليابان, ويمثل النفط أكثر من 90% من احتياجات الطاقة الهندية وإذا شعرت الولايات المتحدة بخسارة جسيمة بعد خسارتها,(2)من جراء سياساتها في إستراتيجية مكافحة الإرهاب التي غذت شركات النفط في العالم, فإنها ستحتكم لمنطق جديد بعد أن ترى ثمار تخطيط سياستها قد انقلبت عليها سلباً (3).

إذ سيشهد القرن ربما في العقدين القادمين تقارباً بين الأعداء واختلاف بين الأصدقاء, فمثلاً تقارب بين ألمانيا و فرنسا وروسيا وتقارب بين بريطانيا والولايات المتحدة لدرجة إستراتيجية. إزاء ذلك ستلجأ الولايات المتحدة بما

(1) هنري كيسنجر,هل تحتاج أميركا إلى سياسة خارجية؟,ترجمة عمر الأيوبي ,بيروت ,دار الكتاب العربي,ط1, 2002, ص16.

(2)Robert D.Kaplan;Monsoon:The Indian Ocean and the Future of American Power,New York:Random House,2010.

(3)George Lakoff,The Political Mind:Why You Cant Understand 21 st.Century American Politics with an 18th Century Brain,Pengiun group,U.S.A.2008.

متاح لها من مقومات إلى تنظيم حالة الفوضى في العالم الإسلامي وبناء تحالفات وتوازنات إقليمية تخدم مصالحها .[1]

والعالم الفوضوي أو شبه الفوضوي يخدم الإستراتيجية ويخدم تطلعاتها في النظام الدولي. وهو الأمر الذي ستعول عليه الولايات المتحدة في المستقبل لمواجهة التحديات التي تقف ضد مصالحها الإستراتيجية في العالم.[2]

سابعاً: موطن التراجع الأمريكي

وثمة رؤيتين الأولى أكاديمية لباحث عربي, والثانية إستخبارية أمريكية حديثة.

الأولى:الرؤية الأكاديمية لباحث عربي:وتعلل التراجع وفق المنطق الآتي:

أولا :التراجع في القدرات العسكرية

صحيح أن الولايات المتحدة تملك ترسانة هائلة تستطيع أن تدمّر المعمورة آلاف المرّات. لا نشكّ في ذلك الأمر ولكن فيما يتعلّق بالأداء العسكري فالأمر يحتاج إلى نقاش. فعّالية اِلآلة العسكرية .منذ انهيار الاتحاد السوفيتي أصبحت القدرة العسكرية الأميركية التي لا تقهر نوعا من المعتقد الإيماني بين أخصائيي السياسة الخارجية الأميركية ونخبها, وتعتقد تلك النخب أن تلك القدرة العسكرية لا يحدّها شيء إلاّ الانضباط الإنساني والضمير الكاظم عند القيادات الأميركية. لكن بعض الباحثين يعتقدون أن التفوّق العسكري الأميركي أقل شمولية مما يُعتقد وأقل فائدة مما يتصوّره المحافظون

---

(1)George Friedman,The Next Decade:Where Weve Been and Where Were Going,Doubleday,New York,2011.

(2) روبرت فيليب ,أمريكا ستعجز عن قيادة العالم بالأسلوب الذي اعتادته,أبو ظبي,مجلة آفاق المستقبل,ع1 أيلول –تشرين أول 2009, ص80-81.

الجدد والمتشدّدون الأميركيون . إن الحروب التي شنّتها الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وانتصرت فيها لم تكن إلاّ على خصوم أقلّ قوّة ومقدرة على مجابهتها كبنما وغرينادا والعراق وأفغانستان,أما الخصوم الأكثر كفاءة ومقدرة عسكرية فإمّا أجبرت الولايات المتحدة على التعادل معها مثل كوريا أو هزمتها كفيتنام..

ثانياً: التراجع الاقتصادي وتمثل بالآتي:

1- حجم الدين العام الذي تجاوز في نهاية 2012 ,16 تريليون دولار بينما تقديرات الناتج الإجمالي الداخلي لعام 2012 لم تتجاوز 15,6 تريليون، أي بمعنى آخى تجاوز الدين العام الناتج الداخلي. كما أن الناتج الداخلي الأميركي أقلّ بحوالي 2 تريليون دولار من الناتج الداخلي للإتحاد الأوروبي، أي أصبح في المرتبة الثانية بعدما كان في بداية الألفية في المرتبة الأولى. وأرقام الدين العام تمثل تراكم العجوزات المتكرّرة في الموازنة الأميركية ولا تأخذ بعين الاعتبار التزامات الضمان الاجتماعي ولا التزامات المؤسسات الضامنة للقروض.

2- حجم الدين المتفاقم أفضى إلى ضرورة إتباع سياسات تقشف بالإنفاق تشمل نفقات وزارة الدفاع والتي ستؤثر على الأداء العسكري الأميركي خارج الولايات المتحدة. إضافة إلى ذلك فموجة عصر النفقات ستؤدي إلى إغلاق عدد من القواعد العسكرية داخل وخارج الولايات المتحدة. فإغلاق القواعد داخل الولايات المتحدة سيساهم في تفاقم البطالة حيث عدد كبير من الولايات تستفيد مباشرة من نفقات وزارة الدفاع كولايات كارولينا الشمالية والجنوبية على سبيل المثال.

3- حجم البطالة المتفاقمة التي تتنافى مع الأرقام المستقرّة للبطالة بمستوى 8-9 بالمائة. وتلجأ الدوائر الأميركية إلى الاحتيال في تقديم أرقام البطالة إذ تذكر

عدد الطالبين بالتعويضات عن البطالة كمؤشر عن البطالة. غير أن ما لا تقوله هذه الأرقـام أن عـددا كبـيرا مـن الطـالبين ييئـسون مـن الوقـوف في طـوابير الـضمان الاجتماعي وبالتالي يخفّ عددهم إحصائيا دون إلغـاء واقعهـم البطـال .أضـف إلى ذلك تفاوت البطالة بين الولايات وبين مكّونـات المجتمـع حيـث البطالـة تـصل إلى 14-15 بالمائة في بعض الولايات وبـين الأقلّيـات الـسوداء والـسمراء وبـين الـشباب والنساء. كما أن الوظائف التي يخسرها الاقتصاد الأميركي لا تستبدل بوظائف أكـثر مردودا للعامل. وتشير دراسات عديدة أن مستوى الأجور الحقيقي (أي آخذ بعـين الاعتبار تضخّم الأسعار) في انحـدار مـستمر منـذ ولايـة نيكـسون . كـما لا بـد مـن الإشارة إلى تراجع الحركة العمّالية التي واكبت التحوّلات في البنية الاقتـصادية مـن اقتصاد يعتمد على الصناعة والزراعة إلى اقتصاد يعتمد على الخدمات بـشكل عـام والخدمات المالية بشكل خاص. فالعمل النقابي أصبح مهشما بـسبب تراجـع نـسبة التصنيع التي شكّلت العمود الفقري للحركة النقابية. بـدأ ذلـك الأمـر مـع رونالـد ريغان الذي أطلق حركة تفكيك القيود التي وصلت ذروتها في عهد كلينتـون الـذي سمح للمصارف في دخول عمليات المضاربة على الأسهم بودائع الآخرين ولحـساب المصارف وليس لحساب المـودعين فكانـت الأزمـة الماليـة في 2008 التـي شرحناهـا بتفصيل في عدة أبحاث ومقالات.

4- حجم العجز في ميزان التجاري الـذي تجـاوز 540 مليـار دولار عـام 2012 مـما يدّل أن الولايـات المتحـدة التـي كانـت تـصدّر للعـالم أصـبحت تـستورد حاجياتهـا بشكل متعاظم من العالم مما يكرّس انكشافا وتبعية له ناتجة عن عمليـة التـصنيع السلبي أو العكسي التي بـدأت في الـسبعينات مـن القـرن المـاضي عنـدما أقـدمت الــشركات الــصناعية الكــبرى عــلى إعــادة تــوطين قاعــدتها الإنتاجيــة خــارج

الولايات المتحدة وخاصة في الإقتصادات النامية التي لا تخضع إلى قيود عمالية وبيئية وضرائبية تذكر. فإعادة توطين القواعد الإنتاجية خارج الولايات المتحدة مع ما يرافق ذلك من تحويل التكنولوجيا إلى الخارج وفقدان الولايات المتحدة ذلك الحيّز في مجال القطاع التكنولوجي دفع عدد من الباحثين لحثّ الإدارة الأميركية على إعادة النظر في السياسة المعتمدة إلاّ أنهم مستاءون من اللامبالاة التي تمارسها الإدارة تجاه القطاع الصناعي.

5- انخفاض قيمة الدولار مقابل اليورو والين والجنية الإسترليني مما يشجّع حركة الصادرات الأميركية ويقلّص على الأقل على الصعيد النظري الاستيراد. لكن تخفيض الاستيراد الأميركي لأنها أصبحت أكثر كلفة للأميركيين يضعف حكومات العالم التي تتعامل مع الولايات المتحدة لأن الاستيراد الأميركي ومن وراءه الاستهلاك الداخلي هو المحرّك الأساسي للنمو الاقتصادي في العالم .فالصادرات الصينية, ومعظمها تذهب تجاه الولايات المتحدة تحتاج إلى استمرار الاستهلاك الأميركي حتى عبر ازدياد المديونية العامة للدول المصدّرة تجاه الفترة السابقة. فأصبحت النتيجة شبح معروفة من قبل من يتابع التطوّرات الأميركية أي أنها لمصلحة الصين ومن ورائها اليابان وعدد من الدول الآسيوية المصدّرة للولايات المتحدة. لكن الاستيراد الأميركي لم يتوقف ولم يضعف وبالتالي يستمرّ العجز في الميزان التجاري مما يشكّل ضغطا مستمرّا على الاقتصاد الأميركي وتمويله عبر الدين. وإذا سألتم أين الدين من ذلك فهو عبر طباعة الدولار لتمويل الاستيراد. فطالما النظام المدفوعات العالمي يستند إلى الدولار (وإن انخفضت قيمته) فالولايات المتحدة ستستمر بطباعة النقود دون أي رادع. وكما قال جون كونللي وزير المالية (عام 1972) في عهد الرئيس نيكسون لوزراء خارجية أوروبا واليابان: الدولار عملتنا ولكن مشكلتكم! لكن انخفاض

الدولار يقلّل من قيمة الاستثمارات الأجنبية في الولايات المتحدة التي ترى في التخفيض المتعمّد للدولار سياسة مدروسة لتقليل القيمة الفعلية للدين الأميركي وللاستثمارات الأجنبية. هذه عملية قرصنة ممنهجة مرتكزة على القوة المفرطة السابقة في رأينا للولايات المتحدة لابتزاز العالم. لكن اليوم نرى محاولات جادة لتجنّب الاتكال على الدولار في المبادلات الخارجية عبر التبادل العيني للسلع الإستراتيجية التي تقلِّص دور الدولار في تحديد القيمة ونفوذ الولايات المتحدة.

6- تآكل القدرة التنافسية. العجز في الميزان التجاري يكشف عن واقع ذي أهمية بالغة .فبعد الحرب العالمية الثانية وحتى 1980 كانت التجارة الخارجية تمثل 8.3 بالمائة من الناتج القومي وكان الميزان التجاري دائما في حالة فائضة. غير أن المنافسة من اليابان ودول أخرى أدت إلى تبخّر تلك الفوائض. لكن في المقابل ازدادت أهمية قطاع التصدير كقوة دافعة للاقتصاد الأميركي علما أن التجارة الخارجية كانت دائما الحجر الزاوية للسياسة الخارجية الأميركية منذ القرن التاسع عشر. ومع انهيار الاتحاد السوفيتي كان من المتوقّع أن تأخذ الولايات المتحدة حصة الأسد من انفتاح الأسواق في أوروبا الشرقية إلا إن الوقائع كانت مخالفة للتوقعات. فتراجع الشيوعية أدى إلى تقوية مناطق منافسة للولايات المتحدة حيث حصل الاتحاد الأوروبي على حصة الأسد. ففي عام 2003 كانت حصة الاتحاد الأوروبي من التجارة مع روسيا 37 بالمائة بينما كانت حصة الولايات المتحدة 5 بالمائة فقط. أما حصة استثمارات الولايات المتحدة في روسيا فكانت 16 بالمائة أي أقل من حصة ألمانيا وأقل بكثير من حصة الاتحاد الأوروبي. أما في شرق آسيا فالمشاركة الأساسية في التجارة مع الصين هي للمغتربين الصينيين أولا ومن بعدهم اليابان وتأتي الولايات المتحدة

في المرتبة الثالثة مع الاتحاد الأوروبي . هذه الوقائع تدّل بوضوح أن الولايات المتحدة ليست بنفس المرتبة والقدرة التنافسية للتكتلاّت الإقليمية المنافسة لها.

ثالثاً: التراجع السياسي وأبرز مواضعه في:

1- فقدان التوازن في عقل النخب الحاكمة بين ضرورة التمسّك بالإمبراطورية الكونية وبين مقتضيات الجمهورية.من جهة أخرى كان لا بد من إلهاء المواطنين الأميركيين الآتين من مختلف بقع الأرض وإعطائهم فكرة يتمسّكون بها فكان شعار « الحلم الأميركي ». وهذا الشعار يوعد المواطن الأميركي بحياة من الرفاهية إن تخلّى عن الإرث السياسي والفكري الذي أتى به من وطنه الأم. كما أن التسهيلات التي أعطيت منذ ستينات القرن الماضي في امتلاك السلع جعلته يعيش مظاهر الرفاهية ولكن عبر الاستدانة دون المطالبة برفع الأجور والرواتب. فالدين هو الذي يمكّن المواطن الأميركي من عيش حياة الرفاهية في امتلاك المنزل والسيارة وأحدث الإلكترونيات الخ. وإن كان راتبه أو دخله لا يسمح بذلك. فالمواطن الأميركي أصبح يعيش فوق مستوى قدراته وأي تصحيح في الأوضاع يعني انخفاض مستوى المعيشة وهذا ما لا تستطيع أن تتحمّله أي قيادة سياسية في البلاد.

2-انتشار ثقافة الدين كانت سياسة متعمّدة لدعم الاستهلاك. لكن في الماضي أي حتى بداية الستينات كان مصدر الاستهلاك الصناعة الأميركية. مع إعادة توطين الصناعات في الخارج كان لا بد من نشاط بديل يخلق الثروة فكان التحوّل السريع نحو قطاع الخدمات وخاصة الخدمات المالية. فتلازم الدين المحلّي مع نمو الدين الخارجي لتمويل الاستهلاك الداخلي. من جهة أخرى فإن السياسات المالية استلزمت فكّ القيود المنظّمة مما أفقد الضوابط على ممارسات الشركات ومسؤوليها. كما أن هذه السياسات رافقتها الاتكال على السياسة

النقدية المتحرّرة من القيود وضرورة تقليص دور السياسة المالية أي بمعنى آخر تفكيك تمكين الدولة المركزية من قدرات على تقديم الخدمات بحجة أن الضرائب هي أموال المواطن والأخير أحق بها من الإنفاق غير الرشيد للدولة .إذا من جهة هناك سياسة للإثراء السريع عبر سياسة نقدية متحرّرة من القيود وتُسهّل المضاربات المالية وهناك سياسة مالية تضغط لتقليص دور الدولة .وتقليص دور الدولة يخفّف من قدرتها الرقابية على الممارسات غير القانونية وغير الأخلاقية لمسؤولي الشركات الذين استطاعوا إغراء وإفساد المُشرّع بشكل عام.

3-التردّي السياسي وصل إلى ذروته في الاستقطاب الحاد بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري. كما أشرنا أعلاه فإن الخلاف الأساسي الفكري بين الحزبين هو حول دور الدولة المركزية وحجمها. وبما أن سياسات الحزب الجمهوري تهدف إلى تقليص دور الدولة من جهة واستمرار التمسّك بالإمبراطورية وما يستلزم ذلك من موارد عسكرية ومالية فهنا تناقض واضح بين الطموحات والإمكانيات. يعتقد الحزب الجمهوري أن بإمكانه الحفاظ على المكتسبات وفرض قوة الولايات المتحدة على العالم وتخفيض النفقات الحكومية ولكن عبر تقليص الخدمات العامة كالضمان الاجتماعي والتعليم والتطبيب. هذه الوصفة كارثية على الصعيد الداخلي ودون جدوى على الصعيد الخارجي إذ أن المزاج الأميركي هو في تقليص الالتزامات الخارجية كما أشار بات بيوكانان المعلق الجمهوري البارز والمرشح السابق للرئاسة الأميركية . نذكّر هنا أن الكلفة المباشرة للحرب في كل من أفغانستان والعراق تجاوزت 1,3 تريليون دولار. وإذا أضفنا الكلفة غير المباشرة فإن الكلفة الحقيقية للحرب في العراق حسب جوزيف ستيغليتز الاقتصادي الأميركي المرموق الحائز على جائزة نوبل

في الاقتصاد قد تتجاوز 3 تريليون دور والحبل على الجرّار . لذلك نرى الرئيس أوباما يسعى إلى الانسحاب من أفغانستان بأسرع وقت ممكن لتخفيف العبء المالي والسياسي والمعنوي .يقابل الموقف الجمهوري موقفا من الحزب الديمقراطي على 180 درجة منه في دور وحجم الدولة ولكن يتاوفق معه في الدور الإمبراطوري. لكن يعي الحزب الديمقراطي أن المزاج الأميركي لا يؤيّد فتح جبهات جديدة أو الخوض في حروب لا تمسّ مباشرة بالأمن القومي الأميركي، أي الدفاع عن الولايات المتحدة. الخلاف على الأجندة الداخلية وصل إلى حال من الحدة حيث أصبحت اللعبة الصفرية تتحكّم بالأداء السياسي. ف »مكسب » فريق يُعتبر « خسارة » للفريق الآخر وإن كان لمصلحة الوطن. أصبح العمل السياسي محوره إفشال الفريق الآخر مهما كلّف الثمن.

رابعا: التحوّلات الجذرية في الولايات المتحدة

التحوّلات الجذرية في الولايات المتحدة تكمن في أربعة محاور رئيسية: المحور الأول هو التحوّل الاجتماعي والسكاّني. المحور الثاني هو عسكرة المجتمع الأميركي . المحور الثالث هو تردّي البنية التعليمية حيث فقدت الولايات المتحدة ريايديتها في التعليم الابتدائي والثانوي وعلى شفى فقدان الريادية في التعليم الجامعي. المحور الرابع التحوّل من اقتصاد إنتاجي إلى اقتصاد ريعي وما يرافق ذلك من تداعيات على الحوكمة والمحاسبة والمسائلة.[1]

---

(1) د.زياد حافظة, التراجع الأميركي: أسباب وتداعيات,موقع التجديد العربي,7 آذار
http://arabrenewal.info/2013

الرؤية الثانية: الرؤية الإستخبارية: وتحلل التراجع وفق ما يلي:

والتي تقر بأن تقنيات جديدة، موارد متناقصة، وانفجار في النمو السكاني خلال السنوات الثماني عشرة المقبلة، هي المستجدات التي ستغير توازنات القوة العالمية، وتؤذن بحدوث تحولات اقتصادية وسياسية جذرية بسرعة لم يسبق لها مثيل في التاريخ الحديث .هذا ما يقوله تقرير جديد أصدره مجتمع أجهزة الاستخبارات في الولايات المتحدة.التقرير المكون من 140 صفحة، والذي أصدره مجلس الاستخبارات القومي يوم 10 كانون الأول 2013، يعرض المخاطر والفرص التي ستكون متاحة للأمم، والاقتصاديات، والمستثمرين، والأنظمة السياسية والقادة، وفقاً لأربعة اتجاهات كبيرة . يقول محللو استخبارات الحكومة إنها تعمل على تحويل العالم. وهذه الاتجاهات الأربعة الرئيسية هي :نهاية الهيمنة الأميركية على العالم؛ القوة الصاعدة للأفراد في مقابل الدول؛ صعود طبقة وسطى تتحدى الحكومات بمطالباتها؛ وعقدة مستعصية من نقص المياه، والغذاء، والطاقة، وفقاً للمحللين. ووفقاً لرئيس اللجنة، كويم، فإن المستقبل طيِّع وينبغي أن تنصب جهودنا على تشجيع صانعي القرار، سواء في الحكومة أو خارجها، على التفكير والتخطيط للمدى الطويل بحيث لا تتحقق أشكال المستقبل السلبية، وبحيث يكون للأنواع الإيجابية منها فرصة أفضل للتحقق .

ويعكس التقرير الأحكام التوافقية وآراء التي اجتمعت عليها كافة وكالات المخابرات الأميركية الست عشرة، والتي تشاورت أو تعاقدت مع أكاديميين، ومعاهد بحوث، وقادة سياسيين، وشركات كبيرة في 14 دولة، بالإضافة إلى الاتحاد الأوروبي. وقال المستشار ماثيو بوروز، المؤلف الرئيسي لتقرير مجلس المخابرات القومي، إنه في حين أن التقدم التكنولوجي والهجرات

والحروب وعوامل أخرى هي التي كانت قد دفعت التغيير في فترات سابقة، فإن ما سيحدد شكل ربع القرن القادم سيكون الطريقة التي ستجتمع بها سبع" تحولات تكتونية " لإحداث تغير بمعدل متسارع. وهذه العوامل هي :نمو الطبقة المتوسطة؛ وتوسيع نطاق الوصول إلى التقنيات الجديدة؛ تحوُّلات مراكز القوة الاقتصادية؛ وتشيُّخ السكان، والتوسع الحضري؛ وتزايد الطلب على الغذاء والماء؛ واستقلال الولايات المتحدة في مجال الطاقة. ووجد التقرير أن تلك السرعة هي مسألة تتكون من عدة ديناميات يعزز كل منها الأخرى. وأحدها هو ما يصفه التقرير بأنه تحول حاسم للقوة الاقتصادية إلى الشرق والجنوب » حيث من المتوقع أن تهبط حصة الولايات المتحدة وأوروبا واليابان من الدخل العالمي بحلول العام 2030من 56 % اليوم إلى ما تحت النصف.

ويستشرف التقرير قيام اقتصاد دولي سيكون عرضة لقدوم كوارث محتملة مثل انهيار اليورو والاتحاد الأوروبي، وحدوث وباء، وانهيار اقتصادي صيني، ووقوع حرب نووية أو هجوم إلكتروني منهك في الفضاء الإلكتروني.

ويقول التقرير إنه حتى مع غياب مثل هذه الأحداث فإن العودة إلى معدلات النمو والأنماط السابقة من العولمة السريعة لما قبل العام 2008 تبدو مستبعدة بشكل متزايد، على الأقل خلال العقد المقبل، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن إجمالي الديون غير المالية فيما بين البلدان السبعة الكبار G-7 قد تضاعف منذ العام 1980 ليصل 300 % من الناتج المحلي الإجمالي.النمو السكاني السؤال الرئيسي، كما يقول التقرير، هو ما إذا كان تباين معدلات النمو والتقلبات المتزايدة ستؤدي إلى انهيار اقتصادي عالمي، أو ما إذا كان تطور مراكز النمو المتعددة سيؤدي إلى خلق مرونة فيه.

وسيزيد سكان العالم الذين تتنبأ التوقعات بارتفاع عددهم إلى 8.3 مليار من 7.1 مليار اليوم بحلول العام 2030 من حجم الضغوط، كما يقول التقرير.

سينضم المزيد من الناس إلى الطبقة المتوسطة، وخاصة في العالم النامي. وتتنبأ حتى التقديرات المحافظة بأن تتضاعف الطبقة الوسطى العالمية لتصل إلى أكثر من 2 مليار شخص في غضون 18 عاماً.

وسوف يزدهر قطاع التعليم وسيستفيد أيضاً من نمو الطبقة الوسطى، كما يقول التقرير، وسيكون النجاح الاقتصادي مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالمستويات التعليمية. ومن المتوقع أن يرتفع متوسط مستويات التعليم في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من 7.1 سنة إلى 8.7 سنة. كما سيرتفع مستوى تعليم المرأة -وهو محرك لكل من النمو الاقتصادي والصحة والرفاه الاجتماعي على حد سواء- من 5 سنوات إلى 7 سنوات في المنطقة، وفقاً للتقرير.

نمو المدن: سوف يتوافد الكثيرون من هذه الطبقة الوسطى المتنامية بكثافة على المدن، ليزيدوا بذلك سكان العالم في المناطق الحضرية من نحو 50 % من الإجمالي العالمي إلى ما يقرب من 60 % بحلول العام 2030 .وسوف يؤدي تصاعد الدخول إلى زيادة شهيتهم للطعام - خاصة البروتين من اللحوم والأسماك- بالإضافة إلى استهلاك المياه والطاقة اللتين ستعانيان من قصور في العرض، كما يقول التقرير، فيما يعود في جزء منه إلى أن تغير المناخ ونقص المياه سيغيران أنماط الأراضي الصالحة للزراعة، كما يمكن لتزايد الطلب على الطاقة أن يحد من كمية الوقود المتاحة لصناعة الأسمدة وغيرها من المنتجات. سوف يرتفع الطلب على الغذاء بنسبة 35 % بحلول العام 2030، في حين ستنخفض المكاسب العالمية من الإنتاجية الزراعية، كما يقول التقرير. وسوف ترتفع الاحتياجات المائية في جميع أنحاء العالم لتصل إلى 6900 مليار متر مكعب

في العام 2030، لتصبح أكثر بنسبة 40 % من إمدادات المياه المستدامة الحالية، مما يجعل المياه السبب المحتمل للصراعات الإقليمية، ولا سيما في جنوب آسيا والشرق الأوسط، كما يقول التقرير.

التغير المناخي

سوف يعقّد تغير المناخ إدارة الموارد، وخاصة في آسيا، حيث الرياح الموسمية ذات أهمية حاسمة لموسم النماء، ويمكن لإنخفاض هطول الأمطار أن يعطل قدرة المنطقة على إطعام سكانها الذين يتزايد عددهم باطراد.

وقال بوروز إن التغيرات في أنماط هطول الأمطار ودرجة الحرارة تحدث بشكل أسرع مما كان متوقعاً. وعندما قام باحثون بتحديث الجزء المتعلق بالتغير المناخي من التقرير، أظهرت الأرقام الجديدة أن معدل التغير هو أكبر مما كان عليه قبل 18 شهراً، عندما بدءوا مشروع البحث.

وفي الوقت نفسه، سوف تعمل تكنولوجيا الاتصالات الحديثة وتوسيع فرص التعليم على تمكين الطبقات الوسطى المتنامية، بحيث يزيد طلبها من حكوماتها فيما يتعلق بالخدمات، وهو السيناريو الذي شكل مُسبقاً وبالفعل جزءاً من حركات الربيع العربي في بلدان مثل مصر.

ويقول بوروز: « لديك مشكلة كبيرة على جانب الموارد. كيف ستدير كل هذا الازدهار الذي يضع الكثير من الضغط على الموارد؟ »« سيناريو سيئ » وقال بوروز إن الحل لمشكلة نقص الموارد يجب أن يكون التعاون بين القطاعين العام والخاص. وأضاف: « يجب أن تحقق تعاوناً في حقل التكنولوجيا، ويجب أن يكون لديك مشروع كبير للطاقة أو المياه، والذي يكون العالم مستعداً حقاً لدعمه، لأن خلاف ذلك سيتحول إلى سيناريو سيئ ». وفي الوقت نفسه، وعلى الرغم من ذلك، تقوم تكنولوجيا الاتصالات بنقل السلطة السياسية من الدول

« باتجاه شبكات متعددة الجوانب وغير متبلورة، والتي ستصنع التأثير على تصرفات الدولة والعالم »، كما يقول التقرير.

ووفق التقرير، فإن « هذه الدول، مع بعض من أقوى العوامل الأساسية -الناتج المحلي الإجمالي، وحجم السكان، وما إلى ذلك- لن تكون قادرة على موازنة ثقلها ما لم تتعلم العمل مع الشبكات والتحالفات في عالم متعدد الأقطاب ». وقال بوروز إن نفس هذه التكنولوجيات ستسمح أيضاً لمجموعات بمهاجمة الشبكات الكهربائية أو شبكات الكمبيوتر .وبينما ستسمح المخزونات الهائلة من البيانات للحكومات « بمعرفة وتوقع ما سيكون الناس بصدد القيام به » في نهاية المطاف، و »تحصيل مزيد من السيطرة على المجتمع »، فإن الذي يحصل في الوقت الراهن هو أن « الموازين تنقلب لصالح الفرد أكثر من الدولة.« صعود آسيا في الوقت ذاته، سوف ينتقل مركز القوة من أميركا الشمالية وأوروبا إلى آسيا، حيث الناتج المحلي الإجمالي، والسكان، والإنفاق العسكري والاستثمار التكنولوجي التي ستتجاوز نظيراتها في الغرب، كما يستشرف التقرير.

سوف تتفوق الصين على الولايات المتحدة اقتصادياً قبل بضع سنوات من العام 2030، وسوف يصبح اللاعبون الإقليميون، مثل كولومبيا والهند ونيجيريا وتركيا، ذوي أهمية متزايدة في الاقتصاد العالمي.

ويبقى من الصعب التكهن بدور الولايات المتحدة في هذا النظام العالمي الجديد، لأن الدرجة التي ما تزال تهيمن بها على النظام الدولي يمكن أن تختلف على نطاق واسع، كما يقول التقرير. ويضيف التقرير: إن لحظة 'القطب الواحد' قد انتهت، عصر الهيمنة الأميركية في السياسة الدولية الذي بدأ في العام 1945- ينحدر هابطاً بسرعة إلى أسفل.

وعلى الرغم من ذلك، فـإن مـن المـرجح أن الولايـات المتحـدة سـتبقى «الأولى بـين النظراء المتساوين» في العام 2030، كما يقول التقرير .

وقال بوروز إن الولايات المتحدة ستبقى القوة الوحيدة التي يمكن أن تنسق فعلاً هذه التحالفات، بما في ذلك الجهات الفاعلة من غير الدول والأطراف الفاعلـة من الدول، من أجل إدارة هذه التحديات والتغيرات الهائلة والتعامل معها، والتـي يواجها العالم.

في حين أن التقرير يستشرف نهايـة العـالم أحـادي القطـب، و الولايـات المتحـدة لا تستطيع أن تملي، يقول بوروز إنه "لا يمكنك أن ترى أي قـوة أخـرى هنـاك، والتـي يمكن أن تنظم هذا العالم".[1]

(1) الوكالات الإستخبارية الأميركية ترى عالما مختلفا في العام 2030, ترجمة :عـلاء الـدين أبـو زينـة- الغد الأردنية,20كانون أول 2013.

الخاتمة

آية مباركة تكاد تكون بداية الخاتمة لمحور تأويل الهيمنة الأمريكية لقوله تعالى:

(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللـهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللـهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(109))

"ويدور جدل واسع حول الآية هل اللـه سبحانه وتعالى سيفني الولايات المتحدة لطغيانها فحسب ؟وهل نحن المسلمين أفضل منها لأننا مسلمين؟؟

أغرب الأمور التي ميزت الثقافة الأمريكية الإحساس بأن الولايات المتحدة معرضة للانهيار في أي وقت، فهناك نسبة جيدة من الأمريكيين الذين لا تخلو أحاديثهم الجادة عن انهيار أمريكا أو على الأقل انهيار قوتها العظمى.

ولعل هذا الإحساس توارد للأمريكيين من الأوروبيين، خاصة الفلاسفة الألمان الذين طالما رددوا بأن الحضارة الغربية شأنها شأن كل حضارة عبر التاريخ ستنهار، وذلك ضمن دورة تاريخية يرسمها هؤلاء الفلاسفة، ومن أشهر الكتب التي تشرح هذا الفكر بعمق وتوسع كتاب "تدهور الحضارة الغربية" لاشبنجلر، الذي توسعت دائرته، وناصره التيار الأصولي الإنجيلي الذي روج لفكرة أن "اللـه سيعاقب أمريكا لانتشار الآثام فيها"، ورغم أن تيارا آخر حارب هذا التوجه مؤكدا فكرة أن "اللـه بارك لأمريكا" "وهي العبارة المكتوبة على كل النقود الأمريكية ويرددها الرؤساء في كل خطاباتهم"، فإن هذا التيار أيضا نشر في الأمريكيين الإحساس بأن التفوق الذي حققوه لم يأت بما استحقوه بل ببركة خاصة من اللـه، مما جعلهم دائما في خوف أن تزول عنهم هذه البركة إذا لم يحسنوا استخدام التفوق الأمريكي.

الولايات المتحدة دولة بمقمومات حضارة لها دورة تاريخية شأنها شأن كل الحضارات، ولكن القدرة على التصحيح الداخلي والإيمان بقيم العدل والمساواة تسهم دائما في إطالة عمر الحضارات، والعكس صحيح دائما .

ومن المبكر للغاية الحديث عن قيادة العالم بدلاً من الولايات المتحدة كالصين أو غيرها مع كل ما تم عرضه في الفصول السابقة, وتلعب القوة الناعمة والذكية الأمريكية الدور الكبير في أي تحد حقيقي يواجه الولايات المتحدة.

يقول أندريه مالرو : "ياله من خلاص أن تقاتل أعداء يدافعون عن أنفسهم أعداء يقظين.

بل هل صَدقَ جارودي عندما قال:" لابد لحضارة أمريكا من أن تموت لأنها حضارة بلا روح.

هناك أمور تحدث في العالم قد لا تبدو بهذه السهولة للناس بل حتى للسياسيين والأكاديميين والاجتماعين والفلاسفة – لوجود يد خفية تتحرك لتحرك – منها تكوين قوة عالمية جديدة بدأ ـ بالظهور بشكل علني على الساحة الدولية . إنه الاتحاد الأوروبي -البرلمان الأوربي – العملة الأوروبية الوحدة – الاقتصاد الموحد- ظهور بلدان بعينها أكثر من الأخرى ألمانيا -إن كل ذلك ليس من باب الصدفة ولم يكن يحدث لو لم مسموحاً به.

وفي إطار هذه التفسيرات يبرز التساؤل، ماذا عن مستقبل الهيمنة الأمريكية؟.

إن تاريخ السياسة الدولية الحديث، يزخر بتجارب عديدة لدول راهنت على الزعامة، لكنها سقطت كلها دون استثناء، فحين تصبح دولة ما قوية أكثر مما ينبغي وتهدد أمن الدول الأخرى، تظل الدول يقظة، حين يتعلق الأمر

بالحفاظ على أمنها لأنها تريد المحافظة على بقائها، كدول تؤدي أدوارها بصورة مستقلة، فإذا واجهت زعيماً متحدياً أقامت" توازناً" ضده.

أي أنها تبني قوتها العسكرية الخاصة وتقيم تحالفات لخلق وزن جيوسياسي مقابل الدولة الطامحة إلى الزعامة، أي أنه من المفيد أن تكون الدولة قوية. لكن ليس من صالح الدولة أن تصبح قوية أكثر مما ينبغي، لأنها عندئذٍ تُرعب الآخرين، فسقوط الزعماء والإمبراطوريات يؤكد حقيقة متناقضة من حقائق السياسة الدولية: "إذا ربحت دولة ما أكثر مما ينبغي فإنها تخسر".

وفيما يتعلق بالهيمنة الأمريكية، يطرح أنصار فكر استمرار الهيمنة الأمريكية، عدة مبررات لهذه الاستمرارية، لعقود ـ إن لم يكن لقرون قادمة ـ ومن ذلك أن الآخرين لا يوازنون قوة أمريكا كما هي، والدول تقيم توازناً ضد الدول التي تستخدم أسلوب التهديد، والولايات المتحدة، كزعيم "سليم"، لا تفعل ذلك، وأن الولايات المتحدة تحسب حساباً لمصالح الدول الأخرى، لهذا ترغب هذه الدول في التحالف معها بدلاً من إقامة توازن ضدها، كما أن جاذبية قيم أمريكا الديمقراطية الليبرالية وثقافتها تبرِّر لها ممارسة قوة الزعامة (الهيمنة)، فالديمقراطية الليبرالية توفر شرعية للزعامة الأمريكية، فالعالم يتقبل هيمنة أمريكا لأن الآخرين "يعلمون أنه ليس هناك ما يخشونه أو يريبهم من دولة عادلة".

ولكن في المقابل يري البعض أن الاعتقاد بأن أمريكا يمكن أن تكون زعيماً ناجحاً، هو اعتقاد خاطئ، فما من دولة تستطيع احتمال إقامة أمنها على الثقة بنوايا الآخرين، لأن النوايا تزول بسرعة؛ ولهذا تقيم الدول استراتيجياتها على تقديراتها لإمكانات الآخرين؛ أي ما لديهم من قوة فعلية سواء كانت كامنة أو معلنة.

وفي هذا الإطار يمكن التمييز بين مجموعتين من العوامل، يتوقف استمرار التفرد الأمريكي، علي التوفيق بينهما، بصورة تحد من السلبيات، وتزيد من تفعيل الإيجابيات، وتتمثل هاتان المجموعتان في:

المجموعة الأولي: العوامل الدافعة: حيث تتعدد العوامل التي يمكن أن تساهم في استمرار تفرد وهيمنة الولايات المتحدة، مقارنة بغيرها من القوي الكبرى في العالم، ومن بين هذه العوامل:

1ـ توافر الموارد الاقتصادية الهائلة اللازمة للصناعة الأمريكية ساهم في قدرة الولايات المتحدة علي استعادة الكثير من مركزها القيادي الأول في التصنيع والإنتاج. وقد واكب هذا التجديد في الروح الصناعية عدة إجراءات قاسية، من بينها تقليص حجم اليد العاملة، والقضاء على اتحادات العمال أو إضعافها، وخلق ملايين الوظائف غير المؤمنة، وإعادة توزيع الإنتاج في مواقع اليد العاملة الرخيصة في بلدان العالم النامي.

2ـ ساهمت التكنولوجيات الأمريكية الجديدة، في تعزيز مواطن القوة الأمريكية. فأجهزة الكومبيوتر، وأنظمة الاتصالات، وتطبيقات البرمجة الجديدة والانترنت شكلت معاً "ثورة معرفية" ما كان لها أن تنبثق إلا عن اقتصاد ومجتمع قويين، وقد وفرت هذه الثورة المعرفية دورة تغذية عكسية أفاد منها أولئك الذين أوجدوها في المقام الأول، كما أن القوات المسلحة الأمريكية أخذت بالكثير من هذه الأنواع الجديدة من التكنولوجيا، لزيادة فعاليتها القتالية مما جعل القدرات العسكرية الأمريكية لا تضاهى في العديد من النواحي العملياتية والإستراتيجية الحربية.

3ــ أن عشرات الملايين من معظم ـ إن لم يكن كل ـ مجتمعات العالم، كانوا يسعون للوصول إلى الولايات المتحدة حيث كانوا يأملون في إيجاد حياة

أفضل لعائلاتهم، ومع قبول الملايين من المهاجرين الإضافيين، فقد تعـزز الإحـساس بوجود ثقافة أمريكية لم تعرف حدوداً.

4ـ أن هناك العديد من الـدلائل التـي تـشير إلى إمكانيـة اسـتمرار هـذا التفوق الأمريكي، ومن ذلك: عولمة المعايير التجارية الأمريكية التي تستمر دون هوادة، وانتشار الثقافة الأمريكية لتصل إلى أبعد مـدي يمكـن تـصوره، كـما أن التحول إلى الديمقراطية في نسختها الأمريكية، يتـصاعد في العديـد مـن منـاطق العـالم، وهـو مـا يقـود ـ في التحليـل الأخـير ـ إلي "أمركـة" كـل شيء في العـالم المعاصر.

المجموعة الثانية: العوامل المعوقة: فهناك عدد من الاعتبارات التي قد تحد من الهيمنة الأمريكية المطلقة، ومن ذلك:

1ـ تصاعد التهديدات العالمية التي تتطلب جهداً دولياً مشتركاً لمواجهتها، ولا يمكـن للولايات المتحدة أن تنهض بها منفردة، كالأضرار البيئية، وتداعيات الزيـادات الهائلة المتواصلة في عدد السكان، وخطـر الجماعـات والتنظـيمات الإرهابيـة، وتنظيمات تجارة المخدرات.

2 - أن أدوات الهيمنة الأمريكية الحالية، علي الصعيدين الاقتصادي والتكنولـوجي، سوف تتآكل تـدريجياً خـلال الأعـوام المقبلـة، وسـيكون ذلـك نتيجـة تعـرض الولايات المتحدة لتراجع في الأداء التكنولوجي، وانكسار موجة الإنفاق المفرط علي تكنولوجيا المعلومات، التي سادت خلال حقبة التسعينيات، وكانـت وراء الرواج والازدهار في الاقتصاد والمجتمع الأمريكي.

3 ـ تصاعد احتمالات ظهور دول كبري جديدة تطمح إلي الزعامة، وإذا ما نجحت، فسوف تهدد أمن الولايات المتحدة تهديداً جدياً، كما قد تؤدي إلي توتر وعدم استقرار.

4ـ الاضطراب الذي يحدث في الأطراف: والذي قد ينشأ نتيجة لسقوط الدول، أو للصراعات التي تنشأ بسبب الخلافات العرقية والدينية والقومية، والتي قد تحفز حلفاء الولايات المتحدة إلى العمل بصورة مستقلة من أجل الحفاظ على النظام في الأطراف، كما يمكنها أن تطلق شبح "العودة إلى القومية"، أو أن تنتقل إلى القلب أو المركز.

5 ـ مدي القدرة علي مواجهة عوامل التحلل الداخلية في الجسد الإمبراطوري: والتي يرصدها البعض في: العنصرية، وضعف التجانس بين مختلف اللغات والأعراق، وخطر الميليشيات اليمينية البيضاء والتي توجه خطابها السياسي إلى القاعدة العريضة من الجمهور الأمريكي، وتحذر من هيمنة الحكومة الفيدرالية في واشنطن على حياة الأفراد في البلاد، وكذلك نمو الجهاز الأمني الذي بات مؤسسة ضخمة، تؤثر علي الحريات المدنية للمواطنين.

6ـ تنامي فكر الوطنية والانعزالية في الرؤية الأمريكية، ففي مقابل فكر الهيمنة، هناك تطور صاعد في الخطاب الأمريكي، من اعتزاز وطني منفتح على العالم والعولمة، إلى تقوقع متزمت مهمل للآخر في العديد من الحالات، ومدين ومهين له في بعضها، واستتباب الخطاب الوطني المتشدد إلى حد التقوقع لا يعكس تأصل الانعزالية في كافة أوساط المجتمع الأمريكي، بقدر ما يشير إلى انزواء القطاعات المحبذة والمستفيدة من العولمة ومن التواصل الدولي في أعقاب أحداث 11أيلول.

7ـ طبيعة النظرة الداخلية للسياسة الخارجية: فالشعب الأمريكي ينفر من السياسة الخارجية نتيجة كون بـلاده محميـة بمحيطـين كبـيرين يتقاسـمهما مـع جـارين حليفين، صديقين، فلا يستشعر الخطر الخارجي، وهو ما رسخ مقولـة أن القـوة الأمريكية ليست لها طموحات توسعية، بل تميـل إلى الانكفـاء في حـدودها ولا يغريها استكشاف الآخر، ولا تستسيغ سوى نمـط حياتهـا، فتبـادر بالبحـث عـن مسالك الخروج فور إكمال مهمتها الخارجية.

والتوفيق بين هاتين المجموعتين من العوامل، يفرض على الإدارة الأمريكيـة، أن تتوقف عن التصرف والتحـدث كـما لـو أن العـالم أحـادي القطبيـة، فهـو لـيس كذلك. حيث تحتاج الولايات المتحدة في تعاملها مع أية قضية عالميـة إلى التعـاون، على الأقل، مع بعض القوى الرئيسة، أما فـرض العقوبـات والتـدخلات مـن جانـب واحد فهي بمثابة وصفات تدميرية للسياسة الخارجية.

كما يجب أن يتخلى الأمريكيون عن أوهام "المهـيمن اللطيـف"، وأن هنـاك انسجاماً طبيعياً قائماً بين مصالحهم وقيمهم وبين مصالح وقـيم بقيـة العـالم، فهـذا غير صحيح، ففي بعض الأحيان يمكن أن تحقق السياسات التي تقوم بهـا الولايـات المتحدة، منافع عامة وتخدم أغراضاً مقبولة على نطاق واسع. ولكنهـا لا تـؤدي إلى ذلك بـسبب المكـون الأخلاقـي المتفـرد في الـسياسة الأمريكيـة، ولكـن لأنهـا القـوة العظمى الوحيدة، وبالتالي فمصالحها تختلف عن مـصالح البلـدان الأخـرى، وهـذا يجعلها متفردة ولكن غير مقبولة في هذه البلدان.

وبين مؤشرات الصعود والهبوط، يقول هنتنغتـون: "في عـالم القـرن الحـادي والعـشرين، متعـدد القطبيـة، سـوف تقـوم القـوى الرئيـسية بالتنـافس والـصدام والائتلاف مع بعضها البعض، بأشكال مختلفة، وهنـا لـن يـشهد تـوترات ونزاعـات بين القوى العظمـى والقـوى الإقليميـة الرئيـسية، تلـك التـوترات والنزاعـات التـي

تشكل الصفة المميزة للعالم "أحادي/متعدد القطبية"، لهذا فإنه بإمكان الولايات المتحدة العيش كقوة رئيسية، في عالم متعدد القطبية بمتطلبات وخلافات أقل، ومردود أكثر، مما كان عليه الحال عندما كانت القوة العظمى الوحيدة في العالم".

وفي المقابل يقول بول كيندي: "إن الاحتمال الأكبر أن الولايات المتحدة ستدخل القرن الحادي والعشرين كقوة عالمية من الدرجة الأولى، بما يدفع للقول بأن القرن التالي يمكن أن يكون أمريكياً أيضاً. ومع ذلك فمن الحكمة أن نتذكر سؤال فولتير: "إذا سقطت روما وقرطاجة فأية قوة هي الخالدة؟" وكان جوابه "ولا واحدة."

المصادر:

أولاً: المصادر العربية

1- الكتب:

- القرآن الكريم.

1- إبراهيم أبو خزام, أقواس الهيمنة: دراسة لتطوير الهيمنة الأمريكية من مطلع القرن العشرين حتى الآن, دار الكتب الجديد, بيروت , ط1, 2005.

2- إبراهيم نافع، انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط 1, 2002.

3- أحمد داود أوغلو, العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية, ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل بيروت, الدار العربية للعلوم- ناشرون, ط1 ,2010.

4- استمرار سياسات إثبات الوجود الروسية, التقرير الإستراتيجي2008-2009, القاهرة- مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأهرام, ط1, 2010.

5- إسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية والسياسة الدولية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط 2, 1985 .

6- إسماعيل صبري مقلد, العلاقات الدولية: دراسة في الأصول والنظريات, منشورات ذات السلاسل, الكويت, ط5, 1987.

7- ألفن توفلر، تحول السلطة، تعريب فتحي بن أشتون ونبيل عثمان, طرابلس، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ط1، د.ت .

8- الكسندر بانارين,التوازن الإستراتيجي المفقود في القرن الحادي والعشرين, دمشق, اتحاد الكتاب العرب,ط1, 2006.
9- أمين محمود عبد الله، في أصول الجغرافيا السياسية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1979 .
10- أمين معلوف,اختلال العالم,ترجمة: ميشال كرم,بيروت,دار الفارابي,ط1, 2009.
11- أنتوني كوردسمان وآخرون، العراق تحت الاحتلال: تدمير الدولة وتكريس الفوضى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1, 2008 .
12- أندرو باسيفيتشن، الإمبراطورية الأمريكية: حقائق وعواقب الدبلوماسية، ترجمة مركز التعريب والترجمة، بيروت، الدار العربية للعلوم،ط 1, 2004.
13- أنور عبد الملك, تغيير العالم, الكويت, سلسلة عالم المعرفة رقم95 تشرين الثاني 1985.
14- إيريك هوبزباوم، العولمة والديمقراطية والإرهاب، ترجمة أكرم حمدان ونزهت الطيب، بيروت، الدار العربية للعلوم، ناشرون،ط 1, 2009 .
15- إيمانويل تود، ما بعد الإمبراطورية: دراسة في تفكك النظام الأمريكي، ترجمة محمد زكريا إسماعيل، بيروت، دار الساقي، ط 1, 2003.
16- باراج خانا, العالم الثاني: السلطة والسطوة في النظام العالمي الجديد, ترجمة دار الترجمة, بيروت, الدار العربية للعلوم – ناشرون, ط1, 2009.
17- بايتس غيل, النجم الصاعد: الصين دبلوماسية أمنية جديدة, ترجمة دلال أبو حيدر, بيروت – دار الكتاب العربي, ط1, 2009.

18- بايتس غيل، النجم الصاعد: الصين دبلوماسية أمنية جديدة، ترجمة دلال أبو حيدر، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2009 .
19- برادلي أ. تاير، السلام الأمريكي والشرق الأوسط، ترجمة عماد شعيبي، بيروت، الدار العربية للعلوم،ط1, 2004 .
20- بشير عبد الفتاح، تجديد الهيمنة الأمريكية بين القوة الخشنة والقوة الناعمة، القاهرة، دار الأهرام،ط 1, 2011.
21- بوب جارات وآخرون. كيف تفكر إستراتيجياً، ترجمة: عبد الرحمن توفيق. القاهرة، مركز الخبرات المهنية الإدارة، 1998.
22- بوب وودوارد، حرب بوش، ترجمة: حسين عبد الواحد، القاهرة، مدبولي الصغير للنشر، 2003.
23-بوب وودورد، حروب أوباما: الصراع بين الإدارة المدنية ووزارة الدفاع الأمريكية, ترجمة: هاني تابري, بيروت, دار الكتاب العربي, ط1, 2011.
24- بول كينيدي، نشوء وسقوط القوى العظمى، ترجمة مالك البديري، عمان، الأهلية للنشر،ط 2, 1994.
25- بول كينيدي ونعوم تشومسكي وآخرون، الإمبراطورية بعد احتلال العراق، ترجمة تركي الزميلي، الرياض، الإسلام اليوم، ط 1, 2005 .
26- بول كينيدي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، ترجمة محمد عبد القادر وغازي مسعود، القاهرة، دار الشروق،ط 1, 1993.
27- بير هاسنر وجوستان قاييس، واشنطن والعالم: معضلة القوى العظمى، ترجمة د. قاسم مقداد, دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2008.
28- تشانا كياسن، في مواجهة الحرب الباردة، ترجمة عبد الرزاق إبراهيم، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر،ط 1, 1962 .

29- التفكير الاستراتيجي، سلسلة الإدارة المثلى، بيروت، مكتبة لبنان نـاشرون، ط1 , 2003.

30- تيري ل.ديبل، إستراتيجية الشؤون الخارجية: منطق الحكم الأمريكي، ترجمة د. وليد شحادة، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2009 .

31- جاك دريدا، ما هي الدول المارقـة؟ في كتـاب ذهنيـة الإرهـاب، ترجمـة بـسام حجار، بيروت، المركز الثقافي العربي،ط 1, 2003 .

32- جان بركنس, التاريخ السري للإمبراطورية الأمريكيـة, ترجمـة المحـامي حـسين علي, دمشق – دار الطليعة الجديدة,ط1 ,2010.

33- جوزيف س. ناي الابن، مفارقـة القـوة الأمريكيـة، ترجمـة: د. محمـد توفيـق البجيرمي، الرياض، مكتبة العبيكان للنشر، ط1، 2004.

34- جوزيف ستكلتز، العولمة ومساؤها، ترجمة فالح عبـد القـادر حلمـي، بغـداد، بيت الحكمة، 2003.

35- جون بولتون، السلام ليس خيارنـا، ترجمـة عمـر الأيـوبي، بـيروت، دار الكتـاب العربي،ط 1, 2008.

36- جـيمس بـامفورد، هيئـة الأسرار: وكالـة الأمـن القـومي تحـت المجهـر، ترجمة: سـمير جلبـي وأمـين الأيـوبي، بـيروت، دار الكتـاب العـربي، ط، 2002 (العضلات).

37- جيمس غليك, نظرية الفوضى:علم اللامتوقع, بـيروت,دار الـساقي,ط1, 2010.

38- حازم الببلاوي, النظام الرأسمالي ومستقبله,القـاهرة, دار الـشروق,ط1, 2011.

39- حامد ربيع، سلاح البترول والصراع العربي الإسرائيلي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1, آب 1974.

40- حسن البزاز، القوى العظمى بين شريعة الغاب وصراع الفيلة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،ط1, 1988 .

41- حسن نافعة, إصلاح الأمم المتحدة,جامعة القاهرة, مركز البحوث والدراسات السياسية,1995.

42- حسين كنعان, مستقبل العلاقات العربية الأمريكية, بيروت ,دار الخيال,ط1, 2005.

43- حمد محمد السعيدان, العالم حقائق وأرقام, الكويت,1970.

44- دكستر بركنس، فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة وتحليل، ترجمة د. حسن عمر, القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1952.

45- خالد سعد زغلول حلمي، مثلث قيادة الاقتصاد العالمي: دراسة قانونية واقتصادية, جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي 2002.

46- خير الدين عبد الرحمن، تصدعات في القلعة الأمريكية: تحليل استشرافي استراتيجي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 1, 2004.

47- ديفيد كين, حرب بلا نهاية: وظائف خفية للحرب على الإرهاب, ترجمة: معين الأمام, السعودية, مكتبة العبيكان, ط1, 2008.

48- رشاد شعبان, أوباما: قناص الديمقراطية وإعادة الثقة, بيروت, الوكالة العربية للنشر, ط1, 2009.

- روجيه جارودي,كيف نصنع المستقبل، ترجمة منى طلبة وأنور مغيث، القاهرة، دار الشروق،ط 2, 2001 .

49- روجيه جارودي, الولايات المتحدة: طليعة الانحطاط, ترجمة مروان حموي, سوريا, دار الكتاب, ط1, 1998.

50-روبرت كيكن, عن الفردوس والقوة أمريكا وأوربا في النظام,ط1, 2004.

51- ريتشارد د بارنت، حروب التدخل الأمريكية في العالم، ترجمة منعم النعمان، بيروت،ط1, 1974.

52-ريتشاردنيكسون, أمريكا والفرصة التاريخية, ترجمة:د.زكريا إسماعيل, بيروت, مكتبة بيسان, ط1, 1992.

53- ريتشارد روز كرانس، توسع بلا غزو، ترجمة عدلي برسوم، القاهرة، مركز الأهرام،ط 1, 2001.

54- ريمون حداد، العلاقات الدولية, بيروت، دار الحقيقة،ط 1, 2000.

55- زبيغنيو بريجنسكي، الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي,ط1, 2004 .

56-زبيغنيو بريجنسكي, رؤية إستراتيجية: أمريكا وأزمة السلطة العالمية,ترجمة: فاضل جكتر, بيروت, دار الكتاب العربي, ط1, تموز 2012.

57- زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية، ثلاثة رؤساء وأزمة القوة الأمريكية، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي،ط1, 2007 .

58- زبيغنيو بريجنسكي، الفوضى: الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، ترجمة مالك فاضل، الأردن، الأهلية للنشر,ط1, 1998.

59- زلمي خليل زاد وآخرون، التقييم الإستراتيجي، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1, 1997 , ص49.

60- ستيف فرايز وغاري غرستل, الطبقة الحاكمة في أمريكا: تأثير الأثرياء والنافذين في دولة ديمقراطية, ترجمة: حسان البستاني, بيروت, الدار العربية للعلوم, ط1, 2006.

61- سعد غالب ياسين، الإدارة الإستراتيجية، عمان ــ الأردن، دار اليازوزي العلمية للنشر والتوزيع، ط1, 1998.

62- سميح عبد الفتاح: انهيار الإمبراطورية السوفيتية: نظام عالمي جديد أحادي القطب، القاهرة، دار الشرق، ط1, 1996 .

63-سمير أمين، العولمة والنظام الدولي الجديد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1, 2004.

64- سوسن العساف, إستراتيجية الردع, بيروت, الشبكة العربية للأبحاث والنشر,ط1, 2008.

65- سول لانداو، الإمبراطورية الإستباقية، ترجمة ليلى النابلسي، بيروت، شركة الحوار الثقافي، ط1، 2005.

66- السيد حسن بحر العلوم، العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية، إيران، منشورات دار الزهراء، ط3, 2006 .

67- السيد ولد أباه، عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001، بيروت، الدار العربية للعلوم، ط1، 2004.

68- السيد يسين، أزمة العولمة وانهيار الرأسمالية، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر،ط 1, 2009 .

69- السيد يسين، كيف نفهم العالم؟ ,القاهرة، التقرير الإستراتيجي لعام(2008 – 2010-2009) .

70-شعبان رشاد, أوباما: قناص الديمقراطية وإعادة الثقة, الوكالة العربية للنشر,ط1, 2009.

71- صموئيل ب . هنتنغتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حسام الدين خضور، دمشق، دار الرأي للنشر،ط 1, 2005 .

72- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، بيروت، ترجمة ونشر مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق،ط 1, 1995 .

73- الصين التجربة والتقدم, دار الإعلام والاتصالات الصينية, التقرير السنوي 2011.

74- الصين والهند والولايات المتحدة: التنافس على موارد الطاقة, أبوظبي, مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ط1, 2008.

75- عادل مسعود، التخطيط الإستراتيجي والفكر العلمي، القاهرة، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، القاهرة، 1990 .

76- عادل مسعود . نظريات علم الجيوبوليتكس، القاهرة، كلية الحرب العليا، 1992 .

77- عاطف معتمد عبد الحميد,استعادة روسيا مكانة القطب الدولي: أزمة الفترة الانتقالية, بيروت, الدار العربية للعلوم- ناشرون,ط1, 2009.

78-عبد الكريم محمود برم, التقنية في الحرب: البعد الالكتروني, أبو ظبي, مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,سلسلة دراسات عالمية, تموز2010.

79- عبد الله محمد الناصر, أمريكا العقلية المسلحة, بيروت, رياض الريس للكتب والنشر, ط1, 2007.

80- غاري هارت، القوة الرابعة: الإستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين. ترجمة محمد محمود التوبة، السعودية، مكتبة العبيكان،ط 1, 2005 .

81- غسان الغزي: سياسة القوة: مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق,بيروت ط1, 2000 .

82- فايز محمد العيسوي، الجغرافيا السياسية المعاصرة, الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،2000 .

83-فرانك لتيشز وآخرون، العولمة الطوفان أو الإنقاذ؟ ترجمة فاضل جكتر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1, 2004 .

84- فرانك دانينو . CIA حكاية سياسية 1947 -2007، ترجمة عبير المنذر، بيروت مؤسسة الانتشار العربي،ط 1, 2009 .

85- فريد زكريا,عالم ما بعد أمريكا, بيروت, الدار العربية للعلوم –ناشرون,ط1, 2009.

86-فريد هاليداي, مئة وهم حول الشرق الأوسط,الأردن ,دار مجدلاوي, ط1, 2006.

87-فريزر كاميرون, السياسة الخارجية للولايات المتحدة, غضب الحرب الباردة: مهيمن عالمي أم شرطي متردد؟, الإمارات العربية المتحدة, مركز الخليج, آذار 2009.

88- فلاح حسن سعدي الحسيني، الإدارة الإستراتيجية، عمان ــ الأردن دار وائل للنشر، ط 2، 2006.

89-فواز جرجس، السياسة الأمريكية تجاه العرب كيف تصنع؟ ومن يصنعها؟ ,بيروت، مركز دارسات الوحدة العربية،ط1, 1998.

90- كاظم هاشم نعمة, استراتيجيات الهيمنة الأمريكية, ليبيا 2001 .
91- كاظم هاشم نعمة, حلف الأطلسي: التوسع إلى الشرق: الحوار مع الجنوب والأمن القومي, أكاديمية الدراسات العليا, طرابلس, ط1, 2008.
92- كاظم هاشم نعمة، دراسات في الإستراتيجية والسياسة الدولية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1, 1990 .
93- لستر ثارو, الصراع على القمة: مستقبل المنافسة الاقتصادية بين أمريكا واليابان,ترجمة أحمد فؤاد بلبع, الكويت, سلسلة عالم المعرفة رقم204, كانون أول 1995 .
94- مادلين أولبرايت, الجبروت والجبار: تأملات في السلطة والدين والشؤون الدولية, ترجمة :عمر الأيوبي, ط1, 2007.
95- مايكل اوها نلون وسوزان رايس وجيمس ستاينبرغ، إستراتيجية الأمن القومي الجديدة والاستباق، معهد بروكنز، كانون أول 2002، بغداد، بيت الحكمة، 2002.
96- مايكل كلير، الحروب على الموارد، ترجمة: عدنان حسن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2002.
97- مايكل كوربت وجوليا ميتشل كوربت,الدين والسياسة في الولايات المتحدة, ترجمة: د.عصام فايز و د.ناهد وصفي, ج1, القاهرة, مكتبة الشروق, ط1, 2001.
98- مجموعة باحثين, التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي, الكتاب السنوي 2007, بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية, ط1 تشرين الثاني 2007.

99- مجموعة باحثين, التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي, الكتاب السنوي 2009, بيروت مركز دراسات الوحدة العربية, ط1 تشرين الثاني 2009.

100-مجموعة باحثين التقييم الإستراتيجي, أبو ظبي, مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ط1, 1997.

101- مجموعة باحثين,العرب والعالم بعد 11 أيلول/ سبتمبر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002.

102- مجموعة باحثين، العولمة في القرن الحادي والعشرين ما مدى ترابطية العالم؟ ,أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،ط 1, 2009 .

103- مجموعة باحثين، العولمة والمستقبل العربي، بغداد، بيت الحكمة،ط 1, 1999 .

104-مجموعة باحثين,العولمة والنظام الدولي الجديد , بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية،ط 1, كانون أول 2004 .

105-مجموعة باحثين,الكتاب السنوي 2005,عن التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي,بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية,ط1 تشرين الثاني 2005.

106-مجموعة باحثين,مستقبل الصين في النظام الدولي,مجلة آفاق المستقبل,أبو ظبي,مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ع8, تشرين الثاني وكانون أول 2010.

107- مجموعة باحثين, المصالح الدولية في منطقة الخليج, لمجموعة باحثين, أبوظبي, مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ط1, 2006.

108- محمد احمد النابلسي، في مواجهة الأمركة، دمشق، دار الفكر،ط1, 2004.
109- محمد أعفيف, أصول التحديث في اليابان1568-1868, بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية,ط1, 2010.
110-محمد عبد الهادي, الدبلوماسية في زمن الهيمنة الأمريكية: مفاهيم,ط1, 2006.
111- محمد المنشاوي، الرؤية الإستراتيجية الأمريكية للثورات العربية، قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 12 أيار 2011.
112- محمد حسنين هيكل , الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق , دار الشروق القاهرة 2003 .
113- محمد حسنين هيكل، دفاتر أزمة، مجلة وجهات نظر، القاهرة، العدد 36، كانون الثاني، 2002.
114- محمد حسنين هيكل، من نيويورك إلى كابول، القاهرة، المصرية للنشر، كانون الثاني،ط 1, 2002 .
115- مذكرات جيمي كارتر. ترجمة شبيب بيصنون, بيروت، دار الفارابي، 1985 .
116- مصطفى محمد أبو بكر . الفكر الإستراتيجي في إعداد الخطة الإستراتيجية، القاهرة، الدار الجامعية، 2000 .
117- منير شفيق,الإستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب,بيروت ,الدار العربية للعلوم-ناشرون,ط1, 2008.
118- الموسوعة العربية العالمية,الرياض,ج15, ط2, 1999.

119- ميشيل دوفسكي، عولمة الفقر، ترجمة جعفر علي حسين السوداني، بغداد، بيت الحكمة،ط 1, 2001 .
120- نعمة عباس الخفاجي، الإدارة الإستراتيجية، المداخل، المفاهيم، العمليات، عمان، الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2004.
121- نعوم تشومسكي، تواريخ الانشقاق، ترجمة محمد نجار، عمان، الأهلية للنشر،ط 1, 1997.
122-هانس وبيتر مارتن وهارولد شومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس علي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع 238،ط 1, تشرين الأول 1998 .
123- هشام عبد الله الغريري . إدارة البقاء، مدخل إستراتيجي، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1998 .
124-هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1, 2002.
125-وائل محمد إسماعيل,التغيير في النظام الدولي,ج1,بغداد,مكتبة السنهوري, ط1, 2012.
126- والتر راسيل ميد, بلد الله :الدين في السياسة الخارجية الأمريكية, ترجمة: حمدي عباس, القاهرة, مكتبة الشروق الدولية,ط1, 2007.
127- وليام اندرسن ستانسفيلد، عراق المستقبل:دكتاتورية ديمقراطية أم تقسيم؟ ترجمة رمزي ت . بدر، بيروت، الفرات للنشر،ط 1, 2005 .
128- وليد سليم عبد الحي, المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي1978-2010,أبو ظبي-مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية,ط1, 2000.

129- وليم بلوم، قتل الأمل: تدخلات العسكريين الأمريكيين ووكالة المخابرات المركزية منذ الحرب العالمية الثانية ترجمة د. أ سعد الياس، السعودية، مكتبة العبيكان،ط 1, 2006.
130- وو بن, الصينيون المعاصرون, ترجمة د.عبد العزيز حمدي, الكويت, سلسلة عالم المعرفة رقم210, حزيران 1996.
131- وو بن، الصينيون المعاصرون، ترجمة د. عبد العزيز حمدي، الكويت سلسلة عالم المعرفة رقم211،ط 1, تموز 1996.
132- ياسمين سامي ضيف الله، الإمبراطورية الأمريكية : تأريخ قديم ورؤى متعددة، جامعة القاهرة-قسم العلوم السياسية, د.ت.

2- الدوريات:

1- احمد إبراهيم محمود، الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية، مجلة السياسة الدولية المصرية: ع 147، كانون الثاني، 2002.
2- أحمد جميل عزم, النظام الدولي في عالم ما بعد الأحادية القطبية,أبو ظبي,مجلة آفاق المستقبل,ع1 أيلول-تشرين أول 2009.
3-أحمد النجار, الصين والقفزة الاقتصادية العملاقة, القاهرة, مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام, مجلة كراسات إستراتيجية, ع179, 2007.
4- ألبرت كايرل, نهضة الصين الاقتصادية, بيروت, مجلة المستقبل العربي, ع367 أيلول2009.
5-أليون واينبرجر، ما سمعته عن عراق 2005, القاهرة، مجلة سطور، ع112، 2006.

6- أيمن طلال يوسف, روسيا البوتينية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولويات الجيوبوليتيكية الخارجية2000-2008, بيروت, مجلة المستقبل العربي,ع 358 كانون أول 2008.

7- التقديرات عن مجلة التحليل الإستراتيجي الباكستانية, ع 4, كانون أول 2011.

8- جاسم خالد السعدون، أحداث 11 أيلول / سبتمبر وانعكاساتها على منطقة الخليج, بيروت، مجلة المستقبل العربي، ع 285، تشرين الثاني 2002 .

9-جفال عمار، قوى ومؤسسات العولمة، قبرص، مجلة شؤون الأوسط، ع 107، صيف2002 .

10- جورج فريدمان, مبدأ مدفيديف والإستراتيجية الأمريكية, بيروت, مجلة المستقبل العربي, ع356, تشرين أول 2008.

11- حميد حمد السعدون, الدور الدولي الجديد لروسيا,جامعة بغداد-مركز الدراسات الدولية, مجلة دراسات دولية ,ع 42 تشرين أول 2009.

12- خالد الحروب, في الفكر السياسي الأمريكي الجديد: عودة التاريخ ورابطة الديمقراطيات, بيروت, مجلة المستقبل العربي, ع 357 تشرين الثاني 2008 .

13- روبرت فيليب, أمريكا ستعجز عن قيادة العالم بالأسلوب الذي اعتادته,أبو ظبي, مجلة آفاق المستقبل, ع1 أيلول –تشرين أول 2009.

14- ريتشارد بارنت، خريطة البنتاجون الجديدة، عرض كتاب يحيى زكريا، مجلة المسار اللبنانية، ع9, أيلول 2010.

15- سميح فرسون، جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب، بيروت، مجلة المستقبل العربي، ع 284، تشرين الأول، 2002 .
16-سياسة الهيمنة الأمريكية؛ الجذور والواقع والمستقبل، أوراق إستراتيجية، مركز الدراسات الإستراتجية، وجامعة بغداد، 2001.
17- السيد أمين شلبي، الجدل حول مستقبل القوة الأمريكية القاهرة، مجلة السياسة الدولية، ع 183، 2001 .
18-السيد أمين شلبي, الدرس السوفيتي/احتمالات الانهيار الإمبراطوري للولايات المتحدة,القاهرة, ملحق مجلة السياسة الدولية- تحولات إستراتيجية على خريطة السياسة الدولية, ع 189, تموز2012.
19- السيد أمين شلبي, من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد, القاهرة, مجلة السياسة الدولية, ع179 كانون الثاني 2010.
20- عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، بيروت، مجلة المستقبل العربي، ع275، كانون الثاني 2002.
21- عبد العزيز حمدي عبد العزيز, قوة الصين ووزنها الاستراتيجي في آسيا,القاهرة, مجلة السياسة الدولية, ع145 أيلول 2001.
22-كارن أبو الخير, عالم بلا أقطاب :الحقائق الإستراتيجية الجديدة في النظام الدولي, القاهرة,السياسة الدولية-التحليل الآن,الجمعة 2 آذار2012.
23-كونداليزا رايس, تعزيز المصلحة القومية, مجلة الشؤون الخارجية, كانون الثاني –شباط,2000.
24- مأمون سويدان, آفاق تحول الهند إلى قوة عالمية عظمى, مجلة سياسات-رام الله, فلسطين, ع10 خريف 2009.

25- متروك الفالح, النموذج الصيني للتوحيد, بيروت, مجلة المستقبل العربي, ع152 تشرين أول 1991.
26- محمد عبد الشفيع عيسى, شبكات نقل النفط والغاز: الاستنفار العالمي والإقليمي في الأسواق الدولية للطاقة, بيروت, مجلة المستقبل العربي, ع370 كانون أول 2009.
27- محمد نعمان جلال, تسليم الراية في القيادة الصينية:الأبعاد والدلالات, القاهرة, مجلة السياسة الدولية,ع152, نيسان 2003.
28- محمود خليل، إعادة نشر القوات الأمريكية في الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، ع 157، تموز 2004.
29- منار الشوربجي، الحريات المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحادي عشر من أيلول / سبتمبر بيروت، مجلة المستقبل العربي، ع 285، تشرين الثاني 2002 .
30- منذر سليمان، دولة الأمن القومي وصناعة القرار الأمريكي, بيروت، مجلة المستقبل العربي، ع325، آذار 2006 .
31-منعم العمار, الهيمنة بين ظاهرة التجديد ومستدعيات التدحرج,أوراق إستراتيجية ع109, مركز الدراسات الدولية,جامعة بغداد,2002.
32- نازلي معوض أحمد, الإدراك الياباني للنظام الدولي, القاهرة, مجلة السياسة الدولية, ع101 تموز1990.
33- نورهان الشيخ,العلاقات الروسية الأمريكية, القاهرة, مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام, مجلة كراسات إستراتيجية, ع205, كانون أول2010.

34- وائل محمد إسماعيل، الإدراك الأمريكي للعلاقات الأمنية مع روسيا الاتحادية: الواقع والمستقبل,جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، مجلة قضايا سياسية، ع 3 و 4، شتاء 2004 .

35-وائل محمد إسماعيل,الإستراتيجية الروسية بين تحديات الواقع وآفاق المستقبل, جامعة بغداد-كلية التربية ابن رشد, مجلة الأستاذ, ع69, 2008.

36-وائل محمد إسماعيل، محاضرات في الإستراتيجية، ملزمة مطبوعة لمحاضرات مادة الإستراتيجية للمرحلة الثالثة، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، 2006 .

37- وائل محمد إسماعيل، الهيمنة الأمريكية: رؤية في الاحتمال السياسي, الجامعة المستنصرية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ع 25، تموز 2008 .

38-وائل محمد العبيدي، المتغيرات الجديدة في الإستراتيجية الأمريكية, الجامعة المستنصرية، مجلة دراسات الشرق الأوسط، ع5, شباط 1998 .

39-وليام بولك، الواقع والخيارات في حرب العراق، مجلة المستقبل العربي، ع 311، كانون الثاني، 2005.

40- وليد عبد الحي، علاقة السياسة الخارجية الأمريكية بالتحولات الديمقراطية في الوطن العربي،بيروت، مجلة المستقبل العربي،ع 267، أيار 2001 .

41- وليم نصار, روسيا كقوة كبرى,بيروت, المجلة العربية للعلوم السياسية,ع 20, خريف 2008.

3-الرسائل و الأطاريح الجامعية:

1- باسل محمود سلوم، المجمع الصناعي العسكري والإعلام الأمريكي ودورهما في رسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، أطروحة دكتوراه في الدراسات الدولية، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية 2004 .

2- صبيح عبد الله غلام العامري، الهيمنة الأمريكية في المنطقة العربية: رؤية في الاحتمالات السياسية. أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة سانت كلمنتس العالمية، فرع بغداد، 2011 .

3- طارق شريف يونس، أنماط التفكير الإستراتيجي وأثرها في اختيار القرار، أطروحة دكتوراه فلسفة في إدارة الأعمال، غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، 1999 .

4- عادل مسعود، دراسات إستراتيجية، القاهرة، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، كلية الحرب العليا، 1992 .

5- فوزي حسن حسين, الصين واليابان ومقومات القطبية العالمية,رسالة ماجستير في العلوم السياسية, جامعة بيروت العربية-كلية الحقوق والعلوم السياسية,2009.

6- معتز محمد السيد سلامة. تأثير أحداث 11 أيلول في المفهوم الأمريكي للأمن القومي، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية, القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2008.

7- وائل محمد إسماعيل، قوة الانتشار السريع، رسالة ماجستير في العلوم السياسية- غير منشورة - جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، أيار، 1988.

8- وائل محمد إسماعيل، النظام السياسي الأمريكي: دراسة في العلاقة بين الرئيس والكونغرس في الشؤون الخارجية، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية, جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية 1994.

4-الانترنيت:

أ- العربي:

1- ترتريه برينو, أربعة أعوام لتغيير العالم إستراتيجية بوش 2005-2008, ترجمة: قاسم المقداد ,مجلة الفكر السياسي, ع 24, في الموقع: www.awu-dam.org

2- ديك تشيني، قبضة بوش الخفية، شركة النبأ المعلوماتية، 8نيسان 2009 ,في الموقع: orgwww.annabaa.

3- زبغنيو بريجنسكي، السياسة الأمريكية في العراق بحاجة إلى إعادة تقويم جذرية، مجلة العصر 10-6-2004 في الموقع:

http: // www. Alasr. Ws/ index. Cfm Fuseaction content ID = 5429 & category ID = 20.

4- زياد حافظة, التراجع الأميركي: أسباب وتداعيات,موقع التجديد العربي,7 آذار 2013, في الموقع:http://arabrenewal.info/

5- سكان قارة أمريكا الشمالية ومواردها الاقتصادية، الموسوعة الأمريكية، في الالكتروني: www/ http : // or . Wikipedia. Org.

6- سمير أمين, الفيروس الليبرالي، الحرب الدائمة وأمركة العالم,في الموقع: www.kotobarabia.com

7- محمد بن سعيد الفطيسي, رؤية إلى العقيدة العسكرية 2011-2015 ,في الموقع: http://mostakbaliat.blogspot.com/2010/09,2011-2015

8- محمد حسنين هيكل، جيوش تبحث عن غطاء, في الموقع:
In:(http://www.alfikralarabi.com/modules.phpname=News&
new_topic=16).
9- محمد حسين أحمد, أخبار الهند الاقتصادية, في الموقع:
www.akhbar alhind.com
10- موسوعة الويكبيديا على موقع الانترنيت:
www. wikipedia_com.
11- الموسوعة الحرة/اليابان والاقتصاد,في الموقع:
http://ar.wikipedia.org
12- ياسمين ضيف اللـه , " الإمبراطورية الأمريكية : تأريخ قـديم ورؤى متعـددة, في الموقع:
http : // www.islamonline . net / Arabic/ mafaheem /2003/07/ article 01b . shtml .-

ب- الإنكليزي:

1. Noam Chomsky, Dominance and its Dilemmas Znet, October 10, 2003. At [http://www.zmag. org/ content/ show article. Cfm/ Sectional D= 40 & ltems ID = 4332
2.World Policy Conference at:http://www.world policy conference.com,2008.

5- الصحف:

1- صحيفة الاتحاد الإماراتية، 2012/12/9.
2- صحيفة الأخبار المصرية, ع782 في2009/3/28.
3- صحيفة الأيام اللبنانية , ع5279 في2010/9/24.
4- صحيفة البيان الإماراتية، 26، آب 1999.
5- صحيفة البـيان الإماراتية, ع152، 22 أكتوبر 2002 .

6- صحيفة البيان الإماراتية - ع 591 ,13 أيلول2003.

7- صحيفة البيان الإماراتية، 19 كانون الأول 2003.

8- صحيفة البيان الإماراتية في2006/4/9.

9- صحيفة البيان الإماراتية، 28 تشرين أول 2010.

10- صحيفة البيان الإماراتية, 2011/11/12.

11- صحيفة السفير,لبنان,1آذار 2003.

12- صحيفة الشرق الأوسط السعودية، يوم 26 تموز 2011.

13- صحيفة الغد الأردنية,20 كانون أول 2013.

14- صحيفة الوسط المصرية,العدد 3304 في2011/9/24.

15- صحيفة 14أكتوبر,29 /2012/12.

ثانياَ:المصادر الإنكليزية:

1-الكتب:

1. Ambassador I. Paul Bremer 111 (Chairman), Countering the hanging Nature of International Terrorism, Report of the National Commission on Terrorism, Pursuant to Public Law 227, 105th Congress.
2. A National Security Strategy of engagement and enlargement, the White House , February, 1996.
3. Atlantic Council, Needed: Acomperhensive U.S policy Toward Pakistan, Report of Task force Co-chaired by former Senator Chuck Hagel of Nebraska and Senator John Kerry Massachusetts, Washington ,D.C:The Atlantic Council,February2009.
4. Bahgat Korany,The Changing Middle East:A New Look at Regional Dynamics,AUC Press,Cairo,2010.
5. Bob Woodward, Plan of Attack, New York: Simon & Schuster , 2004.

6. Central Intelligence Agency(CIA)World Factbook, 2008,Washington D.C:CIA, 2008.
7.Chalmers Johnson , The Sorrows Of Empire : Militarism, Secrecy, and the End of the Republic , Published by Metropolitan Book : 2003-2004.
8. Charles A. Kupchan, How Enemies Become Friends: The Sources of Stable Peace, New Jersey: Princeton University Press, 2010 .
9. Colossus , The Price of American Empire, New York: Penguin Press , 2004.
10. David Frum, The Man: The Surprise Presidency of George W. Bush, New York: Random House , 2003.
11. Gelb .Leslie H,Power Rules: How Common Sense Can Rescue American Foreign Policy, Collins Harper, March 2009.
12. George Friedman,The Next Decade:Where Were Going and Weve Been,New York,Doubleday,2011. Where
13. George Lakoff,The Political Mind: Why You Cant Understand 21st.Century American Politics with an 18th Century Brain,Pengiun group,U.S.A.2008.
14. Gideon Rachman ,Zero-Sum Future: American Power in an Age of Anxiety,Simon&Schuster,New York,2011.
15. Gunner Myrdal,Asian Drama:An poverty of Nations,New York: pantheon, 1968.
16. Henry Kissinger , Does America Need a Foreign Policy ? , New York : Simon & Shuster , 2001.
17.HUYH Macmillan & Mahen Tampoe, Strategic Management, Oxford University Published, U.S.A. 2000.
18.Ian Bremmer,Every Nation for Itself:Winners and Losers in a G-Zero World,New York:Penguin Group/Port Folio,2012.
19.-ImF-World development outlook 2012.
20. J.Greeh, "Threat of Terrorism to the United States". Statement by the Director of the Federal Bureau of the Investing action Before ht United States Senate, Armed Forces and Select Committee on Intelligence, May 10, 2201.

21-John Major Jenkins,The 2012 Story:The Myths,Fallacies,And Truth Behind The most Intriguing Date in History,New York,Penguin Books,2009.

22- Joseph P. Quinlan, The Last Economic Superpower: The Retreat of Globalization, The End Of American Dominance, And What We Can Do About It, New York: McGraw-Hill،2011.

23- Joshua Goldstein , Long Cycles : Prosperity and war in the Modern Age, New Haven . C N : Yale University Press , 1988.

24- Kim Holmes and Thomas Moore ,eds. , Restoring American Leadership : US Foreign policy and Defense Blueprint ,Washington , DC : the Heritage Foundation , 1996 .

25-Leslie H.Gelb,Powers,Rules;How Common Sense Can Rescue American Foreign Policy,Collins Harper,March,2009.

26-Louay M. Safi , Us Foreign Policy and National Security , a paper presned at " Islam , 9/ 11 , and National Security " Conference , American Council For the study of Islamic societies (ACSIS) William & Mary , Washington DC, March 4,2002.

27- Mark Juergensmeyer, "Understanding the New Terrorism" Current History, April , 2002.

28- Michael B. Levy , political Thought in America , Homewood , Illinois : Dorsey press , 1982.

29-Noam Chomsky, Power& Prospects, South End Press, 1996.

30- Paul Kennedy , The Rise and fall of Great powers, New York : Vintage Books , 1989 .

31-Raghav Bahl, “Super Power? The Amazing Race Between China’s Hare and India’s Tortoise”, New York, Portfolio-Penguin, 2010.

32-Richard A. Clark , Against All Enemies, New York : Free Press, 2004.

33-Robert D.Kaplan;Monsoon:The Indian Ocean and the Future of American Power,New York:Random House,2010.

34 -Robert Gilpin, War & change in world politics , Cambridge, M A : Cambridge University Press , 1981.

35-Robert Kagan,Not Fade A Way: Against the Myth of American Decline, The New Republic,Brookings,17 Jan 2012.

36- Robert Kagan , The Return of History and the End of Dreams, London : Atlantic Books ,2008.
37-Robert Kagan,The World American Made, New York: Vintage,2013.
38- U.S. Department of Defense, Quadrennial Defense Review Report, Washington D.C., 30 September 2001 .
39- U.S. Department of Energy, Energy Information Administration, International Energy Outlook, 2002, Washington, DC., 2002.

2-الدوريات:

1. Council National Intelligence, Global Trends2025:Transformed World, Foreign Affairs,Vol.89,Nov/Dec.2010.
2. Daft .A.Agor, Strategic Planning, Strategic Review, London, Vol.30, No.3, 1999.
3. Dimitri K. Simes, "America,s Imperial Dilemma " Foreign Affairs ,Volume 82 No . 6, November / December 2003.
4. Eduate Rhodes , The imperial logic of Bush's Liberal Agenda ,survival , Vol. 45.No.1, Spring 2003.
5. Garin Cameron, "Nuclear Terrorism: a Real Threat"? Jane's Intelligence Review, London , Vol. 8, No.9. Sep. 1996.
6. Condoleezza Rice : Campaign 2000: Promoting the National Interest Foreign Affairs, Jan / Feb, 2000.
7. Jagdish Bbagwati, " Globalization in Your Face " , Foreign Affairs , July , August 2000 .
8. John Mearsheimer, Stephen M.Walt,The Israel Lobby and U.S.foreign policy, the London review of bookol.28.No1,March 2006.
9. Joseph S.Nye,The Future of American Power,Foreign Affairs,Issue6,Vol.89,Nov/Dec,2010.
10. Kishore Mahbubani,The New Asian Hemisphere:The Irresistible :Shift of Global Power to the East, New York: Public Affairs, 2008.

11. Michael Porter,what is strategy?, Harvard Business Review journal,Nov.1996.
12. paper Report, A National Interest, Empire ,Falls,22 January,2000 .
13. Richard N.Hass ,The Age of Non-polarity: What Will Follow U.S Dominance, Foreign Affairs,No.3,May-June,2008.
14. Robert Kagan, "looking for Legitimacy in all the Wrong Places", Foreign Policy, July/ August 2008.
15. Rohan Gunaratna,New Terror Threats in2012,The National magazine,20-Jan.2012.
16-Stephen M.Walt,The End of the American Era, The National Interest,October2011.

السيرة العلمية للمؤلف



1. **الأسم الرباعي:** وائل محمد إسماعيل عبد اللـه.
2. **اللقب العلمي:** أستاذ Professor.
3. **تولد بغداد 1960م.**
4. **الحالة الإجتماعية:** متزوج.
5. **الشهادة:** دكتوراه في العلوم السياسية من كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد/1994، عن أطروحته الموسومة: "النظام السياسي الأمريكي: دراسة في العلاقة بين الرئيس والكونغرس في الشؤون الخارجية" وبتقدير امتياز. بإشراف الأستاذ الدكتور فاضل زكي محمد.

- حاصل على شهادة الماجستير في العلوم السياسية من كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد/1988، عن رسالته الموسومة "قوة الانتشار السريع: مسارات الإستراتيجية الأمريكية الراهنة في الخليج العربي" وبتقدير امتياز.بإشراف الأستاذ الدكتور حسن عبد اللطيف البزاز.
- خريج كلية القانون والسياسة جامعة بغداد، قسم العلوم السياسية/ 1985، وبتسلسل الأول على الكلية.

6. **الاختصاص العام:** علوم سياسية.

7. **الاختصاص الدقيق:** أستاذ العلاقات الدولية والجيوبولتكس وإدارة الأزمات الدولية.

الخبرات العلمية:

أولاً: خريج برنامج تأهيل وتدريب منتسبي الجامعات العراقية في إطار المنحة القطرية – شعبة اليونسكو في معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة لمدة ثلاثة أشهر للفترة من 2006/8/1 ولغاية 2006/10/31.

ثانيا: حامل لأكثر من شهادة تدريبية في الإنترنيت, والIC3 الحاسوب,وطرائق التدريس.

ثالثاً: إجادة اللغة الإنجليزية بدرجة جيد جدا.

رابعاً: الإشراف على الدراسات العليا:

* أنجز الإشراف على أكثر من60 رسالة ماجستير في العلوم السياسية والقانون الدولي والإعلام الدولي في كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين، والمعهد العالي للدراسات السياسية والدولية الجامعة المستنصرية، وكلية الدفاع الوطني للدراسات العسكرية العليا. وأشرف على أكثر من 25 أطروحة للدكتوراه ومنذ عام1998.فضلا عن الأشراف على طلبة دكتوراه علوم سياسية جامعة بيروت العربية.

خامساً: تم مناقشة أكثر من 90رسالة ماجستير على مستوى القطر ورسالتين خارج العراق واحدة في الأردن والثانية في القاهرة.

كما تم مناقشة أربعون أطروحة دكتوراه على مستوى العراق.

سادساً: تدريس المواد التالية من عام 1994ولغاية عام 2014:

1. الدراسات الأولية مرحلة البكالوريوس: وتم تدريس المواد التالية:

القانون الدولي العام-القانون الدستوري-الإستراتيجية-العلاقات الدولية-القانون الدولي الإنساني-القانون الدبلوماسي-الدبلوماسية- تاريخ العلاقات الدولية-مدخل دراسة القانون-النظم السياسية-القانون الدولي الخاص-المنظمات الدولية-مدخل علم السياسة-الجغرافية السياسية –الجيوبولتكس-حقوق الإنسان-قانون العلاقات الدولية-تطور النظام السياسي الدولي.

2. الدراسات العليا(الماجستير والدكتوراه): وتم تدريس المواد التالية من عام 1997 ولغاية2014:

تحليل واستنتاج في السياسة الخارجية-نظريات العلاقات الدولية-إدارة الأزمة الدولية-التغيير في النظام الدولي- الجيوبولتكس- الصراع والتعاون الدولي-صنع القرار في السياسة الخارجية(دراسة حالة).

سابعاً: الكتب المنشورة لطلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) قسمي العلاقات الدولية والنظم السياسية:

1. ألف أول كتاب له تناول التغيير في العالم العربي, بعنوان (رقعة الشطرنج الشرق أوسطية) من مطبعة الرواد بغداد, صدر عام 2011.
2. ألف كتاب منهجي للدراسات العليا في قسم العلاقات الدولية, يدرس بشكل مشترك لقسمي العلاقات الدولية والنظم السياسية في كلية العلوم السياسية في الجامعة المستنصرية, بعنوان:(التغيير في النظام الدولي) من مطبعة السنهوري بغداد, صدر عام 2012.(وسيصدر من بيروت هذا العام بالطبعة الثانية له)
3. ألف كتاب منهجي بعنوان(نظرية إدارة الأزمة الدولية)صدر عن مطبعة السنهوري في بغداد 2013. (وسيصدر من بيروت هذا العام بالطبعة

الثانية له) وهو أول دراسة علمية وتأصيل لنظرية لإدارة الأزمة الدولية في العالمين العربي والدولي.

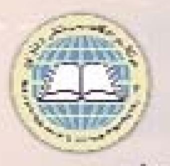
4. ألف كتاب عن(مستقبل التغيير في النظام الدولي)يدرس لمرحلة الدكتوراه في العلوم السياسية في جامعات العراق-مطبعة السنهوري-بيروت 2015.
5. ألف كتاب بعنوان: الإمبراطورية الأخيرة: أفكار حول الهيمنة الأمريكية.قيد الطبع في دار الأكاديميون للنشر والتوزيع- عمان-الأردن,2015.
6. ألف كتاب يروم طبعه في بيروت – الدار العربية للعلوم ناشرون, بعنوان: تصدع العالم: نظرية الفوضى وتأثيرها في العلاقات الدولية.(كأول تأصيل نظري لها)
7. في المراحل النهائية لبلورة كتاب جديد في علم الجيوبولتكس بعنوان(الحقائق العلمية والنظرية للنظرية الثالثة في علم الجيوبولتكس)(وهو أول عمل لم يتطرق له متطفلون على هذا العلم سابقا سواء في داخل العراق أم خارجه).
8. في مرحلة الإعداد استثمارا للاختصاص كعلوم سياسية وعلاقات دولية ولتدريس المادة في الدراسات العليا بلورة منجز علمي بعنوان(المعلن والمستور للعلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين).

ثامناً: البحوث المنشورة:

أنجز أكثر من 60 بحث منشور في المجلات العلمية الرصينة.

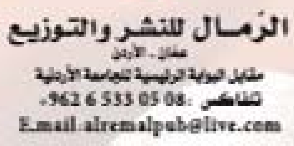
المحتويات







شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
تلفاكس: 5330508 6 962+
E.mail:academpub@yahoo.com


الرمال للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
مقابل البوابة الرئيسية للجامعة الأردنية
تلفاكس: 08 05 533 6 962+
E.mail:alremalpub@live.com

